هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة

الجُوف

مع أبحاث في التاريخ والجغرافية والآثار

تأليف وإعداد

الشيخ عبد الرحمن بن عطا الشايع آل كريع

خريج المعاهد الدينية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

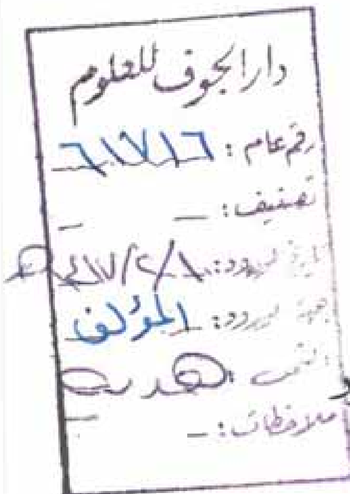
مئذنة مسجد عمر في دومة الجندل

هديّة الأصحاب في جواهر أنساب منطقة

الجوف

مع أبحاث في التاريخ والجغرافية والآثار

الجزء الأول



تأليف وإعداد

الشيخ عبد الرحمن عطا الشايع آل كريع

خريج المعاهد الدينية بجامعة الإمام محمد بن سعود

مراجعة وتنقيح ورسم مصورات

عدنان العطار ابراهيم

أمين سر الجمعية التاريخية في سوريا «سابقاً»

راجع ونقح اللغة العربية

أحمد عبد اللطيف حميدي

الجزء الأول

هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة

الجوف

مع أبحاث في التاريخ والجغرافيا والآثار

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله أولاً وآخراً الحمدلله القادر على كل شيء الحمدلله الخالق الأوحد الفرد الصمد من غير عدد.

الحمدلله الباقي إلى ما لا نهاية صاحب البهاء والعظمة والسلطان والعزة القادر له القوة لا شريك له في سلطانه أو وحدانيته أو تدبيره..

الحمدلله لا تحيط به الأوهام ولا تحويه الأقطار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الغفور القدوس المهيمن أحمده وأشكره لهدايته لنا وأطلب منه العون لما فيه مرضاته من القول والعمل والإيمان المخلص بالتوحيد المطلق..

وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النجيب الأمين اصطفاه لرسالته وبعثه بوحيه وعبده حتى أتاه اليقين من عنده.

نبي العرب والمسلمين، جاهد لهداية الإنسان غير مقصّر، عليه أفضل الصلاة وأزكاها.

وبعد درج العرب من قديم الزمان على العناية بتاريخ الإنسان ومن تاريخ الإنسان أصله ونسبه وحياته منذ آدم عليه السلام ووضعوا لذلك التواريخ ـ قال الشعبي لما أهبط الله آدم من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم وكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً عليه السلام ـ فلما كثر ولد اسماعيل أرخ بنو اسماعيل من بناء البيت العتيق الذي به الكعبة المشرفة.

ولمّا تفرق العرب إلى معد ونزار كانت لهم أيام وأعلام يؤرخونها ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي إلى عام الفيل ولما كان زمن عمر بن الخطاب أرّخ رضي الله عنه من الهجرة وإنما أرخ بعد سبعة عشر عاماً من هجرة رسول الله ﷺ وحدث ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه يأتي منك كتب ليس لها تاريخ قال: فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ من نزول الوحي ومبعث نبينا وقال بعضهم

أرخ من هجرة رسول الله ﷺ قال عمر نؤرخ لمهاجر رسول الله ﷺ، فإن المهاجرة فرق بين الحق والباطل.

قال مرعي بن يوسف: ثم قالوا يعني الصحابة رضي الله عنهم. بأي شيء نبدأ فيكون أول السنة فقال بعضهم من رجب وبعضهم من رمضان وقال عثمان أرخوا من المحرم أول السنة وهو شهر حرام وهكذا أصبح للمسلمين مبدأ للتاريخ.

ثم درج المسلمون على كتابة تاريخهم منذ بدء الخليقة وقد وصل إلينا أكثر من ألف مؤرّخ بعد الإسلام دون قبله ولكن الرواية اختلطت بالحقيقة وإذا آهتم أهل آلحضر بتاريخهم. فإن الجزيرة العربية قد أُهمل تاريخها قال آبن بشر:

وآعلم أن أهل نجد وعلماءها الأقدمين والمحدثين لم يكن لهم عناية بتاريخ أوطانهم ولا من بناها ولا ما حدث فيها وسار إليها وسار منها إلا نوادر يكتبها بعض علمائهم هي عنها أغنى ونحن نريد أن نعرف آلحقيقة وآلسّبب. وما يقع فيها من آلغرائب وآلعجب ـ وكل ذلك في تاريخهم معدوم ـ وهكذا كان آبن بشر أول من عرّف آلتاريخ بآلبحث وآلمعرفة عن آلحقيقة وآلسبب قبل آلمؤرخين الأوربيين وهذه الطريقة هي نفس طريقة المؤرخين المسلمين قال ابن خلدون: شيخ مؤرخي الإسلام.

«التاريخ من آلفنون آلتي تتداولها الأمم والأجيال. وتسمو إلى معرفته كل الناس ـ وتتنافس فيه الملوك والأجْيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال وفي باطنه نظر وتحقيق ـ وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ـ وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. لذلك فهو أصل الحكمة. والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمثّل.

وقد تتبعنا كتب التاريخ عن جزيرة العرب وبلادهم فلم نجد من الوقائع عن بلاد الجوف ووادي السرحان إلا نتفاً صغيرة لا تشفي الغليل. والذين زاروا المنطقة من الرحالين الأجانب جانبوا الحقيقة أو زوروها ... فلا يعرف البيت إلا صاحبه

والأرض لا تعطي أسرارها إلا لمن عاش واقعها وسعى في مناكبها وكانت له القدرة على فهم لغتها ولغة سكانها.

وقد أكثر الأصدقاء والإخوان والأقارب من أهالي المنطقة في الطلب والإلحاح عليّ في الكتابة عن أهالي المنطقة وعشائرها وأنسابها، باديها وحضرها كما أعرف وكما سجلت عن والدي عطا الشايع الذي عاش من العمر **ما يقارب مئة وثلاثين عاماً** (وكنت قد سجلت أكثر هذه المعلومات عنه) وقد اعتذرت لضيق وقتي وكثرة أعمالي. لكني سئمت عندما اطلعت على بعض الكتب التي نشرت عن منطقة الجوف مثل كتاب ـ المعجم الجغرافي لشمال الجزيرة العربية وكتاب بلاد الجوف أو دومة الجندل لسعد بن عبدالله بن جنيدل ... وغيرها ... حيث لم يتطرقوا لكثير من المعلومات عن مدينة سكاكا وضواحيها من الناحية التاريخية والبشرية. وأنساب القبائل القاطنة فيها. رغم أهمية الأنساب وصلة القربىٰ في علم الفرائض الإسلامي وفي الزواج والعلاقات العائلية وذلك إما عن قلة معرفتهم بمنطقة الجوف المعرفة الكاملة. والإكتفاء بالمعلومات السطحية. أو عن إهمال ناتج عن عدم التعمق في البحث مع رجال المعرفة من المسنّين أو في بطون الكتب والوثائق الرسمية وقد أهملوا خاصة .. دور قبائل الجوف في إنهاء حكم آل الشعلان وآل رشيد حيث كانت براعة رؤساء القبائل في الجوف تدير سياسة البلد بحنكة والتحكّم فيها بإرادتهم دون إرادة آل رشيد أو آل شعلان بل تستفيد من العداء المستحكم بينهم لصالح هذه البلدة وسكانها .

وشجعني على العمل قول الدكتور أنيس فريحة في كتابه عن القرية اللبنانية «إن الحياة الاجتماعية تتطور بسرعة وأساليب العيش تتبدّل وإذا لم يتصدّ لتدوين الماضي من التاريخ والواقع والأنساب وما يعطي المجتمع الأصالة والمعرفة فإنه يخشى على هذه المعلومات من النسيان. ثم يتابع وإذا مات شيوخ القرية وعجائزها قُضِيَ على مصادر المعلومات والتاريخ لأن تاريخ القرية أو المدينة تاريخ تقليد شفهي يتناقله السكان جيلاً عن جيل فإذا مات الجيل الحالي انطمست معالم هذا التاريخ» وبما أننا

نحب بلادنا وأرضنا وعشنا من خيرها وفي ظلها لذا تحتم علينا أن نسجل ماضيها وحاضرها لتفخر به الأجيال القادمة من سكان هذه البلدة والعرب والمسلمون. وإننا بذلنا جهدنا في جمع المعلومات واجتهدنا فإذا وجد من نقص أو قُصُور نرجو من القارىء المسامحة والكتابة لنا لنذكر ما نقص في الطبعات القادمة وإني إذ أشكر الله القدير القادر. لأرجو منه التوفيق وسداد الرأي وحسن القول. وصواب العمل والبعد عن الخطأ والنسيان.

وسنحاول في الطبعات القادمة إن شاء الله إضافة ما ترك من شجرات أنساب القبائل الصغيرة والتي لم تُدرج في هذا الكتاب بسبب ضيق الوقت وعدم التمكن من الإتصال بالمسنّين الخبيرين عن هذه القبائل. فمعذرة وأرجو من الله أن أستطيع استدراك النقص مستقبلاً والله الموفق.

المؤلف.

مصادر وكتب للرجوع إليها في البحث

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٣ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام.
٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
٥ ـ تاريخ العرب المطول ـ جواد علي.
٦ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ـ القلقشندي.
٧ ـ نهاية الأرب في صناعة الأدب ـ النويري.
٨ ـ كنز الأنساب ـ ابن بسام الحقيلي.
٩ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ الآلوسي.
١٠ ـ الإكليل ـ الهمزاني.
١١ ـ صفة جزيرة العرب ـ الهمزاني.
١٢ ـ المعارف ـ ابن قتيبة.
١٣ ـ جمهرة الأنساب ـ ابن حزم الأندلسي.
١٤ ـ قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة.
١٥ ـ تاريخ العرب المطول ـ فيليب حتى.
١٦ ـ الذكرى العربية ـ جون فيلبي.
١٧ ـ اكتشاف جزيرة العرب ـ جاكلين بيرين.
١٨ ـ مجلة العرب ـ الأستاذ حمد الجاسر.
١٩ ـ المعجم الجغرافي لشمال الجزيرة العربية ـ الأستاذ حمد الجاسر.
٢٠ ـ بلاد الجوف ـ سعد بن عبدالله جنيدل.
٢١ ـ دومة الجندل ـ ابن مهنا التميمي.
٢٢ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ابن جرير الطبري.
٢٣ ـ تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ عبد الرحمن بن خلدون.

٢٤ ـ معجم ما استعجم ـ البكري.
٢٥ ـ أسماء الأمكنة والبقاع ـ الزمخشري.
٢٦ ـ تحفة المستفيد في تاريخ الإحساء ـ الزمخشري.
٢٧ ـ لسان العرب ـ عبدالله العلايلي.
٢٨ ـ تاج العروس ـ المرتضى الزبيدي.
٢٩ ـ الدر الفاخر في أنساب العرب ـ أمين القطب.
٣٠ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.
٣١ ـ قصص الأنبياء ـ عبد الوهاب النجار.
٣٢ ـ تاريخ العرب القديم ـ طه باقر.
٣٣ ـ تاريخ الحضارات ـ طه باقر.
٣٤ ـ المسالك والممالك ـ الأصطخري.
٣٥ ـ ديوان ابن مقرن ـ ابن مقرن.
٣٦ ـ ديوان الخلاوي ـ راشد الخلاوي.
٣٧ ـ قصص العرب ـ محمد جاد المولى.
٣٨ ـ جغرافية سورية ـ عزة النص.
٣٩ ـ عشرون عاماً في جزيرة العرب ـ حافظ وهبة.
٤٠ ـ العرب والعروبة ـ عزة دروزة.
٤١ ـ بلقيس ملكة سبأ ـ ويندل فيليبس.
٤٢ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين ـ حافظ وهبة.
٤٣ ـ ملوك العرب ـ أمين الريحاني.
٤٤ ـ تاريخ نجد ـ أمين الريحاني.
٤٥ ـ تاريخ ابن عيسى ـ ابن عيسى.
٤٦ ـ تاريخ نجد ـ عنوان المجد ـ ابن غنام.
٤٧ ـ تاريخ نجد ـ ابن بشر.
٤٨ ـ الدولة السعودية الأولى ـ المعهد العالي لجامعة الدول العربية.

٤٩ ـ عشائر الأردن ـ الكولونيل بيك.
٥٠ ـ عشائر الشام ـ وصفي زكريا.
٥١ ـ عشائر العراق ـ عباس العزاوي.
٥٢ ـ تاريخ القرامطة ـ سهيل زكار.
٥٣ ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ عبد الرحمن الجبرتي.
٥٤ ـ الحويطات ـ عدنان العطار.
٥٥ ـ بني عطية ـ عدنان العطار.
٥٦ ـ الأطلس التاريخي ـ عدنان العطار.
٥٧ ـ التاريخ العربي وبدايته ـ أمين المدني.
٥٨ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي.
٥٩ ـ تاريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ـ المسعودي.
٦٠ ـ تدمر ـ عدنان البني.
٦١ ـ عجائب البر والبحر ـ شيخ الربوة الدمشقي.
٦٢ ـ جامع التواريخ ـ شيخ الربوة الدمشقي.
٦٣ ـ البدر الطالع بما بعد القرن السابع ـ الشوكاني.
٦٤ ـ الدر الكامنة بأعيان المئة الثامنة ـ ابن حجر العسقلاني.
٦٥ ـ أعلام النبلاء ـ الذهبي.
٦٦ ـ خلاصة الأثر بأعيان القرن الحادي عشر ـ المحبي.
٦٧ ـ سلك الدر بأعيان القرن الثاني عشر ـ المرادي.
٦٨ ـ الفكر الإسلامي ـ محمد البهي.
٦٩ ـ معجزة فوق الرمال ـ أحمد عسه.
٧٠ ـ تاريخ الدولة السعودية ـ أمين سعد.
٧٦ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي.
٧٧ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان.
٧٨ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير.

٧٩ ـ تاريخ أبي الفداء ـ أبي الفداء.
٨٠ ـ السيرة النبوية ـ ابن كثير.
٨١ ـ تاريخ آل الرشيد ـ الأمير ضاري بن الرشيد.
٨٢ ـ تاريخ آل الرشيد ـ عبدالله الدخيل.
٨٣ ـ المعلقات العشر ـ الزوزني.
٨٤ ـ معجم قبائل العرب ـ حبيب كحالة.
٨٥ ـ نساء العرب ـ حبيب كحالة.
٨٦ ـ الصحاح ـ ابن قيم الجوزية.
٨٧ ـ دائرة معارف وجدي ـ فريد وجدي.
٨٩ ـ دائرة معارف البستاني ـ بطرس البستاني.
٩٠ ـ المنجد ـ لويس معلوف اليسوعي.
٩١ ـ العرب قبل الإسلام ـ سيديو.
٩٢ ـ العرب قبل الإسلام ـ جرجي زيدان.
٩٣ ـ القبائل العربية بمصر ـ عبدالله البري.
٩٤ ـ تاريخ الجزيرة العربية ـ عبدالله بيومي.
٩٥ ـ الكلمات العامية المصرية العربية الأصل ـ أحمد أمين.
٩٦ ـ من شيم العرب ـ عبدالله المبارك.
٩٧ ـ التطور الإجتماعي لجزيرة العرب ـ عبدالله المبارك.
٩٨ ـ التوراة.
٩٩ ـ مراصد الاطلاع لأسماء الأمكنة والبقاع.
١٠٠ ـ معجم قبائل الحجاز ـ عاتق البلادي.
١٠١ ـ في شمال الحجاز والأردن ـ عاتق البلادي.
١٠٢ ـ قبائل بئر السبع ـ عارف العارف.
١٠٣ ـ نزهة الأبدان ـ الصيرفي.
١٠٤ ـ نباتات عمان ـ الصيرفي.

١٠٥ ـ يتيمة الدهر ـ أبو عبدالله منصور الثعالبي.
١٠٦ ـ المفضليات ـ المفضل الضبي.
١٠٧ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه.
١٠٨ ـ تاريخ الدولة السعودية ـ منير العجلاني.
١٠٩ ـ زهر الآداب ـ الفاضلي الحقيلي.
١١٠ ـ أرض الأنبياء ـ عبدالله فيلبي.
١١١ ـ التعليم في الجوف ـ إدارة التعليم في الجوف.
١١٢ ـ أمراء العرب في الشام ـ أمينة البيطار.
١١٣ ـ أطلس العالم الحديث ـ دار بارتلميو لندن.
١١٤ ـ سكاكا ـ دراسة لشركة دوكسيادس اليونانية.
١١٥ ـ الجوف ـ دراسة لشركة دوكسيادس اليونانية.
١١٦ ـ المنطقة الشمالية دراسة لشركة دوكسيادس اليونانية.
١١٧ ـ بين التاريخ والآثار ـ عبد القدوس الأنصاري.
١١٨ ـ العصبية القبلية في الشعر الأموي ـ الدكتور إحسان النص.

مقابلات ومعلومات شفهية نقلت من المسنّين في المنطقة سواءاً الذين لا زالوا على قيد الحياة. وبعضهم أصبح في رحمة الله وهم:

١ ـ الشيخ عطا الشايع ـ المتوفي ١٤٠٠ في الثالث من شعبان عن **١٣٠** عام مائة وثلاثين عاماً.

٢ ـ عرفج آل جابر ـ متوفى عام ١٣٩٩ عن عمر يناهز **١٣٥** سنة مائة وخمسة وثلاثين عاماً.

٣ ـ عبط بن محمد آل ضويحي ـ توفى عن عمر يناهز المائة عام.

٤ ـ طحان بن قادر من السرحان ـ توفى عام ١٣٤٠ عن عمر ينوف عن **١٠٠** سنة مائة عام.

٥ ـ سعد بن عطية ـ آل الضويحي.

٦ ـ محيسن بن تامر بن كريّع ـ متوفى ١٣٦٥ عن عمر يزيد عن **١٢٠** عام مائة وعشرين عاماً.

٧ ـ مناع الزيد ـ من آل علي توفى عن عمر يزيد عن **١٠٠** عام مائة عام.

٨ ـ سالم آل جريان من آل جحيش ـ توفى ١٣٨٠ ـ عن عمر يزيد عن **١٢٥** عام مائة وخمسة وعشرين عاماً.

٩ ـ سليم بن سلطان من آل جحيش ـ توفى ١٣٧٠ عن عمر يزيد عن **٨٠** عام ثمانين عاماً.

١٠ ـ مفضي آل حيزان ـ من قبيلة آل سليمان.

١١ ـ عايض الزيد من آل واكد من آل راشد ـ يزيد عمره عن ٩٠ سنة الآن تسعين عاماً.

١٢ ـ زايد آل خلف الحبوب ـ من السراح توفى سنة ١٩٨٢ عن **١١٠** سنوات مائة وعشر سنوات.

١٣ ـ سليمان آل قعيّد ـ توفى سنة ١٣٧٣ عن عمر ينوف عن ٧٠ عام سبعين عاماً.

١٤ ـ هلال آل جابر ـ من الرحيْبيّين بني تميم يبلغ الآن **١٤٠** سنة مائة وأربعين عاماً.

١٥ ـ الشيخ خليف آل مسلم ـ من طلبة الشيخ فيصل المبارك يزيد عمره الآن عن **٨٥** سنة خمس وثمانين سنة.

١٦ ـ الشيخ سعد آل طارق ـ يزيد عمره الآن عن **١١٠** سنوات مائة وعشر سنوات.

١٧ ـ الشيخ محمد آل قعيّد ـ يزيد عمره عن ٦٠ سنة الآن ستين عاماً.

١٨ ـ حمد آل جيزان ـ من آل سليمان توفى عن عمر ينوف عن مائة وعشر سنوات.

١٩ ـ عودة بن ذياب ـ من آل كريع فخذ الرويسان وعمره الآن مائة عام.

٢٠ ـ الشيخ أحمد آل قضيب ـ من آل راشد عمره الآن سبعون عاماً.

٢١ ـ الشيخ شفق آل مرزوق ـ من الضويحي توفى عن عمر يزيد عن ثمانين عاماً.

٢٢ ـ الأستاذ الشايوش بن غثوان آل جابر من آل كريع.

الشيخ عبد الرحمن عطا الشايع

بقلم عدنان العطـار

في ربيع عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة النبوية المباركة. ومع هطول المزن الوسمي صلة الوصل بين السماء المملوءة بالعناية الإلهية والأرض الطيبة المعطاءة في سكاكا الجوف. ولد فارسنا العربي.

وقد سماه جده عبد الرحمن تيمناً بالصحابيّ الشهير. عبد الرحمن ابن عوف. وتعبداً وإقراراً بعبودية الإنسان لخالقه الأعلىٰ.

وبعد أن ضمه والده إلى صدره لقنه الشهادة وآذان الإسلام ليكون مؤمناً بالفطرة.

كانت كل صفات الأصالة والنجابة التي هي سمات أساسية عند من تعود أنسابهم إلى القبائل الكريمة والأصيلة. القبائل التي لم تخالط أنسابها دماء أعجمية فأبواه يحتفظان بسجل خاص بأنسابهم حتى وائل بن عنزة وقد اطلعت عليه في مكتبة الأسرة وهو:

عبد الرحمن بن عطا بن شايع بن زبار بن رشيد بن عويف بن كريع الجد الأول في سكاكا وقبله.

كريع بن حسين بن نصار بن رحمة بن غبن بن عبيّة. بن جنيْ بن محمد بن طريف بن سلامة بن سهيل بن بشر بن وائل المسمى عنزة. وبين ماء سكاكا الزلال المتفجر من الآبار والأرض المخضرّة في بساتين سكاكا المحمية بأشجار النخيل المباركة وبرعاية الأسرة بدأت الطفولة الأولى لعبد الرحمن. كان جلّ اهتمام الأسرة وجهدها إبراز كافة إمكاناته الفكرية ـ ولاكسابه كل العادات القبلية وكل التقاليد العربية المتوارثة مع كل قواعد التربية الإسلامية. ذلك أنه سيخلف والده في رئاسة عشيرة آل

كريع التي أثبتت وجودها ضمن عشائر المدينة منذ وطئت أقدام أجداده هذه الأرض.

لذلك كان عبد الرحمن محصلة هذه العناية الأسرية والعشائرية الكاملة فالذكاء النافذ بدأت علائمه منذ أن بلغ الخامسة من عمره كما بدأت علائم النباهة ودقة الملاحظة وسرعة البديهة وقوة الذاكرة.

لذلك أخذه أبوه إلى مسجد الأسرة في نفس حيِّهِ حيث كان فقيه الأسرة الشايوش بن غثوان بن جابر، يعلم الأطفال الجزء الأول من القرآن الكريم ـ السور القصيرة ذات الآيات القليلة المتمثلة بجزء عمّ...

لذلك لمّا أتم هذا الجزء وحفظ الأحرف الأبجدية، وكان قد بلغ من العمر السابعة انتقل إلى الدراسة في المسجد الجامع في حيِّه وكان الشيخ مسلم بن نازل بن ابراهيم من بلدة موقق الوافد إلى الجوف، وكان قد بدأ عمله بتفقيه الناس أمور دينهم وتحفيظ القرآن الكريم. فاجتمع حوله عدد من أولاد البلدة وقد استمر الشيخ عبد الرحمن عند الشيخ مسلم حتى السنة الثانية عشرة من عمره.

في عام ١٣٦٢ هـ ورعاية من المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لمدينة سكاكا أرسل العلامة الشيخ فيصل بن مبارك قاضياً للجوف... كان الشيخ رحمه الله أحد علماء الجزيرة العربية الأفاضل ... ينتمي إلى قبيلة عنزة العدنانية فخذ العمارات وقد استشهد والده في وقعة البكيرية فكفله عمه مع إخوته ولكن عناية الأسرة السعودية بأبناء الشهداء جعلتها توجه عناية خاصة له فحفظ القرآن الكريم وقرأ الحديث والتوحيد والنحو والفرائض على علماء نجد من آل الشيخ وغيرهم ثم ولي القضاء في تهامة الحجاز وبيشة وتربة والخرمة والقنفذة وضرمة وأخيراً في سكاكا الجوف. وكان الشيخ موسوعة دينية علمية. لذا تجمع حوله أبناء سكاكا يرتشفون من علمه وكان عددهم يتجاوز أربعمائة دارس بينهم الشيخ عبد الرحمن.

وبتوجيه الشيخ فيصل حفظ الشيخ عبد الرحمن القرآن الكريم كاملاً وقرأ عليه رياض الصالحين والأصول الثلاثة ثم درس مؤلفات الشيخ وأهمها.

١ ـ توفيق الرحمن في دروس القرآن بأجزائه الأربعة.
٢ ـ خلاصة الكلام في شرح عهدة الأحكام.
٣ ـ كلمات السداد على متن الزاد.
٤ ـ بستان الأحبار في نيل الأوطار مجلدين.
٥ ـ لذة القاري في مختصر فتح الباري.
٦ ـ السبيكة الذهبية على متن الرَّحبيّة.
٧ ـ المجموعة الجليلة وتحوي: مختصر الكلام على بلوغ الحرام.
محاسن الدين على متن الأربعين.
مقام الرشاد بين التقليد والإجتهاد.

ونظراً لاندفاع الشيخ عبد الرحمن في سبيل دين الله وإعلاء كلمته ورفع شأن الإسلام والإستمرار في إتباع تعاليمه عيّنه الشيخ فيصل عام ١٣٦٨ إمام مسجد آل الشايع الشرقي في حي آل ابراهيم. وفي عام ١٣٨٥ انتسب إلى جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان يخرج عند نداء الصلاة يدعو الناس للإلتحاق بالمساجد وحمل التجار وأصحاب الأعمال على إغلاق حوانيتهم والذهاب إلى المسجد كما كان يطرق أبواب الدور مذكراً إياهم بالفريضة الإسلامية السامية التي تعتبر أهم دعائم الإسلام.

ثم يذهب إلى المسجد المخصص له حيث يوجد جريدة بأسماء المصلين في المسجد فيقرأ أسماءهم ليتعرف إلى المتخلفين منهم لتفرض عليه العقوبة. ويذكر أن العقوبة في المرة الأولى حرق جانب من منديله «أي كسر اعتبار له». وذلك أمام المصلين علناً ... أما إذا تكرر تغيبه بدون عذر مقبول فيعاقب بالجلد أو السجن والعقوبة يقررها القاضي وتزاد في حالة التكرار.

أمّا إذا كان مريضاً فعندها يذهب إلى داره لمواساته ومساعدته وذلك تطبيقاً لمبادىء الإسلام الذي ينص على أن المؤمنين إخوة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمي.

وكان الشيخ يقوم بتوجيه الناس دينياً وأخلاقياً وسلوكياً وأدبياً ويراقب تصرفاتهم لتكون وفق تعاليم الدين الحنيف. وهذه التصرفات من العامة رغم أنها لا تشكل عدواناً على أحد ولكن تعاليم الدين لا تقرّها مثل خروج إمرأة إلى الشارع بملابس قصيرة أو دون حجاب أو بلباس يبرز مفاتنها ... كما يلاحق الذين يتعاطون المسكرات أو يحملون صور نساء خارجة عن الحشمة أو الغناء غير الوقور أو اجتماع الشباب على حالة غير مرضية من الهزل وعدم الوقار. وكل ذلك تطبيقاً لكتاب الله. دون أن يثير الناس بجلافة أو تصرف متبعاً تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قال:

إن بعض أهل الدين ينكر منكراً .. وهو مصيب لكنه يخطىء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ـ وقال أيضاً: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» وقال رسول الله ﷺ ـ إن الله يرضى لكم ثلاثاً ـ:

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.
وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.
وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم.

وكذلك وجه الشيخ عبد الرحمن عنايته لشئون المرأة النصف الثاني للرجل وطبّق تعاليم الإسلام المشروحة من حركة التوحيد السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيدتها الأسرة المباركة السعودية وقبائل الجزيرة العربية فمنعت النساء من دخول المدينة إلا بعد ستر وجهها بالحجاب وذلك لأن نساء البادية كن لا يحجبن وجوهن.. فأصبحن عندما يدخلن سكاكا يستعملن الحجاب.

ومنذ أن أصبح الشيخ عبد الرحمن إمام المسجد الشرفي ١٣٦٨ برزت مواهبه فكان له المكان اللامع لأخلاقه الفاضلة فمجالسه كلها بحوث علمية دينية واجتماعية متعلقة بمدينته التي اهتم بها كثيراً وأحبها وبذل الكثير من جهده في سبيلها ... فهو لا يميل إلى الهزل لكنه يواسي الفقير ويعطف على الصغير متواضع يستميل القلوب بأعماله ورعايته وكرمه. لكن محبته للعلم دفعته إلى إعادة دراسة القرآن وتفسير محكم

آياته على الشيخ فيصل قاضي الجوف ضمن حلقات كانت تقام في مسجد السوق إلى جوار بيت الشيخ صباحاً أو مساءً ويحضرها كرام سكان سكاكا ومنهم:

الشيخ حمود آل بليهد ـ الشيخ عثمان آل عطية.
الشيخ اسماعيل بن بلال الدرعان (كاتب عدل الجوف حالياً). ـ الشيخ عبد المصلح آل مريح.
الشيخ عبدالله بن حمود (قاضي طريف) ـ الشيخ شفق آل مرزوق.
الشيخ يوسف الحشاش ـ الشيخ فياض آل مسعر.
الشيخ عبد الواحد آل حموان ـ الشيخ أحمد آل قايد.
الشيخ عواد آل راشد ـ الشيخ عقيل بن عطا الله الشايع.
الشيخ خليف آل مسلم ـ الشيخ ابراهيم بن خليف.
الأستاذ عارف مفضي آل مسعر (مدير التعليم بالجوف).
الشيخ عمر المريحي ـ الشيخ عيسى العيساوي.

وفي عام ١٣٧٧ هـ توفي الشيخ فيصل المبارك فقام تلامذته بمتابعة التدريس في المسجد، وكان منهم الشيخ حمود آل بليهد والشيخ عبدالله بن حمود والشيخ اسماعيل بن بلال الدرعان والشيخ عبد العزيز بن عقل.

وفي عام ١٣٨٥ هـ افتتح المعهد العلمي الديني في الجوف فقام الشيخ عبد الرحمن بالإنتساب إلى المعهد والدراسة فيه وتخرج منه. ولكن وجود المعهد أدى إلى تقلّص الحلقات الدراسية في المسجد. كما تقلصت حلقات حفظ القرآن ودراسته في المساجد بعدها نظراً لافتتاح المدارس الحديثة حيث تعطي وزارة المعارف جهداً ملحوظاً وعناية فائقة في مناهجها للعلوم الإسلامية وخاصة كتاب الله حيث تبلغ ساعاتها أكثر من ربع الساعات الأسبوعية. ولكن هذه المدارس لا تقبل الطلاب قبل سن السابعة، لذلك كان الشيخ عبد الرحمن أول من اهتم بغرس الفكر والتربية الدينية في نفوس الصغار دون السابعة من عمرهم.

وقام كل من الشيخ عبد الرحمٰن عطا الشايع والشيخ إسماعيل بن بلال الدرعان والأستاذ يوسف الحشاش بتدارس الأمر مع سعادة وكيل إمارة الجوف الأمير سلطان السديري لفتح جميعة خيرية لتحفيظ القرآن الكريم، فتطوع الشيخ إسماعيل بن بلال للتدريس في مسجد الشيخ فيصل بن مبارك في السوق الرئيسي، وكذلك الشيخ عمر بن مريح في مسجد اللقايط والشيخ عبد الرحمٰن نصرالله في مسجد المخطط واستمروا جميعاً بالتدريس، وقد تبرع بعض المحسنين المحبين للخير بمبالغ لدعم هذه الجمعية كمكافآت للدارسين لكتاب الله، وعندما علم الشيخ عبد الرحمن آل فريان سرّه هذا فأبدى استعداده لدعم الجمعية ومكافأة من يقومون عليها بعد أن أصبحت ضمن الجمعيات التي يشرف عليها فضيلته. وفي هذا العام عُمد الشيخ عبد الرحمن الشايع بالإشراف على هذه الجمعيات حرصاً منه على ملاحظتها لتقوم بأداء رسالتها السامية في تحفيظ القرآن الكريم.

وفي عام ١٣٦٠ هـ قام عطا الشايع، والد المؤلف، وأخوه عطا الله الشايع وشاهر النازل آل ابراهيم وشامخ آل مفرح ببناء مسجد في حارة الشايع الشرقية، وعند اتساع الحارة وانتقال الشايع إلى جهتها الغربية قام عبد الرحمٰن وإخوته ببناء مسجد آخر على نفقتهم الخاصة، وكذلك قام عبد الرحمٰن بهدم وبناء مسجد حارة الكريع في شمال المدينة حيث كان هذا المسجد من المساجد القديمة في مدينة سكاكا، وقد أسس في عام ١٢٠٠ هـ هجرية تقريباً حيث أعيد بناؤه الآن للمرة الثالثة وكانت الأخيرة بالإسمنت المسلح على نفقة المذكور وإخوته.

وعندما بدأت حكومة المملكة العربية السعودية بتنظيم شئون الأسرة وعلاقتها الاجتماعية وفق الشريعة الإسلامية في المنطقة الشمالية للمملكة. كان لابد من تعيين مأذون أنكحة فقامت حكومة المملكة الرشيدة ورئيس محاكم الجوف باختيار الشيخ عبد الرحمٰن مأذون أنكحة للجوف لضمان حقوق المرأة والأولاد وسماع موافقات القبول والإيجاب على يد شهود عدول.

ومع هذا فالشيخ عبد الرحمن ذو شعور فياض ووجدان حي حنون على عائلته وأولاده يبذل أقصى ما يستطيع لهم من التربية والمال والجهد للحفاظ على تقاليد عائلته وقبيلته وهذه قصيدة من قصائده فيها توصيته لابنه خالد الابن البكر يحثه على تقوى الله وصلة الرحم لكل أقربائه ورجال عشيرته ويوصيه بالحفاظ على تقاليد الكرم الموروثة من الأجداد وفتح باب مضافته للجيران والقادمين كما هي عادة كل اهالي الجوف وخاصة جدّه عطا الشايع وأولاده.

يا خالد إفهم هرجتي وأبي أوصيك ... افهم كلامي يا نضايض فؤادي
يا خالد أخذت أمك علشان تاليك ... من مقطع جيد وفيهم سدادي
أوصيك أنا بالدين وأزيد أوصيك ... واترك كلام اللي مع الناس غادي
أوصيك بتقوى الله وفيها أوصيك ... هي منوتي لك وهي أعظم مرادي
أوصيك أنا بالعم والجار وقسم أوصيك ... والحر دايم يلتفت للمنادي
أوصيك أنا بأخوك وجميع ذاويك ... إحفظ وصاتي يا مضنة فؤادي
أوصيك بجدتك وأعيد أوصيك ... يا عزوتي تر برّنا لها سدادي
إفتح باب البيت للي حواليك ... ترى المسيّر يستحي ما ينادي
خلك على اللي سالكينها أهاليك ... ولا تتبع اللي ما برايه سدادي
النوم أساس اللوم اليقعة يوديك ... ما فيه عزٍّ للرجل أو رشادي
أنا طلبت الرب لا يخيب تاليك ... وعساك دايم تشتهر بالسدادي
من زان لك مرة تراه بخليك ... يكو درب الناس منشأ العيادي
يلّي خلقت الكون والناس ترجيك ... تصلح ذرارينا وتشفي مرادي
وصلاة ربي عد ما صوت الديك ... على النبي الهاشمي مهدي العبادي

الباب الأول

جغرافية الجوف

البــاب الأول

الفصل الأول

جغرافيــة الجـــوف

يتميز الجوف بأهمية خاصة جغرافيًا لأنه صلة الوصل بين المملكة العربية السعودية وبلدان العالم العربي الواقعة في شمال الجزيرة وهي «الأردن وفلسطين وسورية والعراق والكويت» وحتى مصر .

وهذا الموقع جعل له أهمية مناخية مؤثرة ـ بين المناخ الصحراوي فى متسع النفوذ والمتوسطي فى شمال الجزيرة والموسمي فى جنوبها وغربها وتنوع المناخ أدى إلى تنوع النبات والبيئات .

فنحن نطالع فى أرض الجوف بيئة المدينة التجارية والبيئة الزراعية والبيئة الرعوية. والبيئة الصحراوية.

يحد الجوف من الجنوب صحراء النفود ومن الشمال أرض الحماد ومن الغرب حرّة النار إضافة إلى سلستي جبال تحيط به من الشرق والغرب هى جبال الجوبة الغربية والشرقية. ويقطع هذه الجبال عدد من الوديان أهمها :

١ ـ وادي عرعر.
٢ ـ وادي الشويحطية.
٣ ـ وادي المرير.
٤ ـ وادي السرحان.

ويعتبر كثير من الجغرافيين أن الجوف تتمة لوادي السرحان رغم أنه يفصل بين الجوف ووادي السرحان جبال أجرية وجبل الظهير التي تتلاقى مع النفود عند انتهاء منطقة غيران البنات.

ويمتد لسان رملي في هذا المنخفض من ظهرة قارة حتى أم الرم وشرقًا حتى منطقة خوعا ومغيراء .

هذه أهم المعالم الجغرافية في منطقة الجوف وضمن هذه المعالم قامت المنطقة الزراعية المعروفة باسم الجوف في واد سهلي واسع تتجاوز أبعاده ١٥٠ كم طولاً إلى ٧٠كم عرضًا ويضيق في الشمال ويتسع في الجنوب حتى حدود صحراء النفود ويتخلل السهل بعض الجبال التي تشبه التلال مثل :

١ ـ جبل مويسم.
٢ ـ جبل أم شظوم .
٣ ـ جبل قيال الصغير.
٤ ـ جبل قيال الكبير.
٥ ـ ظهرة قارة.
٦ ـ أم الرم.

وتربة الجوف تربة جيدة من أصلح المناطق الزراعية بعد القصيم لاحتوائها على الغضار الحديدي[١] المعدني وهي تربة قاسية متماسكة لذلك يقوم السكان بإصلاحها بخلطها بالرمال مع الأسمدة فتصبح خيّرة معطاءة والمناطق غير المزروعة أو المستصلحة تنمو فيها الأعشاب الرعوية وأشهرها : الجعدة ـ الحمصيص ـ البصيلي ـ الخزامي ـ السدر ـ السمح ـ الكمأة ـ الرشأ ـ الخبيزة ـ الحنوة ـ المحروت ـ الشفلّح ـ الأقحوان ـ الصفارة ـ الرقم ـ القضعة ـ الشيح ـ القيصوم ـ العجرم ـ القطف ـ الجريبة ـ البعيثران ـ الأثل ـ الرمث ـ الغضا ـ الربلة ـ الكراث ـ البطيخ ـ العرفج ـ السعدان.

الفصـل الثـاني

الزراعة وطرق الري في الجـوف :

كانت الزرعة في الجوف محدودة بسبب عدم توفر المياه . في المناطق التي تفجرت بها الينابيع كدومة الجندل قامت زراعة النخيل في اللقائط المجاور للمدينة أمّا باقي مناطق الجوف فكانت الزراعة رهينة الآبار التي حفرت بالجهد والعرق سواء في

---

(١) هي التربة العضارية المحتوية على الحديد.

سكاكا أو قارة وكانت كمية المياه في هذه الآبار تزيد وتنقص حسب سنوات الخير والجدب وسبب الأعتماد على الآبار أن كمية الأمطار لا تتجاوز الـ ١٠٠م فى أكثر السنوات وهي كمية لا تفي بالحاجة الزراعية ولكن خصب الأرض جعلها منطقة رعوية وقد بذل الإنسان في الجوف الجهد الكبير للوصول إلى الطبقة المائية على عمق يتراوح بين ١٠ ـ ٣٠متر.

وعند استعمال المضخات الحديثة المزودة بطاقة الديزل انتشرت الزراعة فى كل مناطق الجوف ووزعت الدولة الأراضي على السكان وأقيمت المزارع الحديثة بمساعدة القروض المقدمة من البنك الزراعي واشترت الدولة المحاصيل من الحبوب والتمور بأسعار تشجيعية أما المزارع التقليدية ضمن المدينة والمعتمدة على سقاية الآبار فإنها بدأت تندثر لتقوم مكانها الأبنية الحديثة والفلل..

والنخيل هو الزراعة الرئيسية التقليدية فى الجوف ولا يزال السكان متمسكين بنفس الاسماء التي ذكرها النويري[1] في نهاية الأرب في بحثه عن النخيل فترى الفسيلة ـ والجثيمة ـ والبلح ـ والرطب ـ والبسر ـ والودي ـ والميخار وهي التي يتأخر جنيُها عن إخوتها وتنضج في الشتاء وعدم تغير الاسماء حتى الآن له دلالة كما لاسماء المدن على استمرار الحضارة واللغة العربية في المنطقة من قديم الزمان حتى الآن.

ويعتبر نخيل الجوف من أجود ثمار النخيل المشهورة في العالم وأجود أنواعه هو حلوة الجوف والتي يقصدها الحجاج لإهدائها لأقربائهم بعد عودتهم من الحج والتي تزيد حلاوتها عن مثيلاتها في المملكة.

ويعتمد السكان في زراعة النخيل على طريقة الفسائل. والفسيلة هي نخلة صغيرة تتفرع من جذع النخلة الكبيرة الأم وتفصل عنها في فصل الربيع أو بداية الخريف وتنقل إلى مناطق الزراعة الجديدة وتغرس ضمن حفر معدة سابقًا تتراوح المسافة بين

---

(١) نهاية الأرب ـ للنويري.

الشجرة والأخرى ٥ : ٦ أمتار ويستفاد من هذه المسافة بالزراعة لأن النخيل يظلل على بعضه فيجود البلح. توضع الفسائل في الحفر ويردم عليها الرمل والتراب وتثبت بهزها وتسقى بالمياه وتستمر سقايتها يوميًا لمدة شهرين ثم كل ثلاثة أيام. ثم كل أسبوع وبعد أن يحول عليها الحول تسقى كل أسبوع مرة وهي تعطي الثمر بعد زراعتها بمدة ثلاث سنوات بواسطة براعم الطلع وعندما يصبح هذا الطلع قنوًا وينشق عنه (الكافَر) يُلقح من قنو الذكر بثلاثة شماريخ لينعقد ثمرًا وبعد مضي شهر ونصف من التلقيح أو التأبير ينعقد الثمر ويصبح بسرًا وعندها ينسق[1] الفلاح القنو على الجريد ليهل جَنيه.

عند نضج الثمر يقوم المزارع بالصعود إلى أعلى النخلة ويقص القنو بواسطة منجل ويدلي به إلى أسفل النخلة. والنخيل له أهمية عند البدوي فهو طعامه إضافة إلى الحليب إذا استثنينا اللحم والرز فالتمر هو الطعام الوحيد الذي يتناوله البدوي صباحًا ومساءً.

والنخيل شجرة مقدسة فقد روي عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : «**أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الذي خلق منه آدم**» وإن لم يرد ذلك في كتب الحديث الستة (الصحاح) وقد ابدع الإنسان العربي الأسماء الكثيرة فللنخلة أكثر من عشرين اسمًا ويؤلف عن النخيل كتاب خاص...

والجُمَّار هو رأس النخلة ولا تعيش النخلة بدونه.

وأنواع النخيل في الجوف كثيرة وأهمها :

١ ـ حلوة الجوف.
٢ ـ قسبة المدق.
٣ ـ المفرج.
٤ ـ الحيزات.

(١) أي يُعدل ويفرز عن بعضه حتى لا يتشابك.

٥ ـ الحسينية.
٦ ـ بويضة سكاكا.
٧ ـ المرعية.
٨ ـ صور الفاقع.
٩ ـ صور الصبيان.
١٠ ـ الحضيرية.
١١ ـ الهقيشية.
١٢ ـ بويضة خذماء.
١٣ ـ البلهودية.
١٤ ـ السيفية.
١٥ ـ جليلة.
١٦ ـ حمراء عقيل.
١٧ ـ حمراء رشود.
١٨ ـ الشقراء فقّه.
١٩ ـ صفراء سياطية .

وأهمها حلوة الجوف .

ويزرع إضافة إلى النخيل فى الجوف أنواع القمح ـ المكسيكي والأمريكي وقمح أرز والبياضي ـ وقمح البلقاء وهو أجود الأنواع...

وتزرع أيضًا الذرة والدخن والدقسا والشعير.

وكذلك أشجار التين والزيتون بأنواعه والحمضيات.

والرمان والعنب بأنواعه المختلفة ويجود العنب في سكاكا ومزارعها .

أما الري الذي يوفر المياه للزراعة فتستعمل منذ القديم طريقتان للري :

أولاً : طريقة الري بواسطة العيون وهذه تتوفر في دومة الجندل ويمكن أن نعدد من عيونها :

١ ـ عين آل عامر.
٢ ـ عين الكبرا
٣ ـ عين آل عباس.
٤ ـ عين فلحا.
٥ ـ عين الجبّوب .
٦ ـ عين السلمان.
٧ ـ عين العروس.
٨ ـ عين السعيدان.
٩ ـ عين علاج.
١٠ ـ عين زغبة .
١١ ـ عين حزما
١٢ ـ عين الدهمية.
١٣ ـ عين المحاربية.
١٤ ـ عين المصيريعة.
١٥ ـ عين الرحيبيّن.
١٦ ـ عين القنيّة.
١٧ ـ عين الغرب .

وهذه العيون تجري في أسراب تحت الأرض على عمق يقارب خمسة أمتار وتنحدر من جهة مارد وعندما تقترب من البساتين يوضع لكل عين شريعة تجمع بها المياه وتوزع على المزارع بطريقة فنية. وقد خصص لكل مزارع توقيت خاص لري مزروعاته بشكل دوري وهو اثنا عشر يومًا في الشتاء وستة أيام في الصيف مع تناوب السقاية للمزارع في الليل والنهار.

الى الشريف
السيب
العجرمات
جبال الجوبة الغربية
المحاص
الشويحطية
الى عرعر
الهامة
خشم زلوم
خشم القاذرية
خشم العوجا
ام الرمم
جبال الجوبة الشرقية
جبل تيال الكبير
جبل زقلاب
ام زرنيق
جبل تيال الصغير
الجوبة
زلوم
صوير
هديب
الرتيان
الثايات
وادي المريير
ينصوبه
المريير
ثمد المريير
القبطره
سكاكة
القافط
نفود سكاكة
جبال أجربة
الفريده
الطوير
جبل الظهير حمار
جبل ام شطوم
جبل حريم
قارة
دفا خاره
طهرة قارة
خيرا
الجوف
الى القريات
جبل الحماتة
تلال النفود
النفود الكبير
غدران البنات
الى تيماء
الشمال



المضخات ركبت على الأبار
القديمة بدلاً من الجمال



النخيل في حي المطر هجره
أصحابه إلى المزارع الحديثة



آبار قديمة تركت لانشغال السكان بالمزارع والنخيل بدأ يذوي

تل الساعي البني





جدار به كورة توضع بها المحاور الحاملة للحمالة
من أيمن البئر ويساره ويسمى الزرانيق



آنية حجرية لجمع المياه ... من سكاكا



الجذع الناتئ من الجدار «الجمة» تحمل عليها الأعمدة والأعمدة تحمل المحالة
والمحالة يجرى عليها الرشا



بئر قديمة مهجورة بالقرب من قارة



الرمان في مزارع سكاكا



النباتات في الحمـــاد



قنو النخيل قبل تفتحه وعملية التأبير



صورة لطلع الذكر لتلقيح النخيل



الجمل صديق العربي لايزال في الجـــوف



الاغنام ترعى في ربى الجوف بجانب اشجار النخيل التي تبدو من بعد



حقول القمح في مزرعة آل الشايع بالقنيطرة



اشجار النخيل الحديثة في سكاكا

ثانياً : طريقة السّني على المعاويد للري .

والمعاويد هي الحيوانات التي ترفع المياه إلى سطح الأرض وهي إما الجمل أو الحمار أو البقر والأدوات التي تستعمل لرفع المياه من البئر تسمى **العدة**.

وتتكون العدة من :

١ ـ **المحالة** : وتتألف من دولاب كبير يثبت فوق رأس البئر على محور من الحديد مركب على عمودين من خشب الأثل ويتوسط الدولاب بين العمودين فوق البئر . وهذان العمودان يثبتان على عمودين آخرين يوضع أحدهما فوق البئر ويسمى اليمة أما الثاني فيوضع عند مقدمة البئر عند موقف الجمل ويسمى الميخر.

وتوجد دراجة تركب على عمودين تحت الدولاب الفوقي بها وهي نوع مشابهه للدولاب الأول ولكنها اصغر وأطول بحيث تشابه أسطوانة تتحرك على محور مبروم وتثقب الأعمدة في الوسط باتجاه الدولاب لادخال المسامير حتى يتمكن الدولاب من الدوران إذا وضع عليه الزمام وهو حبل يصنع من جلد الإبل .

أما المحالة وهو الدولاب الأعلى الفوقي فيركب عليه الرشا المصنوع من جلود الإبل . عند السقاية من البئر يربط الرشا بالدلو من الجهة العليا والزمام على الدراجة من الجهة السفلى على أن يكون طول الزمام والرشا متساويين بما يقارب ٤ : ١٥ باع وتصنع الدلاء من جلود الغنم أو الماعز ويكون لها عراقي على شكل إشارة الزائد وتربط الدلاء بأطراف العراقي بحبال تسمى الأوزام حتى تتاح فرصة لدخول الماء إليها بسهولة بواسطة الفتحات الموجودة في أعلاها .

أما في أسفلها ـ الردن ـ والردن شبيه بردن الثوب مفتوح وفي طرفه حبل من ليف النخل يسمى شراع فعند ظهور الدلو من البئر ينزل الماء معه بالبركة أي «اللزي» ويعرف في مدينة سكاكا بالمقام ـ وهو معد لصب الماء ـ ومن ثم يخرج الماء إلى الحوض أو البركة أو الشريعة .

عمل الإبل : يصنع للإبل حلس وهو مجموعة أخشاب تجمع إلى بعضها لتوضع على مقدمة سنام الإبل . ويكون لها بدود وهي أكباس من القماش أو الخيش تملأ بالنخالة أو ليف النخل وتوضع بين الخشب وظهر الحيوان .

يثبت الحلس على البدور الذي يوضع على ظهر الجمل من الناحية الأمامية للسنام ويربط بثلاثة حبال مضفورة الأول بطان يشبه النطاق ويشد على بطن الجمل والثاني اللبب ويوضع على أكتاف الجمل عند الرقبة والثالث الحقب ويوضع من الخلف عند مقدمة الساقين . أما البقر والحمير فيوضع الحقب عند الذيل وفيه جازول من الخشب يربط فيه المقود أي طرف الرشا وهو حبل مصنوع من ألياف النخيل يربط بين المقود والرشا. وتدرب الحيوانات على السني لتسدر وترد ضمرة الاتجاه المعين لها بجانب البئر ويسمى المجر فيذهب الحيوان ضمن المجر من قرب البئر إلى آخر المجر ويسعى الحيوان إلى المرافيع. عندما يصل الحيوان إلى المرافيع تكون الرلاء قد وصلت إلى سطح الأرض ومالت على المقام أو اللزي وأفرغت ما فيها من ماء في المقام المؤدي إلى الشريعة .

عند افراغ الدلاء يعود الحيوان إلى مسيره وتعود الدلاء إلى النزول إلى البئر لتملأ من جديد. وتتم هذه العملية بعودة الجمل حتى يصل إلى المقدامة وهي نهاية المجرّ وعندها يقوم أحد العمال بهز الدلو حتى يمتلئ بالماء ويعود الجمل إلى تكرار عمله .

وحسب كمية المياه المتوفرة فى البئر توضع كمية الدلاء لتكون معادلة لها وتكون عادة ثمانية. أربعة من كل جهة لأن بعض الآبار تسني ثمانية غروب أو أربعة أو ستة أو اثنين أو واحد .

تجمع المياه في الشريعة وعندما تمتلئ تضخ المياه لتنطلق من فتحات خاصة إلى قنوات الري ثم إلى الأشجار.

وهذه هي الطريقة القديمة السائدة في منطقة الجوف حتى اختراع المضخات الأتوماتيكية والتي بدأت عام ١٣٦٨ هـ

وأول مضخة آلية ركبت في المنطقة واحدة من نوع رستم أتى بها آل الشايع من الكويت والثانية أتى بها آل عيشان من الرياض والثالثة أتى بها ابن دهيان أما الرابعة هي الأكبر والأفضل عند الأمير عبد الرحمن السديري ثم تكاثرت المضخات.

وكانت المضخات السابقة غير عمودية. ويحفر لها قرب الماء في أسفل البئر حيث تدفع الماء إلى اى وكانت الآبار في سكاكا عميقة وحفر السكان أدراج طويلة للوصول إلى مكان المضخة في البئر...

ومنذ عام ١٣٧٦ هـ بدأت الآبار الارتوازية حيث وصلت للمنطقة آلات الحفر العميقة فكانوا يحفرون شرق دومة الجندل إلى عمق ١٠٠م فتنطلق المياه نافورية إلى ارتفاع ١٢ مترًا فوق سطح الأرض.

أما في مدينة سكاكا فكانت الحفارات تخرق الأرض إلى عمق ٦٠٠ مترًا دون أن تظهر المياه النافورية، ولكن أمير الجوف الشيخ عبد الرحمن السديري حفر في مزرعته المعروفة باسم السديرية فظهر الماء ضعيفًا على وجة الأرض ولكنه تابع الحفر حتى عمق ٩٥٠ مترًا فانفجرت المياه نافورية بشكل قوي وكان ارتفاع المياه ٣٧ مترًا فوق سطح الأرض.

وبعد هذه التجربة استمر الأهالي في حفر آبار ارتوازية ظهرت منها عيون نافورية أهما:

١ ـ عين اللقائط.
٢ ـ عين الدرعان.
٣ ـ عين الضلع.
٤ ـ عين مشعل الندا.
٥ ـ عين آل حيزان.
٦ ـ عين آل الشايع وشركاهم.
٧ ـ عين القرعا.

ومياه هذه الآبار حلوة وبعيدة عن المرارة أو الملوحة وهي معدنية صحية تسهل عملية الهضم. وقد قامت البلدية بحفر بئر على عمق ١١٠٠ مترًا بجانب دار الإمارة بالسديرية وقد وزعت منها البلدية المياه بأنابيب تزود المنازل بمياه الشرب والاستعمالات المنزلية لكافة أهالي سكاكا بدون رسوم أو قيمة وتغذي كافة المدينة بدون خزانات أو مضخا لقوة دفعها .

وسكاكا من البلدان التي يتوفر في شوارعها الماء السبيل لسقاية المارة بالمياه المبردة خلال فصل الصيف. وهكذا نعمت سكاكا بالمياه بعد أن قرر المهندسون المائيون والخبراء المزودون بالآلات عدم وجود مياه باطنية غزيرة فيها يمكن أن تندفع إلى سطح الارض، وكان ذلك بعد تجربة معالي أمير منطقة الجوف الشيخ عبد الرحمن السديري جزاه الله عن المنطقة كل خير.

الباب الثاني

تاريخ الجوف وآثاره قبل الإسلام

الباب الثـــاني

الفصل الأول

بداية الحياة في منطقة الجوف

تل الساعي ـ وغار حضرة

في العصور الحجرية الأولى أي منذ الألف العاشر قبل الميلاد كانت بلاد الجوف بلادًا مطيرة فبحر الخليج العربي كان يمتد إلى شمال بغداد وغربًا حتى رفحا على شكل دائرة تصل إلى وادي الغور أي منطقة القعرة ويمتد جنوبًا حتى يغمر الأحساء. لذلك كانت الأرض المجاورة للجوف شرقًا بحرًا كبيرًا واسعًا يمتد إلى شماله ويعطيه الرطوبة والأمطار عندما تهب الرياح الشرقية وتُصدم الرياح الغربية الآتية من البحر الأبيض المتوسط [١]

وهذه الأمطار مع التأثير البحري القريب جعل منطقة الجوف منطقة مزارع ومراكز سكنية بشرية في الكهوف الممتدة على جانبي جبال الجوبة الغربية والشرقية ...

كما كانت المناطق الغربية أقل ارتفاعًا بحيث لا تحجب رياح البحر المتوسط والبراكين الغربية سواءًا في جبل حوران أو حرات وادي السرحان أو حرة العويرض شمال غرب ساحل البحر الأحمر .. أقول هذه الحرات والاندفاعات البركانية لم تكن موجودة بل كانت منخفضات سميتُ فيما بعد باللابا لذلك كانت منطقة الجوف بعيدة عن فيضانات دجلة والفرات وحرارة رمال النفود اللاهية وحيث تتوفر المياه والأمطار أصبحت المنطقة الأولى الصالحة للحياة في شمال الجزيرة العربية بعد بلاد الشام.

---

(١) إن هذه الابحاث دراسة ميدانية على الطبيعة .

وكما عاش الساميون الأول في بلاد الشام والعراق كذلك عاش سكان الجوف قبل الإسلام، فقد عبدوا الجبال والقمم العالية، كما عبدها الساميون في سورية. ومن زار قمة جبل الشيخ وقلعة شبيب وشاهد المعبد الوثني السامي البدائي وأحجاره فإنه سيشاهد مثيلاً له في قمة جبل الساعي المشرف على مدينة سكاكا. وقد نشاهد في بحث تل الساعي صورًا لهذه الأحجار يمكن مقارنتها بالنسبة للباحثين من علماء الآثار.

وكما عبد الساميون ينابيع المياه التي نشاهد آثارها في نبع بانياس في الجولان وينابيع قاديشا والبردونة وبردى وعين الفيجة والخضراء وآبار المياه بجوار ابيلا في منطقة أدلب، كذلك نشاعد بقايا هذه العبادة عند قناة وبئر سيسره في سكاكا، وهذا يدل على أن منطقة الجوف كانت مع باقي مناطق سورية والجزيرة العربية في كل العصور تعبد نفس العبادة والآلهة، ونجد نفس الآثار وكل ما فيها متشابه تشابهًا كاملاً، ولكن الفارق الرئيسي هو أحرف الكتابة التي هي من أصل واحد، فالأبجدية العربية الجنوبية ـ كما يذكر المؤرخ العربي جواد علي[1] هي واللغات اللحيانية في شمال الحجاز، والثمودية شمال النفوذ والصفوية شمال الجوف كلها من أصل واحد. وهذه الأبجدية الأولى التي تعود إلى أصل واحد تتلاقى مع الأبجدية الفينيقية لتدل على أن هناك حضارة واحدة هي الأصل لكل هذه الكتابات والحضارات وهي الحضارة الأم التي ربما تكشف الأبحاث التاريخية عنها في وسط جزيرة العرب أو غربها.

ولنعد الآن إلى تل الساعي:

إن تل الساعي الذي يحوي المعبد الوثني البدائي القديم يثبت قدم الحضارة في مدينة سكاكا. فنحن نشاعد فخارًا ذا لونين. فخار أحمر على أرضية صفراء صنع باليد لذلك يتميز بالخشونة وسماكته أكثر من ١,٥سم خال من الزخرفة، وهو الفخار المماثل لفخار تل حسّونة شمال العراق أو تل الصّوّافْ. ومن مقارنة هذا الفخار مع

(١) تاريخ العرب المطول لجواد علي.

فخار تل حسونة نلاحظ التشابه الكامل بينهما، وندرك أن العصر الحجري أن منذ ٦٠٠٠ عام ق.م. وهذا الفخار عبارة عن بقايا نواويس جنائزية كانت توضع فيها جثث الأموات وتدفن في جدران الهيكل.

ثم ظهر بعده الفخار المشوي، والفخار المزيّن بحزوز دائرية حول الجرار. والفحار المشوي يعود إلى عصر العبيد[١]، والشّيُّ غير كامل، ومن جهة واحدة، وهكذا نلاحظ على الفخار طبقة حافظت على طبيعتها، والأخرى الخارجية مشوية تميل إلى السواد، وهذا يدل على أن الشّيَّ (الشوي) كان على النار وفي العراء وليس في أفران كما يحدث اليوم. وهذا الفخّار يعود إلى بداية الألف الرابعة قبل الميلاد ليس عليه أي شيء من الزخرفة (والله أعلم).

بعد هذا نشاهد الفخار أكثر نعومة مما يدل على أن يدا الصانع أصبحت أكثر مهارة، وزين الفخار بختم بيضوي يشير إلى الصانع ... لقد وجدنا قطعة واحدة من الفخار عليها ختم بيضوي وعليه إشارة ومن المعروف أن الختم البيضوي يشير إلى الصانع وهو تأثير عيلامي[٢] يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد وعيلام كانت دولة شرقي مصب شط العرب. مكان ديزفول اليوم على نهر قارون، وهذا الفخار قبل اختراع الكتابة وقبل اختراع دولاب الخزاف. بعد هذا ظهر الفخار الخزفي الجيد والذي شوي بدون أن يلامس النار ولكن الشّيَّ غير متقن وغير تام.

بعد هذا العصر نشاهد اختراع دولاب الخزاف، وبدأ الخزف الفخاري يتصف بالنعومة ورقة الملمس. والآنية أكثر أناقة وإن بقيت الأدوات الفخارية تقارب سماكتها ٠,٧سم بعد أن كانت ١,٥ ـ ٢سم.

---

(١) عصر العبيد نسبة إلى تل العبيد في العراق الأوسط حيث عثر على فخار مشابه لفخار تل الساعي. انظر تاريخ الحضارات لجورج حداد ـ جامعة دمشق.

(٢) نسبة إلى عيلام دولة على الخليج العربي مكان عربستان الآن، حيث قامت حضارة عرفت باسم الحضارة العيلامية وإلى الآن يطلق على المنطقة في العراق محافظة عيلام.

وهذا الفخار يمكن مقارنته بفخار العقير بالقطيف على ساحل الخليج العربي، وبهذا تدخل عصر القوافل التجارية التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهي معادلة لعصر صناعة النحاس في المنطقة.

أما تل الساعي فإنه يشرف على مدينة سكاكا القديمة حسب المصور المرفق ـ وأطراف التل كلها كهوف مسكونة، وقد حفرت حول أطرافه التي تشبه الجدارن، كهوف متعددة، ويتوسط هذه الكهوف في القمة المعبد الوثني قبل الإسلام. ذو الأحجار الكبيرة التي يزيد وزن الحجر الواحد منها على طنين من الصخر. وكانت هذه الأحجار ـ وعددها أحد عشر ـ واقفة غير منحوتة على شكل دائرة لها فتحتان متقابلتان.

الأولى مدخل المعبد، والثانية مكان تقديم الضحايا باتجاه الشمس شرقًا، والفتحة التي باتجاه الشمس تحوي (مذبحًا) مكان تقديم القرابين. وفي أرض المذبح كتابة قديمة.

أما باتجاه الجنوب فيمكن أن نلاحظ نقوشًا وصورًا متأخرة تمثل إنسانًا يقف على باب المعبد الشرقي عند القرابين ويرفع بيديه منبسطتين جانبًا ليقدم صلاته لإلـه الشمس على ما يبدو.

وقد حاول بعض السكان أن ينقش اسمه بجانب هذا النقش ـ كما هو في الصورة ـ وهذا يبرز أن المعبد كان لعبادة إلـه الشمس، وتقدم فيه القرابين.

وللمعبد درج منحوت في صخر التل على شكل درجات واسعة ما تزال آثارها ظاهرة رغم مرور الزمن وتأثير عوامل الحت والتعرية.

ويحمي الطريق المدرج إلى المعبد عدة أبراج مع سور لحماية المعبد، وهذه الأبراج مشرفة على المدرج بحيث يدخل إلى القلعة أو المعبد من الجانب الشرقي فيجد الإنسان نفسه في ساحة واسعة، أحد أطرافها مرتفع يظهر أن تمثال الإلـه كان يوضع فيه ...

---

(١) دراسة ميدانية.

في أسفل المدّرج ساحة واسعة مرتفعة عمّا يجاورها من الأرض ملتصقة بتل الساعي ويظهر أن هذه الساحة المشرفة على المشرق كانت مركزًا للعبادة في العهد الصفوي لم استطع ترجمتها ولكن على ما يظهر أنها كتابات شخصية لأشخاص حاولوا أن يتركوا ذكرى إلا كتابة المذبح فهي كتابة نبطية وصفوية وبعض أحرف لاتينية غير مقروءة وكل الجدران حول المعبدين والأبراج من الحجر ولا يوجد أثر لبناء من اللبن مما يدل حتمًا أنها قبل العهد الفارسي ٥٠٠ ق.م.

وقبل إنهاء الحديث لابد من كلمة أخيرة عن الصفويين. فالصفويون نسبة إلى أرض الصفا وتقع شرق جبل حوران «الدروز» وتسمية (الصفويون) ليست تسمية عربية قديمة وليست علمًا على قوم معينين أو قبيلة معينة وإنما هي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على مجموعة من القبائل كانت تنتقل من مكان إلى آخر طلبًا للماء والكلأ، ترعى ماشيتها في بادية الشام تحت سيطرة الروم البيزنطيين فنحن على هذا الأساس لسنا أمام مملكة أو دولة أو حكومة مدنية بل أمام قبائل.

واسماء هذه القبائل كما وردت في النصوص المبعثرة هي بدن ـ بعر ـ تر ـ. هجدل ـ هكدل ـ جر ـ كر ـ حزن حضي ـ حولت ـ حوالة ـ دمصي ـ سلم ـ صبح ـ ضف ـ عبد ـ عوز ـ غر ـ مرث ـ قمر بحرب ـ همغ ـ املكت ـ أشلل ـ بكسي ـ جعبر ـ جوا ـ حمد ـ حرم ـ حظي ـ حضي ـ حمي ـ زد ـ زبد ـ زهر ـ عذل ـ عمرت ـ فضح ـ نمارة ـ نحبر ـ هذر ـ هذير ـ هذار ـ تسمن ـ حميد[1].. وتعرف أن المذكور في النص اسم قبيلة من ذكر حرف (آل) قبل الاسم وكل الكتابات الصفوية المنتشرة وخاصة على قلعة قدير تدل على أن الصفويين لم يتأثروا بالثقافة الآرامية وإنما كانوا متأثرين بالثقافة اليمنية الجنوبية وقد يكونون هم أجداد قضاعة التي كانت تسكن شمال الجزيرة العربية كما يلاحظ من أسماء القبائل أنها قبائل عربية وكذلك لم يستعمل الصفويون الكتابة النبطية وإنما كانت كتابتهم تشابه الكتابة النبطية وتعود أكثر هذه الكتابات إلى ما بعد العصر الفارسي وكذلك

---

(١) تاريخ اللغات السامية ـ والفنون.

الصور على الجدران ولكنا نلاحظ في أحد التلال[1] الإشارات ذاتها التي وجدت على الفخار ذي الأختام البيضوية وهذا يدل على أن الكتابات كلها لا تعود إلى العهد الصفوي وإنما إلى عهود مختلفة قد يكون بعضها رموزًا لما قبل اختراع الكتابة.

ونشاهد في بعض النصوص إشارة إلى غزوة اليهود للمنطقة مثل : (سنت نزر اليهد) أي سنة غزو اليهود وهي تعود إلى المائة الأولى قبل الميلاد، كما نشاهد كتابات عن جنود هربوا من خدمة جيش الروم وجاءوا إلى المنطقة، وهذا يظهر لنا أن المنطقة كانت بعيدة عن سيطرة الروم... ونشاهد كتابات أخرى عن مجيء الميديين الفرس إلى بصرى سنة ٦١٤م.

أما أسماء المواضع الواردة في الكتابات الصفوية فهي ؛ الحمد ـ الرحبة[2] وهي موقع حرب بين حنين بن هعتق مع آل الحمد، لذلك ذهب بعض الباحثين إلى أن الحمد هي الرحبة.

بصرى، النمرة، النمارة، الحجرة وهي شمال شرقي الجوف، هشبكي أي الهبكة. حجر: وهي بلاد الأنباط شمال غرب الجزيرة[3].

وقد صور الصفويون صور الحيوانات مثل الجمال والغزلان، وكذلك الصيد ومطاردة الأسود، وكان سلاح الصفويين الرماح للفارس، والسيف والفأس للراجل.

أما إله الصفويين فهو إله هاجيل أي إله الجبل، مما يدل على أن مجيئهم من أرض جبلية. وإله الجبل كان يعبد في حمص في العصر اليوناني ويرمز له بحجر أسود كبير. كما نشاهد في كثير من التلال، وقد نحتت بشكل مربع أسود ذي أشكال حيوانية .

---

(١) تل الزقاقية.

(٢) في الفياض رياض حسنين جنوب تل الحماد. غربًا من مدينة سكاكا.

(٣) انظر تاريخ العرب المطول لجواد علي، وتاريخ اللغات السامية حول اللغة الصفوية.

في نهاية طريق القنيطرة وغيرها من المناطق المحيطة بسكاكا وكلها عبارة عن أحجار مربعة... كما في الصور المرفقة.

أما أسماء الرجال الصفويين فيمكن أن نشاهد

قصْيو بن كلبو	قصي بن كلاب
قصْيو بن روحو	قصي بن روح
قصْيو بن أذينت	قصي بن أذينة[1]..

وأخيرًا لابد من كلمة عن آثار الرجاجيل[2].. فحول تلال قمعيّة جميلة وفي أرض رملية خصْبة... كانت هناك زراعة ورعي في زمن مطير قبل اختراع الكتابة وبجوار مدينة قارة انشئت ما يعرف باسم الرجاجيل وهي عبارة عن منازل سكنها البشر تعود إلى ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد هذه المنازل متقاربة وعلى أشكال دائرية جدرانها من الحجارة المنحوتة الطويلة والمثبتة في الأرض ضمن أحجار على شكل أساسات ويدخل إلى البناء من جانب واحد داخل الأرض خوفًا من هجمات الأعداء ولحماية السكان داخله .. ويعتقد بعض الباحثين في جامعة الرياض أنها قبور قديمة تعود إلى عهد الأهرامات أي قبل اختراع الكتابة في بلاد العرب ولكن إذا كانت كل هذه الأبنية هي قبور فأين آثار سكان هذه المناطق...

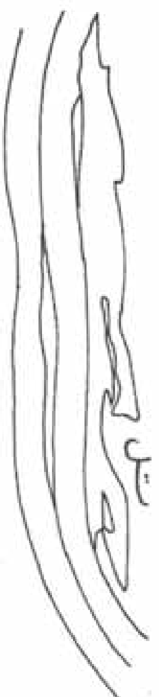
إن المنطقة مشابهة لأبنية معبد تل الساعي ومتقدمة عليها تاريخيًا كما هي مشابهة لقمة جبل الشيخ كما بينا في بداية البحث وكل هذه الآثار لمنطقة واحدة وحضارة واحدة.

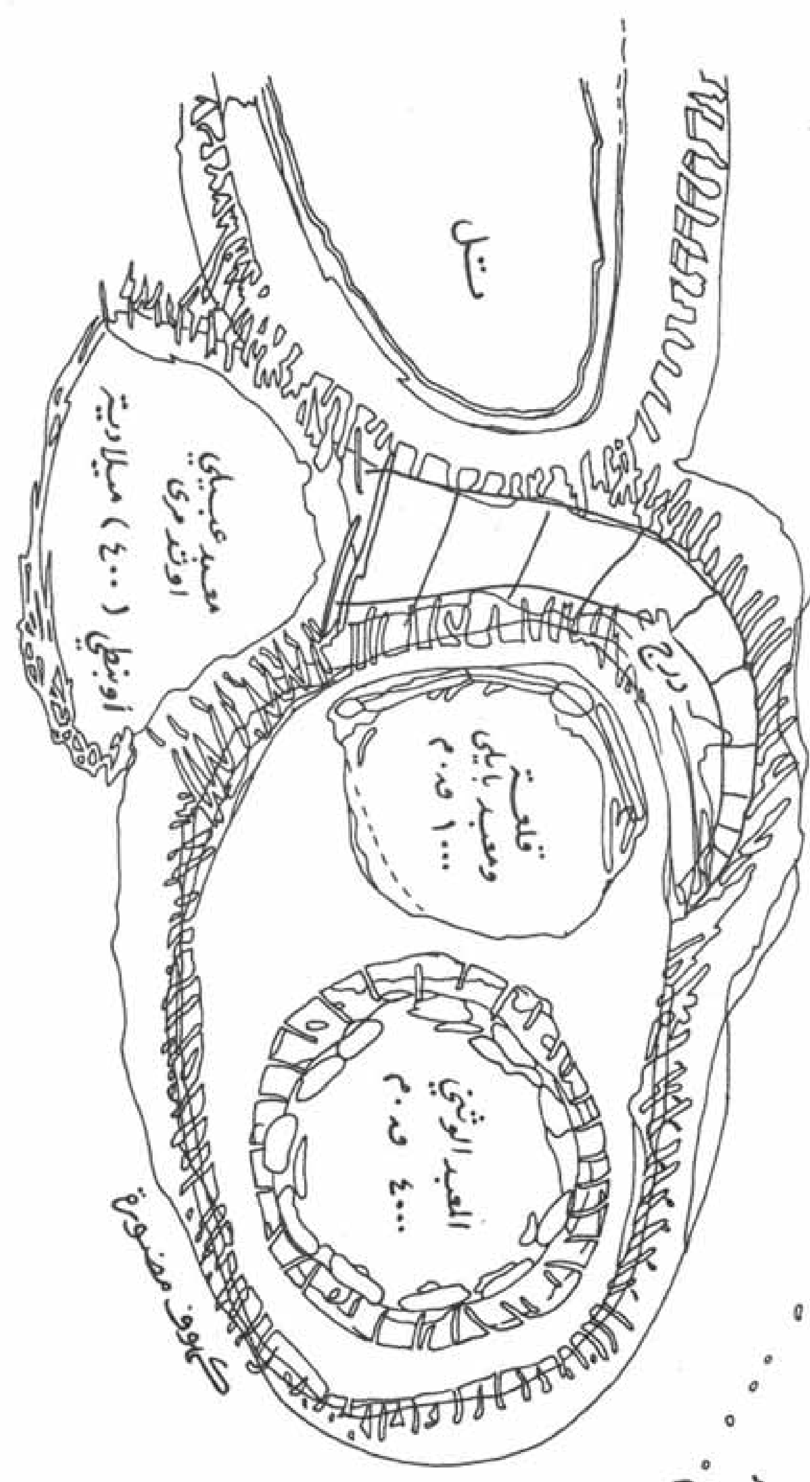
وإن وجود بعض الأحجار التي عليها نقوش وكتابات بدائية غير مقروءة ـ وقد نشرنا صورًا بعضها في الكتاب ـ ليشير إلى تاريخ هذه المنطقة وابنيتها وأنها من الألف الرابع قبل الميلاد وربما قبل أبنية الأهرام. وإذا قارنا بين تل الزقاقية الشبيه بأبي الهول

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ وتاريخ اللغات السامية.

(٢) انظر عصام الشريف مقال في مجلة الإذاعة السورية عن الرجاجيل.







شارع الملك خالد بن عبد العزيز

بئر الساعي

خرائب المدينة القديمة

حي آل جحيش

ـ وأبو الهول في مصر ـ أدركنا أن حضارة الرجاجيل هي قبل حضارة الأهرام بمصر، كما أن حضارة المعبد الوثني في تل الساعي مماثلة لمعبد شبيب. وكلا الحضارتين يعودان إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

وقد يتمكن علماء اللغات القديمة في المستقبل من ترجمة النصوص المنقوشة على أنصاب الرجاجيل وكشف التاريخ الخاص بالمنطقة. على أننا نشرنا في صور هذا الكتاب ما عثرنا عليه من النقوش القديمة في الرجاجيل ليستفيد منه الباحثون وتسجل كآثار إذا أصابها التلف.

على أن هذه الآثار تشير إلى أن شعبًا سكن المنطقة وزرع وديانها وأنشأ هذه الحضارة لتبقى آثارها قائمة كذكرى للحياة التي عاشوها والمدنية التي أقاموها. وبقيت آثارها وتراكمت عليها الرمال. ويمكن في المستقبل اجراء التنقيب والبحث التاريخي والأثري للوصول إلى الحقيقة كاملة. وما يهمنا هو الإشارة إلى هذه الحضارة والآثار، علمًا بأن البحث فيها يلزمه الخبرة والمال واللذان لا يتوفران إلا لدى الدولة والجامعات.

الفصل الثاني :

زعبل ـ ذو عبيل[1]

زعبل وأبو زعبل اسم لتل من تلال سكاكا يشرف عليها من الشمال الغربي كما تشرف قلعة محمد علي على مدينة القاهرة. وزعبل هو اختصار للكلمة العربية ذوعبيل، وكلمة ذو اطلقت على التل في العصر السبئي.

وعبيل ـ كما يروي الإخباريون العرب، وكما نقل عنهم العلامة ابن خلدون[2] هو (عوص) أو عوض أخو عاد، إذن عبيل معاصر لقوم عاد. وينسب الإخباريون بناء مدينة يثرب إلى عبيل وأولاده في القرن السابع قبل الميلاد. إلا أن العماليق سرعان ما طردوهم منها. لذلك يقول ابن خلدون «إنهم نزلوا في مكان بين مكة والمدينة..» وبعد ذلك تكاثر العبيليون واشتغلوا بالتجارة بين اليمن وبلاد الشام أو العراق. ويظهر أنهم بنوا قلاعًا لحماية تجارتهم، وكانت قلعة عبيل في سكاكا إحدى هذه القلاع. ولدى زيارة قلعة زعبل أو (ذو عبيل) في سكاكا نشاهد الأسس الحجرية للقلعة والتي يظهر أنها تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد. وإضافة إلى ذلك فإننا لا نجد فيها أنواع الفخار المتناثر كما في تل الساعي، وبجانبة تل برنس والذي يشبه الأب وابنه، وقد كان أحد مراكز العبادة السامية، عبادة (بعل وأدونيس) فيما بعد...

وهذا المعبد قد يكون محاطًا بالأحجار الكبيرة مثل ما وجد في تل الساعي استعملها العبيليون في البناء عندما حلوا في منطقة سكاكا وسكنوا الكهوف داخل التلال بعد مملكة قدير ومساي التي ضعف أمرها.. وهكذا حيث لا يوجد من كتابة أو نقوش تبين تاريخ بناء القلعة أو آثارها إلا بقايا أحجار كبيرة في أساس البناء، ثم سور وأبراج طينية. ويحتمل أن القلعة بنيت لحماية القوافل العبيلية. لذلك سميت باسم بانيها، واضيف إليها (ذو) فأصبحت (ذوعبيل) ثم خففت فأصبحت (زعبل).. أو

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص١١٢ ـ ١١٣.

(٢) ابن خلدون ـ الجزء الأول من تاريخه.

أن العمالقة من العرب الذين طردوا العبيليين من يثرب، نزح بعضهم إلى الشمال الشرقي وسكنوا في هذا الحصن، سيما وأن أبنية الجوف قبل الإسلام وكذلك خيبر وتيماء كلها حصون مثل بناء زعبل الآن.

أما التوراة فتشير إلى عبيل وعوبال على أنه من ولد يقظان أي قحطان في المصادر العربية، وبذا يكون عبيل يمنيًا من عرب الجنوب هاجر إلى المدينة هو وأولاده واشتغلوا بالتجارة وتكاثروا، كما صنع فيما بعد الأوس والخزرج. لذا رأى بعض العلماء أن عبيل هو المذكور في التوراة والذي سكن وأولاده المدينة وانتقل بعضهم إلى مناطق أخرى[1].

ويمكن أن يكون عبيل هو عبادي (عباد يدي) المذكور في النصوص الآشورية والذي كان أحد ملوك قيدار أو (قُدير) كما تسمى الآن.

وعبيل ذكر عنه المؤرخون الإخباريون العرب منهم؛ ابن خلدون وابن حبيب والمسعودي في مروج الذهب وياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان والبكري والطبري والقلقشندي، لذا فهو واقع.

وقد جدد زعبل من اللبن. وبعض اللبنات فوق الأحجار تعود بقدمها إلى العصر الفارسي مما يدل على أن الفرس سكنوا أو احتلوا المنطقة في القرون الثلاثة قبل الميلاد.. وبقيت القلعة تجدد إلى أن جددت في المرة الأخيرة في عهد آل الشعلان، وكان يجلس ويتحصن فيها (منصوبه) خوفًا من محاربة السكان له.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن عبيل هو مكان باليمن قريبًا من صنعاء ولكن إذا ذكرنا أن معلومات كتا ا التوراة عث العبرانيين لم تكن تتجاوز المناطق المحيطة بفلسطين أدركنا ضعف هذا الرأي. وقد كان للعبرانيين علاقات تجارية ومصاهرة مع المنطقة، ولكنهم لم يسكنوا ولم يحتلوا المنطقة كما يتبادر لأذهان بعض المتأثرين بالكتّاب الأجانب الذين زاروا المنطقة، لأننا لا نشاهد في المنطقة أية نجمة سداسية

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي.

أو أية إشارة إلى الشمعدان ذي الرؤوس السبعة في كل الأماكن الموجودة في سكاكا ودومة الجندل. وأما القول الذي يتناقلة المسنّون في سكاكا من أن زعبل يهودي من يهود المدينة وأنه قتل في هذا التل الصحابي الذي مسح الرسول ﷺ على رأس ابنه، فقصص غير حقيقية، وليس لها أصل في التاريخ ولا في كتب السيرة.

أما علاقات العبرانيين التجارية وعلاقات المصاهرة مع المنطقة فثابتة تاريخيًا.

يقول المسعودي: وكان يثرب بن قانية بن مهليل بن ارم بن عبيل نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت يثرب. وهذا يشير إلى أن عبيل أقدم من يثرب. ويتابع المسعودي[1] فيقول. مهلك هؤلاء أيضًا ببعض غوائل الدهر وآفاته فقال شاعرهم:

عين جودي على عبيل وهل يرجع ما فات فيضها بالسجام
عمروا يثربًا وليس بها سفر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا الغسيل بالآجام

وقد ورد في كتاب الله الكريم اسم عاد أخي عبيل. فقال تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة ۝ فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾.

وإن عادًا أهلكوا بالريح العقيم فخرجت الريح عليهم من واد لهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فأهلكتهم الريح.

---

(١) مروج الذهب.

الفصل الثالث

أصحاب الكهوف ـ حضرة ـ حضورا[1].

إن عادًا وثمود وأصحاب الرس في زمن واحد. والحضارة الثمودية مشهورة في الجوف بكتاباتها، وهذه الكتابات الثمودية تشير إلى سكنى المنطقة من قرون كثيرة قبل الإسلام. والرس لغوياً هي البئر القليلة الماء كما يذكر علماء اللغة. وكهف حضرة أمام بئر سيسرا وهي بئر قليلة المياه.

ويعتقد الهمداني أن هذه البئر في بيحان باليمن والهمداني من همدان يكتب عن اليمن أما المؤرخ اليعقوبي فيعتقد أنها بين العراق والشام إلى حد الحجاز. وهذاالتحديد يعني أنها في منطقة الجوف والله أعلم.

فالجوف بين العراق والشام إلى حد الحجاز ولا تزال حتى الآن كل أسماء المناطق في الجوف تعود إلى عهد ما قبل التاريخ بأسمائها العربية المستندة إلى طبيعة المكان والبيئة أو طريقة حياة السكان.

وقد ربط كتاب الله، القرآن الكريم. بين أصحاب الرس وبين عاد وثمود. ثم ربط بينهم وبين قوم نوح. وذكر المفسرون لكتاب الله المنزل أن الله أرسل إليهم نبياً هو شعيب بن ذي مهرع أو مهدم. وذهب آخرون أنه حنظلة بن صفوان وقد ذكروا أنه وجد على قبره هذه الكتابة:

«أنا حنظلة بن صفوان ـ أنا رسول الله بعثني الله إلى حمير وحمدان والعريب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني».

هذا في نصوص الهمداني، أما النصوص البابلية وهي تؤيد الرأي الذي يقول إن حضرة في سكاكا ... هي الرس فتقول إن بختنصر الامبراطور البابلي غزا حضوراً التي

---

(١) مروج الذهب ص١٢٨ وما يليها حتى ١٣١.

تقع بين بابل وتيماء والنقطة المتوسطة بين بابل وتيماء هي الجوف ... وسبب الغزو هو أنهم كفروا بنبي لهم يدعى شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضور... ولذلك طلب الله إلى النبي اليهودي برخيا بن أخيبا أن يذهب إلى نبوخذنصر ويأمره بغزو بلاد العرب الذين لا إغلاق لبيوتهم (وكل) الكهوف القديمة في سكاكا بلا أغلاق)[1] فيقتل مقاتليهم ويسبى ذراريهم ويستبيح أموالهم لأنهم كفروا بشعيب نبي الله...»[2].

ومن مناقشة هذه الرواية نلاحظ أن اليهود في فلسطين في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ـ أي عندما كانت دومة الجندل منطقة زراعية ـ أرسلوا نبيًا لهم ليسيطر على عرب هذه المنطقة فرفض العرب (في الجوف) السيطرة اليهودية باسم النبوة. ويظهر أنهم لم يستطيعوا أن يقاتلوا العرب فاستعدوا عايهم بختنصر أو ـ كعادة اليهود إلى الآن ـ يثيرون علينا عداء أميركا وأوروبا وروسيا ؛ يؤلبون العالم علينا ويشوهون سمعتنا ما استطاعوا ـ نعم كعادتهم هذا ما فعلوه في تلك الأيام. ولكي يهاجم الملك البابلي منطقة الجوف كان لا بد له من أن يبعد عنها القوافل التجارية ويحولها إليه، وهذه القوافل كانت تمر من الأبلّه إلى أيلة[3] ،لذلك جمع بنوخذ نصر التجار العرب في منطقة النجف الأشرف وبنى لهم (حيْراً) أي حصنًا حبسهم فيه كي لا يتاجروا مع المنطقة.

ونادى في الناس بالغزو، وكانت بعض القبائل العربية تأتي إلى الأمبراطور البابلي وتقدم له الخضوع والطاعة وعندها كان يسكنهم في الحيْر. وعندما امتلأت بهم (الحَيْر) بنى لهم الأنبار في أعالي الفرات. وطريق القوافل بين العراق والمدينة مروراً بالجوف أو حضره ظل مطروقاً بالوسائل القديمة حتى نهاية عام ١٣٦٨ هـ حيث

---

(١) كل الدور والمزارع في سكاكا ودومة وكل الجوف لا تغلق أبوابها عادة اطلاقًا وهي عادةَ قديمة متأصلة في البيئة منذ القدم حتى الآن.

(٢) مروج الذهب ـ للمسعودي.

(٣) الأبلّة على الخليج العربي قرب البصرة الآن وايله هي العقبة في الأردن.

حلت الوسائل الحديثة بدلاً منها. وكانت القوافل قديماً تسير بهداية النجوم من سكاكا إلى تيماء. وسكاكا هي الموضع المذكور والمقصود من هذه النصوص.

أما الرواية الثانية التي يذكرها الإخباريون العرب فتقول: إن معد بن عدنان الذي كان يسكن في (حضره) طار على البراق إلى حرّان بشمال سورية وأنه وضع يديه على الأرض ودعا ربه لينجيه من بختنصر والغزاة فساق الله إليه البراق فحمله، ولا يزال موضع يديه على الجبل عند وصول البراق... وذلك لأن الله سيخرج من صلب معد بن عدنان نبياً يختم به الأنبياء وهو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

إذًا أكثر النصوص القديمة تشير أن غار حضره في سكاكا وهو غار كبير في تل يدعى الآن تل الساعي والكهوف كانت حول التل وهناك كتابات في التل ثمودية ونبطية ولاتينية قديمة كما أن به صوراً رمزية قديمة لعبادة إله الشمس...

على أن نبوخذنصر بعد أن أغار على حضره وهدم مبانيها وقضى على آلهتها أي عبدة الشمس كما ترى ذلك في النقوش حول البلدة بنى مركز عبادة جديد بالحمى[1] وهو يضيف عبادة النار المشتعلة إلى عبادة الشمس ومركزها الحمى يبعد عن حضره ١٢ كم وهناك خصص كهفًا كبيرًا لإيقاد النار وقد هدم الكهف فيما بعد ذلك بعد أن أطفئت آثار النيران عند مجيء الإسلام ثم هدمت الكهوف في العصور المتأخرة ولا تزال بقاياها حتى الآن عبارة عن صور رمزية لمعبد النار إضافة إلى صور رجال مقاتلين يحمون المعبد بأيديهم وأسلحتهم والنار مشتعلة ضمن المعبد كما تظهر في الصورة ... وقد كتب فوقها في العصر الإسلامي الجملة التالي: (عبدالله ما يغلب). وخط الكتابة يشير إلى الخطوط القديمة غير المنقطة في العصر الإسلامي.

وهكذا كانت حضرة هي المركز الرئيسي الأول للدفاع عن الجزيرة العربية ضد الملوك البابليين والفرس وأعطاها الإخباريون العرب مركز القداسة بنسبة مسكن معد ابن عدنان بها أو أنهم أشاروا إلى أن سكانها هم من أولاد اسماعيل بن ابراهيم وأشاروا إلى ذلك بكلمة معد بن عدنان.

---

(١) إن هذه الآثار من مزرعة المؤلف في فيضة الحمى.

وقد بقيت المنطقة ـ سواء الجوف أو سكاكا ـ مركزًا هامًا واستراتيجيًا في الجزيرة العربية. واليوم أصبحت عاصمة شمال المملكة العربية السعودية أما القتال الذي دار بين نبوخذنصر وسكان سكاكا أو (حضره) فقد وقع في منطقة مجاورة هي ذات عرق وهي قريبة من سكاكا الآن شرق اللقائط. وتذكر روايات الإخباريين أن قتالاً شديدًا جرى في ذات عرق أي أن الطرفين كانا متعادلين في القوة، وأن سكان سكاكا القدماء هم الذين دافعوا عن الجزيرة العربية.

وبعد المعركة سار الملك البابلي في بلاد العرب مطاردًا المنهزمين وتوغل نبوخذنصر في بلاد العرب باتجاه العقبة ... وكان عدنان قد جمع العرب مرة ثانية من وادي عربة إلى (حضوره) وقد خندق كل واحد من الفريقين على نفسه، أي أن الحرب حرب خنادق، كما يذكر الهمداني ولم يستطع نبوخذنصر أن يحقق النصر إلا بعد أن أعد للعرب كميناً ... فأخذت السيوف البابلية العرب وانتصر الملك البابلي وعاد بعدد كبير من الأسرى والسبايا أسكنهم الأنبار ـ بينما عادت بلاد العرب (حضورد) خرابًا [1].

أما جد العرب العدنانيين الذي هرب على البراق إلى حران فقد عاد إلى مكة وهناك تزوج جرشم بنت جلهمة من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي فأنجبت له ولدًا ذكرًا سماه نزارا، وهو جد العرب [2] وتسمية العرب العدنانية عرب الشمال مما يؤيد قول الإخباريين هذا..

أما ما تقوله الرواية الاخبارية. إن سبب هجوم بختنصر على العرب هو تحريض النبي اليهودي أرميا أو برخيا، فهذا حسد وغيرة من اليهود أبناء اسحاق الذين احتلوا فلسطين قديمًا من سكانها الكنعانيين وأرادوا أن يسيطروا على التجارة بين البحر الأحمر والخليج العربي.

---

(١) الاكليل ـ للهمداني.

(٢) البداية والنهاية ـ لابن كثير.

وكانت هذه التجارة بيد سكان الأزرق ووادي السرحان وسكاكا الجوف ودومة الجندل لذلك بذل اليهود كل جهودهم لإيقاع الفتن والحروب حتى يسهل لهم فرض سيطرتهم على التجارة وجمع ما يستطيعون من المال...

ومع هذا يذكر المسعودي أن بني حضرة أمة عظيمة ذات بطش وشدة وغلبت على كثير من الأرض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من ألحقهم بالعرب البائدة ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث ابن نوح. وقيل في أنسابهم وجوه كثيرة. وكان الله عز وجل قد بعث إليهم نبياً هو شعيب بن مهدم بن حضوره بن عدي ناهياً عما كانوا عليه من طغيان وهو غير شعيب بن نوبل بن رعويل بن مرّ بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل وقد كان بين موسى بن عمران وبين المسيح ألف نبي وفي نسخة أخرى ألف سنة..

ولما بعث شعيب إلى حضورا واشتد كفر أهل حضورا بنبيهم شعيب بن مهدم رغم أنه خوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل للنبوة أظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبات حجته ولكن الله لم يضيع دمه ولم يكذب وعيده فأوصى الله تعالى إلى نبي كان في عصره وهو برخيا بن أخيبا بن زرنائيل بن شالتان وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام أن يأتي بختنصر وكان بالشام وقيل بغيرها .. فيأمره أن يغزو بلاد العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم .. فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له صدقت لي سبع ليال أؤمر في نومي بما ذكرت وأُنادي بمجيئك إليّ وأبشر بخطابك .

ويقال لي ما أمرتني به وأن أنتصر للنبي المقتول الفريد المظلوم فسار إليهم بجنوده وغشي دارهم في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد اشتعلت لحرب بختنصر من حيث عمّ الصوت جميعهم وهو يقول :

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة   وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذلك يُضل الله من كان قلبه   مريضاً ومن والى النفاق وألْحَدَا

---

(١) انظر المسعودي مروج الذهب الجزء الأول .

فلما سمعوا ذلك علموا أن الأمر قد نزل بهم فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم يتراكضون وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين ، وفي قصة هلاكهم قال الله عز وجل : « فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون » .

منازل حضورا : وقد اختلف المؤرخون في موقع منازل حضورا فمنهم من رأى أنهم كانوا بأرض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام إلى أرض الحجاز ، وهي الآن ديار خراب وبراري وقفار ، ومنهم من رأى أن ديارهم كانت (بلاد جند قنسرين) إلى تل ماسم إلى خناصره ـ إلى بلاد سورية ، وهذه المدن ـ في هذا الوقت ـ مضافة إلى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام .

قال المسعودي: «وقد أتينا على جُمل من أخبار العرب الماضية والباقية، وقد كان قبل ظهور الإسلام للباقي منهم آراء ومذاهب في النفوس»[١] .

ومن المعروف أن هذه المواقع وهي (غار حضره أو حضورا) وتل ماسم (أي أُميسن) و(تل الخنصر) أماكن موجودة في منطقة الجوف بالقرب من سكاكا، ومازالت محتفظة بهذه الأسماء حتى الآن، وهذا يشير إلى أن منازل حضوره تقع في منطقة الجـوف.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي

الفصل الرابع

العـرب في مـصر
أو البداية الأولى لظهور الجوف على مسرح التاريخ العالمي

إن أول ذكر تاريخي لمنطقة الجوف ووادي السرحان يعود إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد مع دخول الهكسوس مصر هاجم الملوك الرعاة مصر وأنقذوا الشعب المصري من تحكّم فراعنته وحملوا إليه الحضارة والديمقراطية...

من هم الملوك الرعاة...
تشير النصوص المصرية القديمة أنهم شعب يسكن شرق جبال مؤاب والشراة ... ويعملون برعي الإبل والماشية وينتقلون طلباً للرعي كما كانت لهم قوافل تسير إلى مصر لتمتار الحبوب ويحملون إلى مصر الذهب واللبان والبخور وهي القوافل التي حملت فيما بعد النبي يوسف عليه السلام ... وقد سماهم المصريون الهكسوس ... ومعناها باللغة الفرعونية الهيروغليفية القديمة الملوك الرعاة..

ولكن لماذا تغلب الملوك الرعاة على جيوش فراعنة مصر هذا ما تشير إليه النصوص ... القديمة ... فالشمس في مصر لا تشرق بمواعيدها[1] وكذلك النجوم والنيل أصبح يفيض في غير أوقات الزراعة...

وفراعنة مصر أول من تأثر بهذا الغضب الإلهي فقد ضعفت سلطتهم وقوي الإقطاع في الريف مما جعل الفوضى تسود مصر وسهلت هذه الفوضى احتلال الملوك الرعاة لمصر.

---

(١) كان المصريون يعبدون النجم سيروس أو سهيل بالعربية وكان يشرق في أول تموز من كل سنة ويتوافق موعد شروقه مع فيضان النيل وبنوا عليه حساباتهم وسنة سيروس النجمية تختلف عن سنة الشمس بمقدار ربع نهار ولم ينتبه المصريون إلى هذا الإختلاف في التقويم فظنوا أن الآلهة غضبت عليهم ولما كان فرعون أحد الآلهة فَقَدَ احترامه نتيجة لعدم توافق الفيضان مع طلوع النجم.

وفي المحافظة الشرقية لمصر قرية تسمى بني حسن قريبة من الدلتا كشف فيها عن نقوش تمثل هؤلاء الملوك الرعاة ... ويتبين أنهم متوسطو القامة لهم لحى طويلة .. يحلقون شعر رؤوسهم ويلبسون أردية طويلة تغطي أجسامهم ... وينقلون متاعهم على حيواناتهم..

هؤلاء الملوك الرعاة .. هزموا جيوش فرعون .. ولماذا .. لأنهم كانوا يركبون الخيول التي تصول وتجول في المعركة وجنود فرعون يركبون الحمير... كانت أسلحتهم من الحديد بينما سيوف جنود فرعون من البرونز الذي كان يتكسّر أمام ضربات السيوف الحديدية والأكثر من ذلك أن هؤلاء الملوك الرعاة يركبون العربات المحمولة على محور مثبت من جانبيه على (دولابين) عجلتين ... والعربة تجرها الخيل وظهرها طليق ... تجاه هذه الأسلحة والحيوانات وفنون الحرب كان المصريون يفرون أمام الملوك الرعاة ... واستطاع هؤلاء احتلال الدلتا ... وانتقلت عاصمة مصر من هيليوبوليس (منف) بجانب القاهرة إلى طيبة الإمارة الجنوبية.

أقول أسس هؤلاء الملوك الرعاة مملكة في دلتا النيل كانت عاصمتها مدينة (أفاريس) في شرق الدلتا .. وحكموا مصر مدة ٣٠٠ سنة كما تروي أوراق البردي المصرية .. ونشطوا الزراعة والتجارة وأصبحت قوافلهم تجري من الخليج إلى النيل ... ولكن من أين هؤلاء الملوك الرعاة...!!

المصادر العربية القديمة ... وأهمها كتاب الهمداني .. يقول: إنهم من العماليق وينسبهم إلى عمليق بن لوذ بن سام بن نوح وهو شقيق طسم .. ويعطي لهم أسماء مثل بني الأزرق (كان وادي السرحان يسمى وادي الأزرق) وبني تميم، وبني غفار. وإلى الآن بنو غفار فرع من قبيلة النعيم(١) . وكذلك تيماء اسم مدينة حتى الآن ... وبني راحل، يقصد أنهم رحّل .. وبني مصر أي ينتمون إلى مصر، وبني نجد ... إلى آخر هذه الأسماء التي تشير إلى مناطق سكنهم...

---

(١) هناك تشابه بالأسماء ولكنه يعطي دلالة تاريخية معينة.

ويمكن أن نلاحظ أن كل هذه الأسماء هي أسماء عربية لأشخاص وقبائل وأراضٍ...

أما الطبري فيقول: إن منهم الملوك الجبابرة بالشام وهم الكنعانيون. ونحن نعلم أن الكنعانيين والفينيقيين هاجروا من الجزيرة العربية، من منطقة قطر والبحرين وجزيرة هاروت ... مروراً بمنطقة الجوف إلى فلسطين ولبنان. ويظهر أن طائفة منهم خلال ترحالها تعلمت من السومريين صناعة الحديد. وأخذت عنهم تربية الخيل ثم هاجمت مصر ... ثم يضيف أن الأرقم ملك الحجاز وتيماء كان منهم.

أما المصادر العبرية فتقول: إن هؤلاء العرب العماليق يشابهون سكان مصر لأن سكان مصر أبناء مصرايم بن حام بن نوح بينما المؤرخون المصريون يقولون إنهم من أبناء سام وحام معاً وهذا النسب المزدوج نتج عن غزو العرب العماليق لمصر.

أما النصوص البابلية فتشير إلى الملوك الرعاة باسم ماليق أو مالك ... مالوق ... ملك ... وقد أضاف إليها العبرانيون اسم عم أي شعب فأصبح عم ملك (عماليق).

إذًا هؤلاء بنو الأزرق وتيماء ونجد ومطير ... هم غزاة مصر الحاملين الأول للدم العربي الشمالي إلى مصر بعد أن حمله العرب اليمانية من الجنوب ... كانوا فاتحين إلى مصر حاملين معهم الحضارة ... والقوة ... ويقول الطبري أنهم أول من تكلم باللسان العربي في مصر ... فهو يذكر أن عمليقاً أبا العمالقة أول من تكلم باللسان العربي حين ظعن من بابل[1].. حيث كان سكان بابل يتكلمون اللغة الآرامية السريانية وهي إحدى اللغات السامية القريبة من العربية..

ولكن الطبري يعود فيذكر أن الله فهَّمَ العربية إلى كل العرب، عاد وكانت تسكن النفود وعبيل وكانوا يسكنون المدينة يثرب وتيماء وسكاكا وثمود .. وجديس وطسم وأميح .. وبني يقطن ... وكلهم من أحفاد سام بن نوح ... وكلهم من

---

(١) كانت بابل على ضفاف الفرات وحين ظعن منها عمليق تكلم بالعربية.

جزيرة العرب ... وكثير منهم إما من الجوف أو من وادي السرحان «الأزرق» أو مما حولهم.

عاش الملوك الرعاة في مصر مدة (٣٠٠ ـ ٤٠٠) عام وبعد أن تعلم منهم المصريون بناء المساكن وصناعة الأسلحة الحديدية وتربية الخيل ... وصنع العجلات ... وقوي جيش مصر في طيبة اندفع بقيادة فرعونها (أحمس) وأرجع الملوك الرعاة إلى الصحراء الشرقية ... وغيرها ليقيموا دولاً في شرق الأردن ووادي الأزرق وديدان وغيرها ... ويواصلوا تجارة القوافل بين مصر وفلسطين والجزيرة العربية...

---

(١) إن مصدر هذه الافكار هي :

١ ـ تاريخ شرق الأردن وعشائره للكولونيل لبيك.

٢ ـ تاريخ الحضارة (ول ديورانت) طباعة وترجمة مصر.

٣ ـ تاريخ الحضارة (د. جورج حداد) استاذ التاريخ في جامعة شيكاغو.

وقد أخذت المعلومات من رسالة دكتوراه لم تنشر لأن كاتب الرسالة يحتفظ بحق الابتكار.

الفصل الخامس

الجوف والآشوريون
عهد جندب وقيدار

جندب الأمير العربي من بادية السماوة اشترك في الحرب مع أمراء بلاد الشام ضد الأشوريين .. وهو أول أمير عربي أو رئيس مجموعة قبائل متوحدة في بادية الشام دخل التاريخ الخاص بشمال جزيرة العرب.

ويعود عهد جندب إلى المائة التاسعة قبل الميلاد أي عهد سلمنصرّ الملك الآشوري .. فقد جاء في المدونات الآشورية أن حلفاً عقد ضد سلمنصّر أو شلمنصّر تألف من عدد من ملوك المدن الآرامية ورئيس قبيلة أو مجموعة قبائل عربية كانت تسكن البادية جنوب بلاد الشام عام ٨٥٣ ـ ٨٥٤ ق.م.

والملوك العرب القاطنون في المدن «الحضر» كانوا يدعون بأسماء المدن أو الأماكن التي يسكنون بها والتي اشتهروا بها. وهذا الاستعمال كان للعرب والآشوريين .. وكان رئيس التحالف ضد الآشوريين ملك دمشق المعروف في التوراة باسم بن حدد ... والسبب هو تدخل الأشوريين في شئون مملكة حلب ... حتى أجبر ملك حلب على دفع الجزية للأشوريين مكرهاً ... لذلك جمع بن حدد ملوك المدن الآرامية ورؤساء القبائل العربية وانضم إليهم آخاب ملك إسرائيل وملوك المدن الفينيقية .. فكان مجموع الملوك أحد عشر ملكاً.

أما من عرب البادية فكان الأمير جندب العربي وقد تلاقى الجمعان في موقعة قرقر شمال سورية على نهر العاصي بالقرب من الشغر إنهزم نتيجة المعركة ملوك الدول الآرامية وقد اجتمعوا على بغضهم الشديد للآشوريين ورابطة الدفاع عن مدنهم.

---

(١) انظر جواد علي تاريخ العرب المطول جـ٤.

انتصر الملك الأشوري بسهولة وأوقع خسائر كبيرة في صفوف المتحالفين، وغنم كثيراً وقد ورد في النص المدون: «قرقر العاصمة الملكية أنا أتلفتها أنا دمرتها .. أنا أحرقتها بالنار، ١٢٠٠ عجلة، ١٢٠٠ فارس (لحدد عزر) ١٠٠٠ جمل لجندب العربي ـ كل هذا صنعته بالملوك العرب وقد جمعهم (حدد عزر) لمساعدته عندما برزوا إلى المعركة».

إذن جنديبو أو جندب أول اسم عربي يرد في المدونات الآشورية عن العرب. ولكن شلمنصر لم يشر إلى أرضه أو مكان سكنه وتجواله، على أن القرائن تدل على أن مملكته على طرف بادية الشام الجنوبي الشرقي لدمشق، ويرى جواد علي أن جندب ملك على غرار ملوك الصحراء من سادات القبائل العربية مثل الغساسنة في بصرى والمناذرة في الحيرة.

وسلمنصر عاد بعد المعركة إلى بابل ونزل حتى حدود الكويت ودخل أرض الجزيرة من الشمال.

الإشارة الثانية إلى العرب في المدونات الأشورية تعود إلى زمن تفلات فلاصر، حيث دفعتْ الجزية للملك الأشوري ملكةٌ عربية كانت تحكم أريبي واسمها زبيبة أو زبيبي. ويرى المؤرخ الألماني (موزل) الذي نشر النصوص الثمودية الخاصة بمنطقة الجوف أنها من منطقة أدومو (دومة الجندل) وأن زبيبة كانت كاهنة في مملكة قيدار (قدير) وهو حصن في قارا جانب دومة الجندل. وزبيبي تحريف لاسم زبيبة وهو من الاسماء العربية.

والهجمات الأشورية من الشمال نحو حلب، ومن الجنوب نحو قدير أو دومة الجندل تدل على أن الأشوريين كانوا يحاولون السيطرة على الطريق التجارية من العراق إلى البحر المترسط، ولما سيطروا على الطريق الشمالية المجاورة للفرات حتى المدن الفينيقية تحول الطريق إلى الجنوب، وتحالف أمراء شمال الجزيرة العربية في دومة الجندل ووادي السرحان ومملكة قدار (قُدير) مع ملوك سورية وفينيقية. لحماية الطريق الجنوبية الجديدة بعد انهزام التحالف الشمالي في معركة قرقر. ولكن الملك الأشوري

أراد إغلاق الطريق الجنوبية المارة بمنطقة الجوف دومة الجندل فهاجم كالدو «أي الكلدانيين في بابل» ثم ساحل الكويت ثم منطقة دومة الجندل وأن الملكة زبيبة التي كانت تشرف على معابد المنطقة المخصصة لعبادة الأصنام دفعت الجزية إلى الملك الأشوري لتضمن مرور القوافل من بلادها. بعد أن هزمت جيوشها في المعركة وتغلبت قوات الملك الأشوري.

وهكذا سيطر الآشوريين على الطريق التجارية المارة في شمال الخليج العربي إلى منطقة الجوف ثم إلى الأردن وفلسطين حتى مصر وهو الطريق الحديث والمختصر بدلاً من طريق الفرات ثم العاصي حتى فلسطين ... وبهذا الطريق التجاري الجديد تبرز منطقة الجوف وأهميتها التجارية خلال التاريخ...

وقد ورد في المدونات الأشورية اسم الملكة شمسة التي خلفت زبيبة في حكم منطقة الجوف ويبدو أن هذه الملكة لم تدفع الجزية للملك الأشوري تفلات فلاصر ... مما دعاه أن يحارب هذه الملكة ويجبرها على دفع الجزية بعد أن تغلبت عليها جيوش الإله آشور ويدّعي الملك الآشوري أن سبب الحرب هو أن الملكة خنثت بعهدها الذي قطعته للإله جماش أن لا تتعرض للقوافل الآشورية..

وقد انتصر الملك الآشوري واستولى على مدينتين من مدنها وعلى معسكرها ولم يبق لها إلا الخضوع له وتأدية الجزية جمالاً ونوقاً ... ومما يظهر في النص أن الملك الآشوري لم يحارب شمسه إلا بعد أن أخضع دمشق وخرّب بساتينها ثم اتّجه إلى دومة الجندل مركز شمسه واحتل مدينتين من مدنها وقد تكونان سكاكا ودومة الجندل أو النبك وكاف لأن المدونة الآشورية لم تبين طريق الهجوم فإذا كان من الشرق فالمدينتان سكاكا ودومة أما إذا كان الهجوم من الشمال الغربي فالمدينتان كاف وإثره أو النبك ويبين النص أن الملك الآشوري أخذ الجزية هذه المرة جمالاً ونوقاً ... لا ذهباً وفضة ممّا يُدَل على أنه يريد السيطرة على تجارة القوافل أكثر من البحث عن المال.

كما خسرت منطقة الجوف جمالها لمنعها من التجارة ودفعت ثمن التحالف بينها وبين المدن الآرامية في عمان ودمشق وحماه...

كما أن الملك الآشوري كان يريد معرفة اتجاهات القبائل العربية ؛ويضمن عدم حربها له ومهاجمة قوافله ... كما يرغب في السيطرة على سياسة مملكة قيدار (أو قُدَيْر) لذلك عين مندوبًا سابقًا له في قيدار سمي (قيبو) يعيش في قصر الملكة لمراقبتها.

وقد ذكر النص أن الملكة أصيبت بخسائر فادحة فقد استولى الملك الآشوري على ١١٠٠ رجل من رجالها أسرى وثلاثين ألف جمل وعشرين ألف رأس من الماشية .. وهي أرقام تشير إلى غنى المنطقة..

ويذكر الأستاذ جواد علي أن اسم الملكة شمسة اسم عربيّ لايزال يستعمل حتى اليوم وأنه كان في المدينة إمرأة نصرانية اسمها شمسة أسْلمت على يد الحسن بن علي ابن أبي طالب وقد صور الآشوريون المعركة إضافة إلى الكتابة[١].

فنرى في النقش صورة فارسين أشوريين يحملان رمحين ويتعقبان أعرابيًا راكبًا جملاً وتحت الفرسين جثث الأعراب وهم صرعى على الأرض.

أمّا الأعرابي فكان له لحية كثة وشعر طويل معقود من الوراء ويلبس مئزرًا مع نطاق في الوسط .. وقد حرص حافر النقش على تصوير الأعرابي قريبًا جدًا من الفرسين ماداً يده إلى الأمام متوسلاً أما الملكة شمسة فقد كانت منفوشة الشعر .. حافية القدمين تحمل إحدى الجرار المقدسة ـ الجرار الإحدى عشر التي توضع فيها التقدمات في المعبد ... الوثني ... كما في أعلى تل الساعي في مدينة سكاكا.

وجاء في النصوص الآشورية أن الملكة أرسلت وفداً إلى ملك آشور لمصالحته واسترضائه ضمَّ عدداً من أتباعها منهم: رئيس الوفد واسمه يربع أو يربوع أو إيرابا (وقد بقي العرب يسمون يربوع حتى عصر الإسلام) وخاطر أو خطر أو ختزنوا ... وجناب أو جنوب أو جنب. وجنب أو هنب من أسماء العرب القديمة .. وتمر أو

(١) تاريخ العرب المطول ـ جواد علي.

تمارا، وكلها أسماء عربية، وقد قدم الوفد إلى الملك الآشوري الذهب والفضة والجمال والطيوب والخيول.

أما أسماء المدن التي دفعت الجزية فهي: مساي أو (أُميسن) التي كانت من مراكز مملكة قُدير أو قيدار الهامة. وتيماء ولا يزال هذا الاسم إلى الآن. وغطي وهي أحد أحياء دومة الجندل الآن، وبدنة أو بطنة وهي عرعر. وطيبة وسبأ أو حياً ويعتقد أنها في وادي السرحان. وخيابة .. أو بيئيل .. ويشير النص إلى أن كل هذه المدن تقع في غرب آشور وبعيدة عنها. ومساي أو (أُمسين) عاصمة مملكة قيدار (قُدير) هي في منطقة الجوف. ويذكر كتاب التوراة أن منازل قيدار وميساي شرق مؤاب أي الجوف. ويذكر النص الآشوري أن أحد رؤساء القبائل في منطقة مساي (أميسن) غزانبعاتي، ونبعاتي هي قبيلة نابا يوت المذكورة في التوراة، ومسكنها مجاور لقبيلة مساي. ومساي ونبعاتي وبنايون من أولاد ابراهيم خليل الرحمن من زوجة قطورة حسب رواية نسابي العهد القديم.

أما بدنة أو بطنة فيرى (موس) أنها اسم قبيلة في الجوف. وأقول: الأرجح أن الجوف أو الباطن أو بدنة أسماء لمواضع في شمال الجزيرة العربية لا تزال محتفظة بأسمائها القديمة حتى اليوم. وذكر (موزل) أن المؤرخ البيزنطي بلينوس أشار إلى أن بدنه هي موضع قريب من دومة الجندل التي دفع أصحابها الجزية للأشوريين.

وقد عين تفلات فلاسر عربياً اسمه «أوبئيل» في وظيفة قيبو أي وال ليدير شئون المنطقة ويراقب الأعراب القاطنين فيها ويحتمل كما يرى موسل أنه من قبيلة أدبئيل في طور سيناء كلف حماية الحدود الجنوبية للدولة الآشورية وحفظ مصالحها والأمن والسلامة ومنع الغزو بين الأعراب وعدم تحرّشهم بالقوافل التجارية. وحدد الملك الآشوري رواتب تدفع إلى مشايخ القبائل مقابل قيامهم بمهام حماية الحدود والقوافل.

في عهد سرجون الثاني (٧٢٤ ـ ٧٠٥ق.م) وفي السنة السابقة من حكمه قام بحملات تأديبية كما تذكر المدونات على البلاد التالية ثمودي ـ أبا ديدي ـ مرسماني ـ خيابة ثم تلقى الجزية من شمسه ملكة عربي وكانت الجزية ـ الذهب ـ الحجارة الكريمة ـ العاج ـ النباتات ـ الخيل ـ الابل ـ ويلاحظ أن كل هذه الأسماء في شمال جزيرة العرب بين الخليج العربي وخليج العقبة أي منطقتا الجوف وبادية السماوة..

بعد شمسه حكمت الملكة يثعة في الجوف وقامت الملكة يثعة بمساعدة القبائل الكلدانية جنوب العراق في ثورتها ضد الملك الأشوري سنحاريب فأرسلت أخاها يسقانو مع جيش ولكن سنحاريب هزم المتحالفين عام ٧٠٣ق.م وبعد أن قضى سنحاريب على المقاومة الكلدانية وعين عليهم ملكاً من أتباعه سار إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط في الغرب وأخضع مدنه واستولى عليها وعلى فلسطين وفي عام ٦٨٩ ق.م هاجم الأعراب التابعين للملكة تلخونو ملكة أعراب البادية والملك خزائيلي ملك قُدار (أو قُدير) وسار حتى أدوماتو «دومة الجندل» وهي من مواضع أُريبي الحصينة بعيدًا عن عواصم الدول كما ذكر بطليموس .. .. وحمل سنحاريب بعد هذه الحرب لقب ملك العرب والأشوريين وذلك لأنه أخضع أدومو إحدى المعاقل العربية واستولى على أصنامها وحملها معه إلى عاصمته نينوى وأسر ملكتها الجديدة التي كانت كاهنة للإله دلبات وأسر الأميرة تبوءة. ويرى موسل أن سلطان الملكة تلخونو كان يشمل منطقة واسعة تمتد من آدومو إلى بابل إلى حدود الشام.. وقد أثارت كل هؤلاء الأعراب مما دعا سنماريب إلى إخضاع بابل ثم بلاد الشام ثم مهاجمة تلخونو في أدومو (دومة الجندل).. ثم يذكر موسل أن خزائيلي قائد الملكة تلخونو قد خان سيدته فلم ينظم خطط الدفاع عن دومة أو اختلف معها حول أمور الدفاع عن دومة المحاصرة من الملك الاشوري ومع هذا فقد استسلمت الملكة تلخونو للملك الأشوري سنحاريب وكذلك الأميرة تبوءة. أما خزائيلي فقد هرب إلى الصحراء مع أتباعه واعتصم بها...

بعد سنحاريب ملك أسرحدون في آشور .. فسار إليه خزائيلي وقابله في نينوى ومعه هدايا كثيرة فسلمه أسرحدون الأصنام الخاصة بدومة الجندل وهي:

عثر سماين أي عشتار السماء.	أبيلو.
بلان .	نهيا أو نهى
دايا أو دية.	عشتر قرمية.

وبذلك سُرَّ أتباعها لعودتها إلى دومة الجندل.

ولكن ملك آشور لم يفرج عنها إلا بعد أن نقش عليها كتابة تفيد تفوّق الإله أشور عليها...

ثم عين أسرحدون خزائيلي ملكًا على قيدار (أو قُدير) مقابل جزية قدرها خمس وستون جملاً.

بعد موت خزائيلي خلفه في دومة الجندل ابنه يايتع أو يايطع أي الطائع - واعترف به الاشوريون ملكًا مقابل جزية قدرها ألف قطعة من الذهب وألف حجر كريم وخمسون جملاً... وكمية من الطيب.

ولكن شعب دومة الجندل أبى أن يخضع للملك وضعه الاشوريون. وثار عليه بقيادة زعيم اسمه وهب وتخلص من سلطان الأشوريين فارسل الملك الأشوري جيشًا اخضع وهب وأسره وحمله إلى نينوي ولكن (يطع) أعلن الثورة أيضًا بعد رحيل الجيش الأشوري وهاجم المدن الخاضعة لآشور على ضفاف الفرات... فاضطر الملك الاشوري لإرسال جيش للمرة الثالثة وقضى على الثورة وأخذ الأصنام إلى نينوي أسيره للمرة الثانية أما (يطع) فقد هرب إلى الصحراء حيث لا يمكن لجنود أشور أن ينالوا منه إلا إذا استعانوا بالعرب أمثاله :

ثم قام أسرحدون بحملة على قبائل بازو وخازو وأخضع ملوك العرب وقتل ثمانية منهم هم :

قيسو ملك خلدبلي.
أكيرو ملك بياني.
منسكو ملك حجاني.
خبيصو ملك قداباء.

بابيلـــو ملك آخيلو.
خبن عمر ملك بداء.
الملكة يفع ملكة دخراتي.
نخارو ملك جاباني

ولم ينج من ملوك العرب إلا ليلى ملك يدع أو ياديا الذي ذهب بعد ذلك إلى نينوى وقدم الخضوع وطلب العفو من ملك الملوك أسرحدون فأعيدت إليه أصنامه وعين ملكاً على ارض بازو على أن يدفع الجزية للملك الأشوري.

وعند علماء التوراة بازو ابن ناحور أخو إبراهيم عليه السلام وقد ورد اسم بازو مع ددان وتيماء وهم من ملوك العرب الساكنين في البرية ويرى البعض أنها من مواضع العرب في منطقة الجوف ووادي السرحان الآن وهي بين السباخ والصحراء المجدبة التي ليس فيها إلا الشوك وحجر يعرف بحجر الغزال حجر دم الغزال وهو (المغرة) وتستعمل للصباغ الأحمر ولا تزال حتى اليوم منتشرة بين سكاكا وخوعا... وكذلك الأفاعي والعقارب والجراد... ويعتقد البعض أنها جنوب تدمر في وادي السرحان وأن الملوك الثمانية الواردة اسماؤهم في النص هم ملوك وادي السرحان والرحبة والقطامي ... ويرى موسل أنه القسم الشمالي من وادي السرحان أما الأرض التي شرق الوادي فهي حازو ... ويرى بعض الباحثين أن بازو هي نجد وحازو هي الاحساء.

على أن (يطع) عاد وقدم خضوعه لملك اشور واعيدت اليه أصنام دومة الجندل وخاصة عثر السماوات إله السماوات.

وعندما ثار شمشوم أوكن أخو أشور بنيبال ملك نينوى ساعده الأمير (يطع) وحنث بعهده وقام بغزو الحدود الجنوبية لبلاد الشام ولكن الجيوش الآشورية تصدت له وشتّتت شمله وهرب يطع إلى البادية حتى لا يقع في الأسر ثم عاد إلى نينوى وقدم خضوعه وقبل الملك الأشوري ذلك وصفح عنه وقد وافق (يطع) على

أن يقدم جزية ذهبًا وأحجارًا كريمة وجمالاً وحميرًا وللمرة الأولى يرد ذكر الحمير ضمن الجزية التي دفعت إلى الملك الأشوري.

وللمرة الرابعة عاد (يطع) إلى الثورة وعاد الملك الأشوري إلى خوض المعارك في أزريلو ـ وخير الكاسي ـ ودومة ـ وممرّ يبرد ـ وبيت أماني ـ وخوينة ـ ومؤابة ـ وساري ـ (وخرجة) وخرجه إلى الآن بالحماد ـ وصوبيتي مملكة صوبه ـ وأصيبت هذه المناطق بخسائر فادحة والتجأ (يطع) إلى مملكة النبط «الأنباط» تاركًا زوجته وأتباعه ومملكته قيدرا (قُيدار) وقبيلته...

بعد (يطع) حكم قبيلة قيدرا (قُدير) أمير جديد اسمه (عمولاطي) وهاجم مملكة مؤاب فأصيب بخسائر كبيرة وسقط أسيرًا ومعه زوجة (يطع) ملك العرب فقام ملك مؤاب بارساله إلى نيتوى.

وعندها خاف ملك الأنباط فأرسل (يطع) إلى ملك أشور أيضًا فأمر الملك الأشوري بوضع (يطع) في قفص وأن يعرض على المارة عند أبواب المدينة...

وقد وصف الملك آشور بانيبال حال العرب في نصّ مدون:

«اشتدت عليهم وطأة الجوع ـ ولكي يسدوا رمق جوعهم أكلوا لحوم أطفالهم» وقد سأل أهل العربية بعضهم ما بال بلاد العرب قد أحدق بهم هذا الشر... فكان الجواب:

«تلك عاقبة من ينكث في العهد ويخرق المواثيق التي قطعت للإله آشور».

أما الملك (يطع) فيقول آشور بانيبال:

«حبسته في مربط الكلاب ... وضعته مع بنات أوى ... أوقفته على حراسة الباب في نينوى».

ولكن الشدة التي عامل بها الملوك الآشوريون العرب لم تنفع في القضاء على العداوة التي استحكمت بين العرب والآشوريين وإن أدت إلى خضوع حكامهم. لذلك عندما اضطر ملك اشور لخوض معركة مع العيلاميين عام ٦٤٠ ق.م. ثارت

القبائل العربية وكان من الملوك رؤساء القبائل.

أب يطع - صاحب يطع - يطع أو يتي الثاني - ابن بيردادا[1]. ابن ناري.

وعاد ملك أشور فأرسل جيشًا أجبر قبيلة قُدير إلى الاستعانة بملك الأنباط (نبطي) والتحالف مع قبيلة يسمأ أو يسمع وعثر السماء. ومع ذلك فإن الجيوش الاشورية انتصرت على المتحالفين.... وتتالت المعارك في أزله «المعيزيله في النفوذ شرق خوعا» وتشتت شمل الحلفاء وغنم الجيش الاشوري كميات كبيرة من الحمير والجمال والأغنام كما أسرت أصنام قيدار (قُدير) وعدد من افراد العائلة المالكة وأخذهم الأشوريون أسرى إلى دمشق ثم اسرت ابيتأ أيطع في موقعة قصر خورانا «حوران» قرب الزرقاء «خوكرينا» أما الملك يطع الثاني فقد اعتصم مع أتباعه في الصحراء وانتشرت بينهم الأمراض مما دفعه للذهاب إلى الآشوريين والاستسلام فعذبه الملك الأشوري عذابًا شديدًا ثم عفا عنه ولكن لم يسمح له بالعودة إلى قبيلته قيدار (قدير) فمات في نينوى..

وهكذا كانت قيدار (قُدير) ودومة ووادي السرحان والأزرق الهدف الأساسي لحملات تسع قام بها الملوك الأشوريون للسيطرة على المداخل الشمالية للجزيرة العربية ويمكن أن نستخلص من النصوص الآشورية ما يلي:

١ - إن لباس العرب في ذلك الزمن عبارة عن مئزر متوسط الطول حتى الركبة.
٢ - ظهور العقال والشماغ في النقوش الأشورية كلباس للرجل العربي.

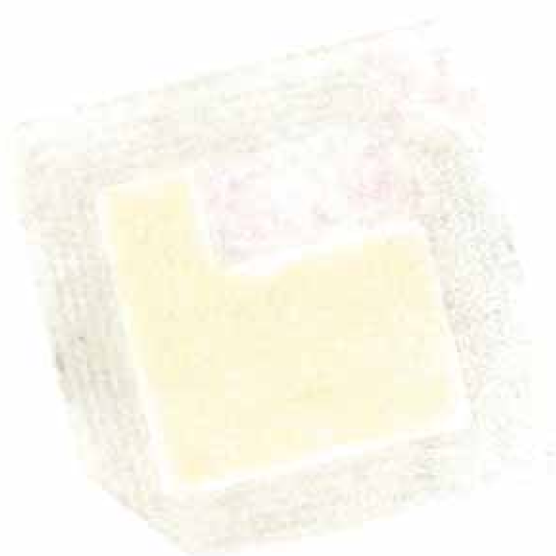
---

(١) إن اللغة العربية القديمة ليس بها أحرف صوتية والأحرف الصوتية في الكلمات العربية القديمة وضعها المترجمون الأجانب الذين ترجموا النصوص الآشورية والكنفانية إلى لغة تكتب بالحرف اللاتيني وانِ قِدْر لا بمكن للاجانب أن يكتبوها وإنما   وهكذا حرفت كلمات كثيرة بإضافة احرف صوتية إليها وعند الترجمة للعربية يجب حذف أحرف العلة التي وضعها المسشرقون. انظر تاريخ اللغات السامية - والإسلام في بحر عظمته - لويس لومبار - المترجم إلى العربية.

٣ ـ استعمال العرب الرماح الطويلة.
٤ ـ الشعر للرجل العربي طويل ولحيته طويلة .
٥ ـ شوارب الرجل العربي محفوفة.
٦ ـ استعمال العرب الحمير كأداة ركوب ونقل بجانب الجمل في الجزيرة.
٧ ـ إن العرب الراكبين للجمال لا يمكنهم التغلب على فرسان الأشوريين.



(١) المعلومات مأخوذة من تاريخ العرب المطول لجواد علي. وتاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور كامل عياد.



الفصل السادس :

الجوف وملوك الكلدان في بابل

بختنصرّ ونابونيد

إن غزو بختنصر الملك البابلي (٦٠٤ ـ ٥٦١ ق.م) لبلاد العرب تأخذ قسمًا كبيرًا من كتابات الإخباريين العرب وتعود كتاباتهم إلى أيام معد بن عدنان جد العرب المستعربة وتتصل هذه الأخبار بروايات أهل الكتاب في التوراة

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن الغزوات الآشورية التسع إلى بلاد العرب عامة ومنطقة الجوف خاصة وكان قسم من هذه الغزوات بسبب مساعدة سكان الجوف في حضرة ودومة وبدنة وغيرها من القبائل الكلدانية التي تسكن منطقة الفرات الأدنى وبلدتها بابل التي أصبحت عاصمة الكلدان بعد سقوط أشور ونينوى.

وكان العرب القاطنون من الحفْر «حفر الباطن» إلى العقبة وما بينهما الجوف ووادي السرحان ووادي الأزرق والزرقاء ودومة الجندل وسكاكا. مجاورين للكلدان ومساعدين لهم على إنهاء الدولة الآشورية التي كانت تغزو العرب والكلدان معًا .

والآن لماذا يبرز العداء بين قبائل عرب الجوف وشمال الجزيرة والكلدان بعد أن كانوا حلفاء بالأمس... ولماذا غزو بختنصر الملك البابلي لبلاد العرب جيران الأمس واليوم وحلفاء متعاونين ضد الآشوريين... ولماذا يتحدث الإخباريون العرب عن معد بن عدنان الحاكم للجوف والمعادي للكلدان يرى بعض المؤرخين أن الإخباريين اليهود قد اخترعوا قصة غزو بختنصرّ لبلاد العرب ليوحدوا في الرأي بين العرب واليهود ضد الملوك الكلدان فمن المؤكد تاريخيًا أن ملك الكلدان بختنصرّ قد غزا اليهود في أورشليم القدس وهدم هيكلهم المقدّس وأخذهم أسرى إلى بابل وأجبرهم على بناء الأبنية والقصور للسادة البابليين... لذا حشر الاخباريون اليهود في كتاباتهم غزو بختنصر لبلاد العرب ليتحالفوا مع العرب ضد البابليين سيما والغزوات إلى بلاد العرب كثيرة كانت تأتي كالسيل العرم تمسح كل شيئ أمامها ولاتلبث أن تزول وتختفي فلا

يستطيع الفاتحون أن يجدوا شيئًا أمامهم... والقبائل العربية تهرب إلى الصحاري الرملية حيث لا يعرف الفاتحون الطرق ولا يستطيعون التجول فيها... فيعودون خاسرين خائبين ما عدا ما جمعوه من الجمال والأغنام ومما غنموه من الحصون...

ومما يساعد سكان الجزيرة طول طرق المواصلات (قديمًا) وبعد بلاد العرب عن عواصم الغزاة.. وعدم وجود مواد غذائية كافية في الجزيرة لإعاشة جيش كبير يستطيع ضبط القبائل والمحافظة على الأمن والحفاظ على طرق القوافل وحماية هذه القوافل من مهاجمة القبائل العربية المنتشرة على طول الطرق الطويلة في أراض قاحلة في جزيرة العرب...

ثم إن قسمًا كبيرًا من الجيوش الغازية للجزيرة العربية كان عبارة عن جنود مرتزقة دفعهم الملوك بالمال إلى الحرب خوفًا أو طمعًا .. أو قبائل إشترى الغزاة سادتها باطماعهم مقابل مغانم يجنونها .

فإذا كانت الغنائم قليلة فإن سخاء الغزاة يقل وتعود القبائل المحالفة لهم للثورة عليهم لذلك لا يمكن أن تكون الهجمات على الجزيرة العربية إلا غارات انتقامية سريعة لا يلجأ إليها الملوك إلا بعد تفكير كبير واعداد متقن وضرورات ملحة...

والآن نعود إلى كتب الإخباريين .

ففي رسالة النبي دانيال وقد كتبت بعد أيام بختنصر نبوءة أرسلها إلى ملك بابل بأنه سيفتح بلاد العرب أي أن الحقد اليهودي يريد تدمير بلاد العرب كما دُمِّر هيكل اليهود في القدس .

النصوص البابلية تشير إلى أن الساكنين في البادية نهبت أملاكهم وما عندهم من المواشي وسرقت آلهتهم... ولم يذكر النص البابلي مكان الحملة واتجاها واسماء القبائل أو المواضع التي هاجمها البابليون الكلدان... ويظهر من النص أن سرقة الأصنام كانت لإكراه القبائل الهاربة إلى الرمال على تقديم الخضوع للملك البابلي .

أما سفر النبي أرميا في التوراة فيذكر أن قُدير (كُدير) المملكة التي تحدثنا عنها زمن الآشوريين كانت على رأس القبائل التي غزاها جيش بختنصرّ وكذلك برفقته برخيا اليهودي. كما كانت ممالك حضرا أو حاضورا ... من جملة هذه الممالك.

وحضره أو حاضورا تحدثنا عنها في فصل سابق وأنها بجوار مملكة قيدار (أو قُدير) أو جزء منها وهي كهوف سكاكا القديمة.

النصوص اليونانية للمؤرخ اليوناني اكسينون تشير إلى أن بختنصرّ حمل على مصر عام ٥٦٧ ق.م. وأنه اخضع ملك العربية فهل كان هذا الملك في الأزرق أوكاف أو دومة الجندل[١] إن النصوص لا تبين شيئًا أما رواية[٢] أبي الفداء المؤرخ العربي المأخوذة من النصوص الآرامية القديمة تبين أن هذا الملك ملك قبيلة قيدار (أو قُدير)... كما سيأتي..

نابونـيد ٥٥٥ ـ ٥٣٨ ق. م.

ونابونيد ملك بابل الكلداني خلف بختنصرّ وله شهرة كبيرة في بلاد العرب لأنه ترك أثرًا كبيرًا حتى إن البعض يعتبره من ملوك شبه الجزيرة العربية فقد عاش نابونيد مدة عشر سنوات في تيماء وترك أثرًا له قصر منيف وبئر ماء وفي زمنه أصبحت تيماء عاصمة الدولة الكلدانية بدلاً من بابل والطريق من بابل إلى تيماء يمر بواحات الجوف التي انتعشت في زمنه ويضاف إلى هذا كله دعوة التوحيد التي نادى بها لترك عبادة الاصنام وعبادة إله واحد له كل السيطرة والقوة على كل المخلوقات وقد فصلّ الأستاذ أمين مدني في كتابه (التاريخ العربي وبدايته) وأشاد بدعوة التوحيد التي نادى بها نابونيد وبينّ أن العرب دعاة توحيد لإله واحد وهو السبب الأساسي الذي دعا نابونيد إلى تغيير عاصمته والالتجاء إلى العرب لنصرة دعوة التوحيد والقضاء على تعدد الآلهة وعبادة الأصنام.

---

(١) تاريخ العرب المطول لجواد علي (العرب في النصوص الكلدانية).

أما ما تقوله النصوص الكلدانية حول نابونيد وعلاقته ببلاد الجوف.. فتذكر هذه النصوص أنه في السنة الثالثة لحكم نابونيد جرّد حملة على أدومو (دومة الجندل) وبعد أن سيطر عليها سار إلى تيماء سالكًا طريقًا لم تعرف في الزمن الغابر وكان جيش نابونيد كبيرًا فلّما وصل إليها أعمل السيف في أهلها وقتل أميرها وأهلها ... ويظهر أن سكان المدينة (تيماء) دافعوا ببسالة عن مدينتهم فأعمل نابونيد السيف في أهلها بعد انتصاره ثم إن نابونيد إستقر في تيماء وبنى فيها قصرًا ضخمًا جعلوه كالقصر الذي في بابل وحلت تيماء مكان بابل عاصمة للبابليين.

ويرى الأستاذ جواد علي أن حملة نابونيد على دومة الجندل كانت من بلاد الشام إلى شرق الأردن عبر وادي السرحان ثم احتل دومة الجندل وانطلق منها إلى تيماء وهي نفس الطريق التي كان يسلكها الحجاج من بلاد الشام إلى الحجاز قبل تمديد الخط الحديدي الحجازي .

وتقول النصوص إن نابونيد قتل سكان دومة الجندل (أدومو) وتيماء ثم استقر في تيماء ومعه حرسة من البابليين[1] . ويبدو من النصوص البابلية التي تشير إلى أخبار فتوحات نابونيد ووصوله إلى تيماء بطريق لم يسلكها الاقدمون من قبل واشارتهم إلى قتل ملك تيماء أن تيماء في أيامه كانت مملكة مستقلة يحكمها ملك من أهلها وأن البابليين لم يحكموا تيماء سواء زمن نابونيد أو بختنصرّ...

أقام نابونيد سنتين في عاصمة الدولة الجديدة تيماء ـ وترك لابنه بلشاصر أو بلشصر الحكم في بابل... وتشير النصوص أنه أقام في تيماء من السنة الثالثة لحكمه حتى السنة الحادية عشرة ثم تركها وعاد إلى بابل بسبب ظهور الفرس وتهديدهم لدولته وتوسعهم في أراضي العراق واقترابهم من بابل.

ولكن. لماذا ترك نابونيد بابل إلى تيماء؟

---

(١) تاريخ العرب المطول ـ جواد علي.

هل الأسباب عسكرية أم اقتصادية أم شخصية ؟ إن الأسباب مهما كانت فإنها تشير إلى أهمية الجوف وتأثيره .

فبعض المؤرخين يذكروا أن تيماء ودومة الجندل واقعتان على الطريق التجاري.

وكان نابونيد يريد السيطرة على تجارة أفريقيا والهند الواردة عن طريق اليمن .

والبعض الآخر يذكر أن بابل منطقة تكثر فيها الأوبئة فاراد الملك أن يسكن في منطقة جافة ليتخلص من بعض الأمراض التي بدأت تفتك في جسمه سيما وأن تيماء تعلو عن سطح البحر بـ ٣٤٠٠ قدم.

والرأي الآخر يقول إن نابونيد كان يؤمن بالتوحيد وخاف من كهنة الاصنام أن ينقلبوا عليه فأتى تيماء حيث أعلن أفكاره بوحدانية الإله وهذه الأفكار لم يكن يستطيع إعلانها في بابل .

وبالقرب من تيماء خربة ضخمة فيها أحجار مربعة ضخمة وبقايا عمران قديمة يظن العلماء أنها موضع معبد قديم وأنها مكان مدينة لا تقل ضخامة عن مدينة الحجر (مدائن صالح).. أو أي من المدن العربية النبطية الأخرى وطراز البناء وآثاره لا تشير إلا إلى أن هذا البناء كان معبدًا قديمًا والعرب اليوم تسمّيه خربة توما .. وقد يعثر في هذه المنطقة عند التنقيب على كتابات بابلية ويونانية وآرامية وعربية تشرح كثيرًا الاتصال الثقافي والاجتماعي والتجاري بين العراق والشام وشمال الجزيرة العربية وجنوبها .

وقد عثر فيلبي في هذه الخربة على حجر مكتوب عليه بلغة القبائل الآرامية يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد أي إلى ما بعد نابونيد . كما أن طول إقامة نابونيد في تيماء «ما يقرب الثمان سنوات» لا يستبعد أن يأتي يوم يعثر فيه على كتابات أو آثار ترجع إلى ذلك العهد وعلى مراسلات مع مدينة بابل وكل الدول الأجنبية التي لها علاقات مع بابل.

وقد عثر في حران شمال العراق على كتابة دونها الملك نابونيد جاء فيها أنه لما ترك بابل وحضر إلى تيماء أخضع أهلها ثم ذهب إلى ديدان ـ ددانو ـ وبداكو ـ (بدك) وخبرا (خيبر) وإيداخو وبلغ أتريبو أي يثرب وعقد صلحًا مع مصر وميديا والعرب ..

وقد أرسل إليه العرب رسلاً وعقدوا معه صلحًا واستسلموا له بعد أن كبدهم جيشه خسائر فادحة وأسر منهم ونهب ..

ولهذا يعتقد العلماء أن ديدان وخيبر وفدك ويديع ويثرب وتربة هي ممالك مستقلة حاربت نابونيد ولها ملوك يحكمونها كما كانت عند ظهور الإسلام وأن هؤلاء الملوك تراجعوا إلى الصحراء مع قبائلهم وبدأوا يشنون الحرب على الملك البابلي في عاصمته الجديدة ويلاحظ أن النص يشير لأول مرة في التاريخ إلى ظهور يثرب أي إلى عام ٥٠٠ ق.م.

ويتحدث النص أن الملك البابلي نقل معه خلقًا من العراق واسكنهم في عاصمته الجديدة.. ويرى آخرون أن بعض اليهود الذي يعملون بالبناء قد حضروا مع الحاشية للعمل في الأبنية التي انشأها نابونيد في ذلك الوقت وانهم كانوا مستعْبدين في بابل منذ عهد بختنصر[١] ..

وهذا الرأي الذي يميل إليه فيلبي ويرجحه عبارة عن دسيسة لأن فيلبي كان كل همه أن يرضي أسياده اليهود في وزارة الخارجية البريطانية ويخترع أثارًا لليهود في بلاد العرب .

والثابت تاريخيًا أن نابونيد كان يريد السيطرة على الطرق التجارية إلى الهند عن طريق اليمن لأن علاقته مع الفرس لم تكن جيدة لذلك أحضر قسمًا من جنده وأتباعه واسكنهم في الأرض العربية وانتزع أملاك العرب من أصحابها وأعطاها للمستوطنين الجدد ووضع جيشًا لحمايتهم وصد غارات العرب الذين يريدون استرجاع أراضيهم ..

---

(١) فيلبي.

ومع هذا فإن نهاية نابونيد أنهت وجود المستوطنين وعادت الأراضي إلى أصحابها العرب وهذا العمل جعل العرب ينفضّون عن أقربائهم الكلدان الساميين ويتعاونون مع الفرس الآريبين ومن بقى من الكلدان خضع للقبائل العربية بعد سقوط بابل...

أما اليهود في تيماء وتبوك فهم من العرب تركوا عبادة الأصنام إلى الديانة اليهودية وليسوا من يهود فلسطين ابناء اسرائيل ومع هذا فإن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم من الحجاز وأبعدهم عن الأماكن المقدسة في جزيرة العرب.

---

(١) ذكرنا أثناء البحث أن المعلومات تعتمد على دراسة أرض المنطقة والكتب التالية :

١ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام المطول (جواد علي).

٢ ـ بين التاريخ والآثار (عبد القدوس الانصاري).

الفصل السابع

الجوف والعهد الفارسي قبل الإسلام في جزيرة العـرب

لقد وقفت القبائل العربية في الجوف وبادية السماوة مع اخوانهم العرب الآراميين والكلدان ضد الغزو الآشوري ولكن القبائل الكلدانية بعد أن انتصرت على الآشوريين واحتلت نينوى بمساعدة الفرس توجهت نحو الجنوب للسيطرة على الطريق التجارية التي تمر في شمال جزيرة العرب ووسطها وخاصة الطريق التي تصل بين غزة وسواحل البحر الأحمر وتمر بمنطقة الجوف ووادي السرحان حتى الخليج العربي وكان بختنصر قد جرّد الحملات للسيطرة على هذه الطريق واحتل قيدار (قُدير) (قارة) ودوما (دومة الجندل) وعبيل (زعبل) وغيرها كما رأينا في الفصل الماضي.

وبعد بختنصرّ أتى نابونيد .. وظهر تأثير العرب الفكري على الكلدان وبدأت منطقة الجوف غزوها الفكري لبابل حيث ظهرت عبادة رب السماوات والأرض كما تقول النصوص .. ولكن الفرس حلفاء الكلدان ضد الاشوريين عادوا لحرب الكلدان حلفائهم بالأمس وكان هذا انتقام من الرب حسب تعبير كتاب التوراة عند اليهود وكان الاعراب مع الفرس ضد الكلدان فقد ورد في النصوص الفارسية أن كورش ملك الفرس عندما هاجم بابل كان في جيشه جماعة من العرب الراكبين للجمال وذلك سنة ٥٣٩ ق.م.

وبعد أن احتل كورش بابل عين واليًا من قبله على الأراضي العربية ويشير النص أنها الأراضي الواقعة شرق الخابور وجنوب الفرات أي بادية السماوة وتشمل تدمر ودومة وغيرها حتى فلسطين وتذكر التوراة أن الفرس سمحوا لليهود بالعودة إلى القدس واعادة بناء الهيكل فتجمّع ملوك عمان ودومة ومؤاب وقرروا أن يأتوا القدس

---

(١) انظر تاريخ العرب المطول لجواد علي.

«أورشليم» ويعملوا بها ضرراً كي لا يعاد بناء سورها ولكنهم كما يفهم من سفر نحميا لم ينفذوا تهديدهم بالهجوم على القدس بل بقوا يتكلمون ..

وكان الأمير جشم العربي من أنشط المعارضين لبناء سور القدس لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة يهوذا وقطعًا للطريق التجارية المارة من قيدار (قُدَير) حتى غزة ومصر ... وورد في التوراة قول جشم «أنت واليهود تفكرون أن تتحرروا لذلك أنت تبني السور لتكون ملكًا لهم».

وجشم من الاسماء العروفة العربية وهناك من القبائل العربية قبيلة جشم ولكن بعض الباحثين يرون أن جشم بن شهرو أو شهر المذكور في التوراة هو أحد ملوك قبيلة قيدار (قُدَير) في دومة الجندل وتارة «الجوف» وهذا جشم الذي عارض النبي اليهودي نحميا عام ٤٤٤ ق.م كانت مملكته تمتد من وادي النيل إلى ديدان شمال الحجاز إلى بادية الشام شرقًا .

وقد عثر على كتابة بمصر في موقع على بعد إثنى عشر ميلاً غرب الإسماعيلية ورد في نصها : اسم فينو بن جشم ملك قيدار وهو ابن جشم المعاصر لنحيا .

وقد تدخل عرب قدير بين فِرق اليهود «المكابيين وأنبياء بني إسرائيل وامتد الصراع إلى شمال فلسطين حتى منطقة قبيلة زبدنين «الزبداني» شمال دمشق وغربها. وقد عاش كثير من العرب في القدس حتى بعد عودة اليهود من الأسر في بابل. وفي هذا الوقت نزلت قبيلة طي العربية وقسم من كندة في منطقة الجوف وشرق الأردن وقد اطلق عليها كتاب التوراة مملكة (طيايا) أي طي .

وزادت أهمية العرب في شمال الجزيرة حتى أن قمبيز ملك الفرس عندما أراد أن يغزة بلاد مصر أرسل رسولاً إلى القبائل العربية في فلسطين والأردن للتفاوض معها حول تقديم المساعدة له لغزو مصر ... وقد وافق العرب على تقديم المساعدة واعدوا له قِربًا كثيرة مملوءة بالمياه وحملوها على ظهورر جمالهم لسقاية الفرس خلال انتقالهم في سيناء .

ويقول هيرودوت : إن نهرًا عظيمًا في بلاد العرب اسمه قوريس ـ يصب في البحر الأحمر. وأن العرب يخزنون المياه في الصهاريج الحجرية. ولا يعرف موضعها أحد في بلادهم فإذا داهمهم عدو سدوا منافذها فلا يصل إلى مائها أحد قط .

ويضيف هيرودوت أن جميع سكان آسيا أذلهم كورش وقمبيز. واعترفوا بسلطان الفرس إلا العرب فهؤلاء لم يكونوا كالعبيد لملوك فارس .. وأنهم تحالفوا مع الفرس دون أن يخضعوا لهم .. كما أثنى المؤرخ اليوناني على إباء العرب وشهامتهم ومحافظتهم على الوعود وشجاعتهم.

ومع كل هذا الوصف فإن القبائل العربية كانت تُقدم بعهد دارا ملك الفرس الطيب واللبان إلى الفرس ولكن الكتاب لم يذكروا البلدة أو القبيلة التي تقدم الطيب واللبان ويظهر أن رجال القوافل كان يُقدمون الهدايا لملوك الفرس لتسهيل تجارتهم.

على أن أهم ما في الأفكار التي تعود إلى عصر الفرس هو توسع مملكة قيدار أو قدير أو قارة «الجوف الآن» شرقًا وغربًا وامتداد ملكها إلى حدود النيل وفلسطين والأردن وأن ملك قيدار (قُدَير) كان يرفض إعادة بناء سور القدس فقد ورد في التوراة : (فلما سمع ملك سنيط وطوبيا والعرب والأشمونيين والأشدوديين أن اليهود يرممون أسوار القدس .. ثاروا ومنعوا اليهود من اعادة بناء السور) لكي يبقى الطريق من الجوف إلى مصر سالكًا .

صور من الجوف
الرجاجيل والكتابات القديمة



آثار الحت المائي ـ السيول ـ والرملي



المدافعون عن معبد النار في الحمى.. قد كتبت في الزمن الإسلامي (عبارة عبد الله لا يغلب)

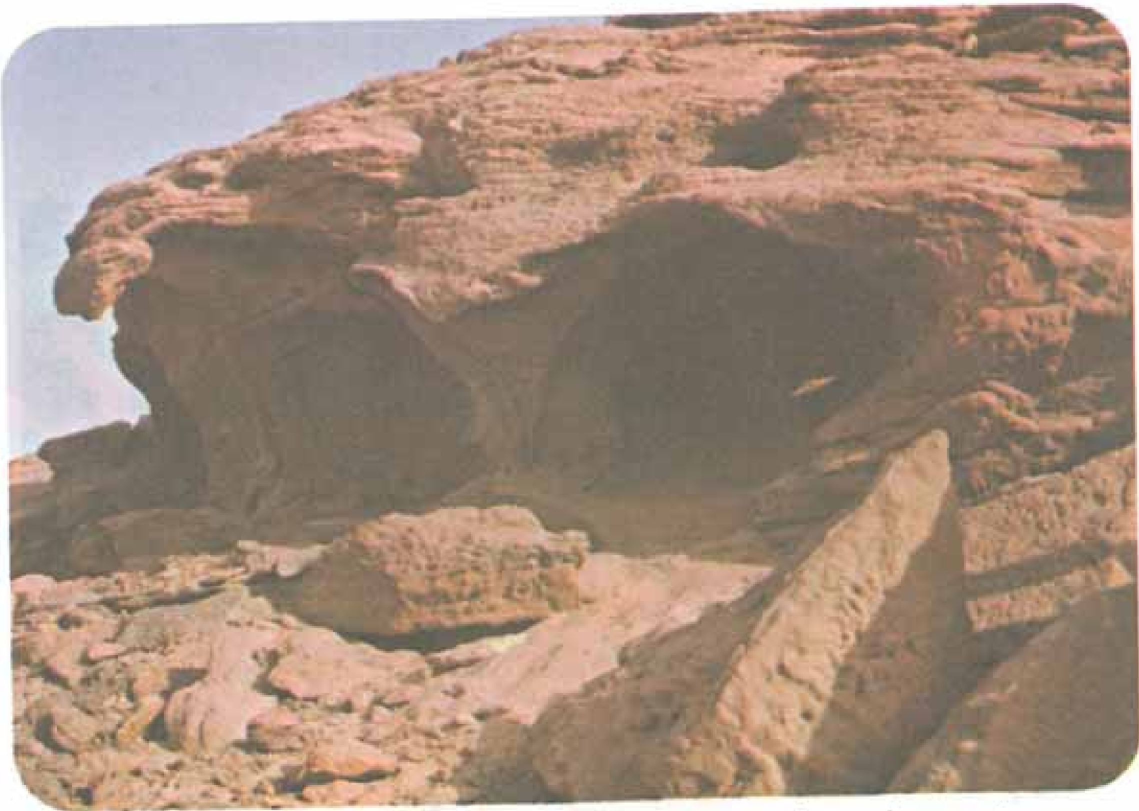
مزرعة آل الشايع في سكاكا



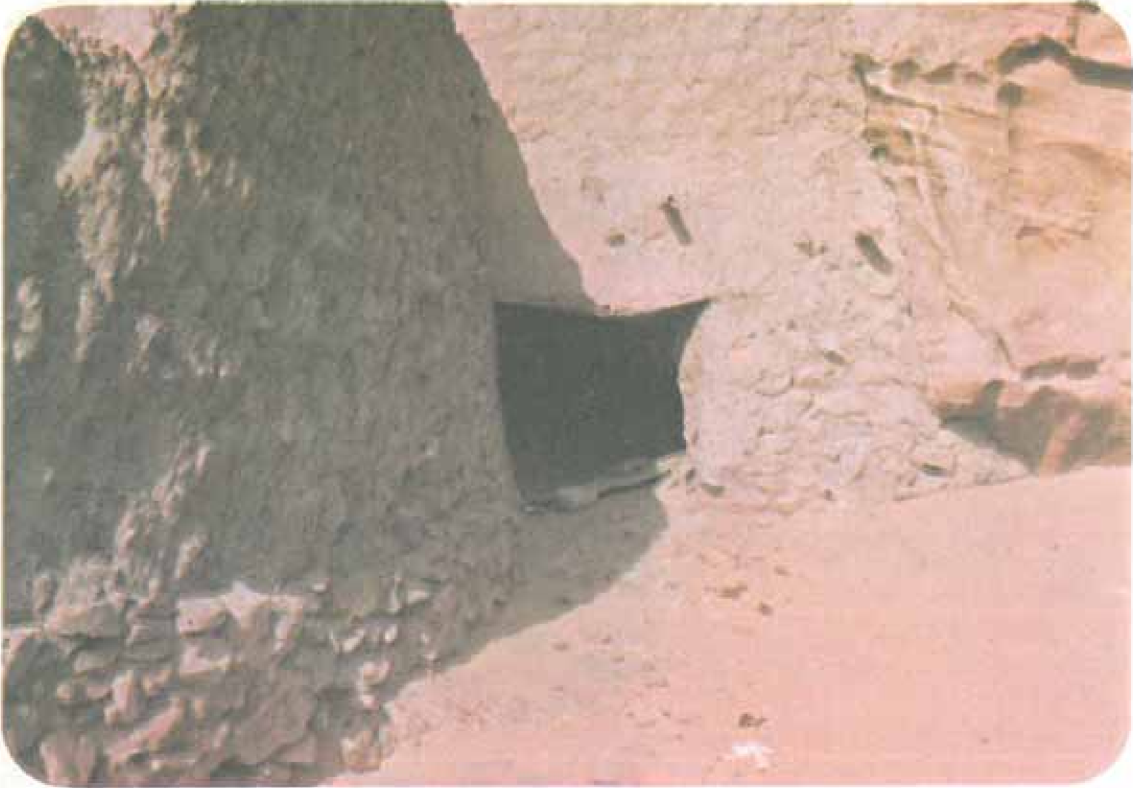




أسوار القلعة القديمة في السفح الغربي لتل الساعي البني



إحدى الدور القديمة المحفورة على شكل كهف في تل الساعي



الحت الريحي والمائي في التلال الغربية لسكاكا



قناة في المعبد الوثني (والله أعلم)



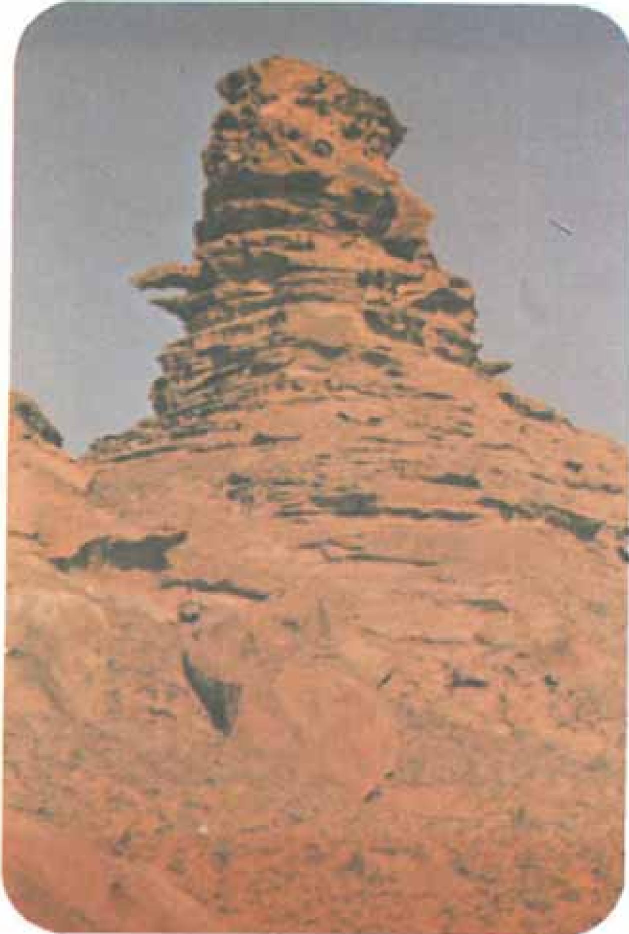
الطريق المدرج إلى المعبد
الوثني بتل ساعي النبي



تل الساعي



تل المزيرير بجانب الرجاجيل



تل برنس



مدينـــة قارة



بئر قديمة بجانب قلعة قُدير في قارة



أحد الابواب الخشبية القديمة وقفله مقوّى بسلسلة
حي السمرية «آل كريع»



احـد الجدران حول قلعة قُدير



المساكن الكهوف القديمة من اللبن والحجر
وقد حفرت داخل الجبل



الأسوار الحجرية القديمة



احد المعابد القديمة لما قبل التاريخ (الرجاجيل)



الاحجار بدأت تميل بعد أن
صمدت آلاف السنين وفي أعلى
الحجر الأوسط نقوش بدائية.
أما الكتابة والصور فأزيلت





الرجاجيل وقد صُفّت احجارها وثبتت في الأرض منذ آلاف السنين



الرجاجيــل معبد قديم مهدّم



اطراف معبد قديم نقلت حجارتها بعد أن تكسرت
وبقيت آثار أكبر معبدبين المجموعة الكبيرة



الرجاجيل أعمدة عليها إشارات
رمزية واضحة وكتابات مندثرة



بعض الكتابات على صخور الرجاجيل



الرجاجيل احدى النقوش القديمة قبل بدء الكتابة



صور من قلعة قُدير «قيدار» أزيلت الكتابة وبقيت آثارها وبعض النقوش



كتابة قديمة تصويرية في قلعة قُدير
ويظن أنها أدعية دينية لمعبد وثني قديم قبل الإسلام



كتابة قديمة تعود إلى العهد الإسلامي تشرف على مصلى العيد في تل الساعي
(وكان مصلى العيد والاستسقاء جانب هذا التل في العصر الإسلامي)



كتابة قديمة في قلعة قُدير ويلاحظ وجود إطار «كارتوش» حول اسم كتب
باللغة الرمزية الصنوبرية. وقد يعود إلى عهد يماثل العهود الأولى بمصر



كتابة ثمودية في قلعة قُدير مع بقايا كتابات زمزية تصويرية



كتابات رمزية تصويرية في قُدير تعود إلى ما قبل العصر الأشوري



كتابات رمزية تصويرية تعود إلى ما قبل العصر الأشوري
مملكة قُدير أو قيدار



كتابة قديمة ازيلت في العصر الإسلامي ولم يبق إلا آثارها



كتابة قديمة في تل الساعي بسكاكا



كتابة قديمة حول المذبح في تل الساعي ويمكن أن نلاحظ
نوعين من الخطوط سبئي وصفوي إضافة إلى نقوش تصويرية



كتابة ثمودية شخصية من تل الساعي



نقوش قديمة وحديثة في تل الساعي



عبادة الشمس وآثار الرسم القديم لمدينة سكاكا
على شكل وكتاب حديثة عام ٩١ هـ



كتابة كثيرة إلى اليمين تعود إلى العصر الصفوي
وكتابة في الوسط إسلامية وبعض النقوش القديمة





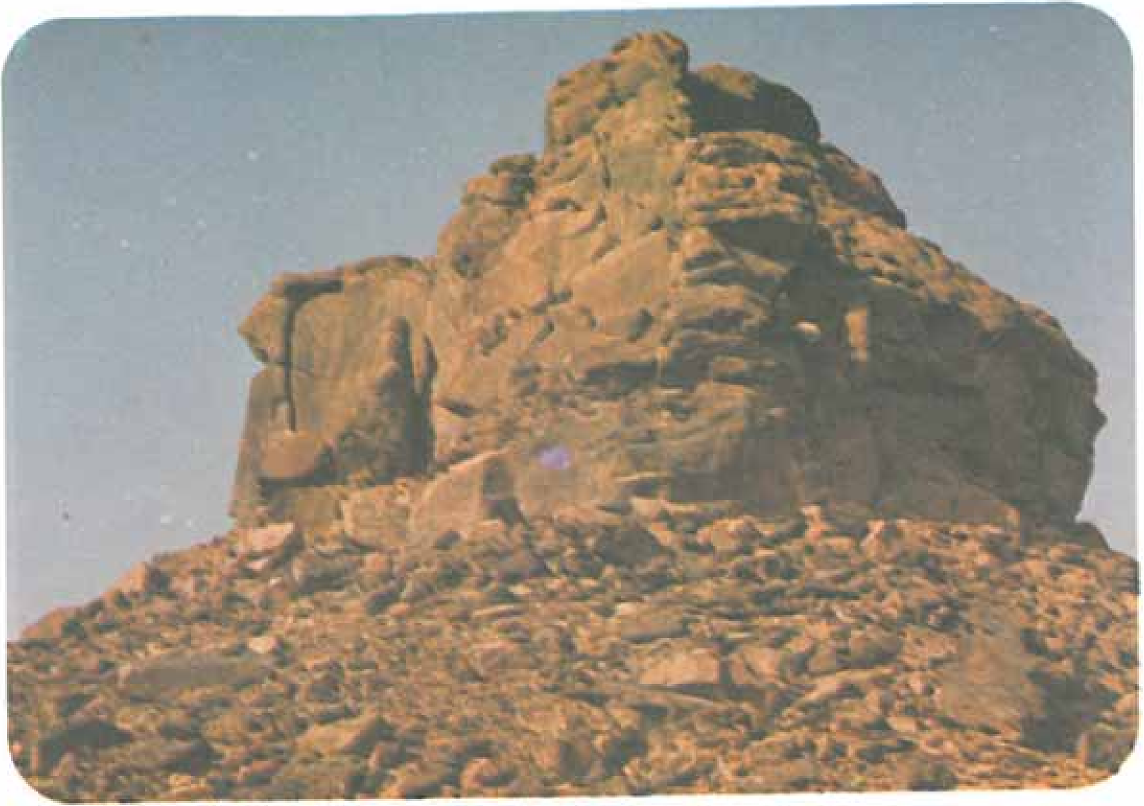
كتابة ثمودية وسبئية مع صورة تشبه خارطة للمزارع إضافة إلى كتابات إسلامية قديمة وحديثة.



كتابة ثمودية على حجر قد أزيل قسم منه في تل الساعي



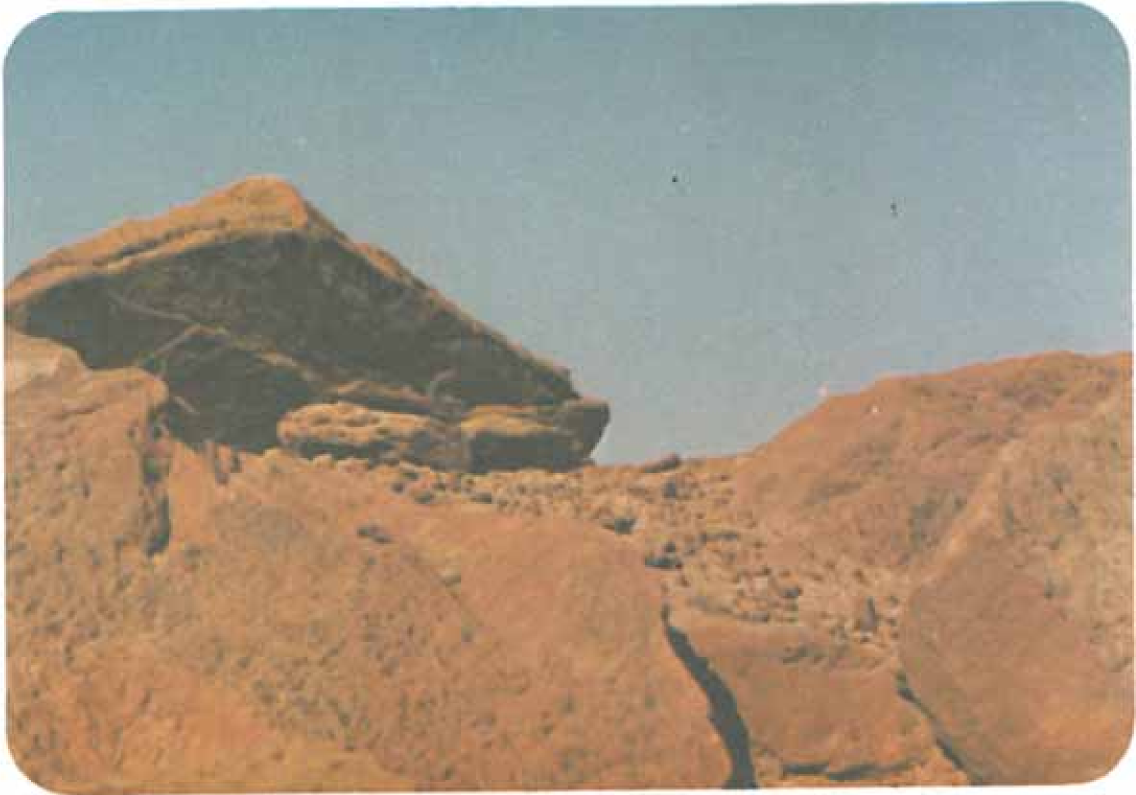
كتابة من تل الساعي ثمودية ونبطية متأخرة
وقد أزيل قسم من الكتابة بفعل الظروف الجوية



إحدى التلال التي عبدها الساميون وعليها نقوش شبيهة بأبي الهول
غرب سكاكا المسمى جبل الزقاقية



الطبقات الصخرية التي حفرت بها كهوف حضرة وقُدير



الصخور الكبيرة الإحدى عشر حول المعبد الوثني بسكاكا



إحدى الصخور القديمة من المعبد الوثني بسكاكا



الوادي والتل شمال تل ساعي النبي «سيل الماء القديم»



الصخور العليا هي السور المتهدم للمعبد البابلي القديم
والصخور الدنيا مكان الصعود إلى المعبد الشمسي القديم

الفصل الثامن

الجوف ومملكة تدمر

الزباء : وهي عند العرب نائلة بنت عمر بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوير العقيلي من العماليق[1]. والعماليق كانوا يسكنون بادية السماوة والجوف والسرحان قبل الأنباط وبني كلب والسكاسك، وقبل مجيء امرئ القيس أيضًا وإمرته على قبائل مضر.

وقد سمى بعضُ المؤرخين العرب الزباءَ (ليلى). وقد رأى بعض المؤرخين أنها اتخذت لقب أذينة وأن لها اخت اسمها زبيبة بنت الزباء، وهنا يختلط اسم زبيبة ملكة قيدار مع اسم زبيبة اخت الزباء أو زينب. ويعتقدون أن لزبيبة قصرًا على حصنين بشاطئ الفرات الغربي وأن الزباء كانت تُربع في بطن النجار وهو في الجنوب. وتشتّي في تدمر.

ويذكر الطبري أن جنودها كانوا من العماليق (الآراميين وقبائل تزيد ـ سليم من قضاعة[2]. أماابن خلدون[3] فيذكر أن ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام كان لعمر بن الظرب وكان جنود زينب ملكة تدمر من بقايا العمالقة. وقد وضعت نظامًا خاصًا لهم بمساعدة فلاسفة تدمر وقوادها العظام حتى استطاعت بواسطة هذا النظام وحسن التدريب وجودة السلاح ـ الهيمنة على البادية ومنع الاعتداء على القوافل، وقد وضعت حاميات لها في كل المناطق التي تمر بها القوافل وبنيت القلاع، واشهر مراكز الجيش التدمري حول بادية السماوة : الحيرة ـ عانا ـ دورا أوربوس ـ هبت ـ زبيبة[1] ثم تل الساعي (في سكاكا) ودمشق وحمص وقد عثر على البقايا التدمرية في دمشق بالقرب من مدخل سوق الحميدية. وفي القدس مما يدل على أن

(١) المسعودي ص١١٢ ـ ١١٣ مروج الذهب جـ ٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ للطبري.

(٣) تاريخ الصبر جـ ١ ـ لابن خلدون.

(١) ابن خلدون.

نفوذ تدمر شمل الشمال والجنوب وما تل الساعي بسكاكا إلا بقايا القلعة التدمرية التي تشرف على الطريق من الخليج إلى رفحا... إلى سكاكا ثم وادي الأزرق «السرحان» حتى صيدا في سورية وكان الساعي هو إله القوافل عند تدمر وحامي هذه القوافل. ويعبد من قبل جنودها لأنه هو حاميهم خلال تنقل القوافل. ويُحمل إله القوافل أمام قوافلهم قبل الإسلام.. وكان على شكل إنسان من القطع الصغير يحمل الرمح..

وقد قضى الإسلام على كل أشكال الوثنية ومنها صنم حماية القوافل ودعا العرب وكل البشر إلى عبادة الله العزيز الحكيم(٢).

وقد كان التدمريون في بداية دولتهم عبارة عن فرق من الجنود المرتزقة في الجيش الروماني يستعين بها الرومان لقتال الفرس وكانوا قد اشتهروا في فن رماية السهام ثم تمرسوا برماية الرماح هم والأنباط ... وعندما قويت تدمر ألف أذينة قوة من الفرسان والقوات الراكبة على العربات لمحاربة أعدائه وجهز الجنود بأسلحة واقية من دروع وصفائح معدنية.

أما أهالي تدمر فلم يكن الجيش بالنسبة لهم إلا واسطة لحماية القوافل الجارية فقد كان أهل تدمر تجارًا ومزارعين وأعرابًا ورعاة وقد تثقفوا بالثقافة اليونانية واللاتينية إضافة إلى اللغة الأصلية وهي اللغة العربية باللهجة الآرامية المحلية..

وكل التشريعات التجارية والقوانين في تدمر من فقهاء القانون في تدمر حيث كان لها مجلس شيوخ له سلطة سنّ القوانين والتشريع وله رئيس وكاتب وديوان وعشرة حكام.

ولما نشبت الحروب بين الفرس والروم وانقطعت طرق تجارة المشرق والهند عن أوربا عبر سوريا... اغتنم أهل تدمر الفرصة وكان منهم تجار أغنياء وألفوا مجموعة

---

(٢) انظر كتاب تدمر ـ عدنان البني المسئول عن الآثار التدمرية في متحف دمشق.

تجارية كبيرة استطاعت لمعرفتها بطرق الجزيرة العربية وأعرابها أن تكوّن إمبراطورية تجارية كبيرة بمساعدة أعراب الجزيرة .

ولقد بحث المؤرخون عن تاريخ تدمر الذي لا نعرف عنه شيئًا حتى القرن الأول الميلادي. وكل ما كتب عن تدمر حتى الآن يعود إلى مابعد الميلاد. ويؤكد الباحثون الأثريون والمؤرخون بأن غالبية أهل تدمر من العرب بالرغم من أن كتاباتهم كانت باللغة الآرامية والسريانية المتأخرة التي كانت لغة التجارة حتى عند البابليين الأكاديين، وكل من سوريا والعراق وفينيقية، وخطهم هو الخط الآرامي الشبيه بالخط النبطي. وهم يرون أن القبائل العربية القاطنة في الجزيرة العربية تقدمت بعد سقوط بابل بأيدي الفرس فكان منها التدمريون والأنباط ، ويحتمل أن سكان تدمر كانوا قد مروا بالجوف قبل استقرارهم بتدمر.

إن القوافل الذاهبة من العراق إلى الشام أو العكس كانت تمر بمدينة تدمر بعد أن تبتعد عن الفرات إلى الأنبار أو عانة ولذلك كان لمدينة تدمر علاقات سياسية واقتصادية مع الفرس والرومان من جهة ، والقبائل العربية من جهة أخرى حتى تتمكن القوافل من نقل بضائعها بسلام وكانت الحصون على طريق القوافل تقدم لها الحماية والطعام مقابل اتاوة معينة تدفعها القبائل لتمر بسلام.

أما الإخباريون العرب فينسبون تدمر إلى تدمر بنت حسان بن أذنية بن السميدع بن يزيد بن عمليق. وزعموا أنهم عثروا على قبر تدمر بنت حسّان وقد أعجبوا ببنائه، وأن خال بن الوليد حاصر تدمر عند فتح بلاد الشام ثم ارتحل عنها، فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضى به .

وقد أشار الكتاب الرومان والفرس إلى مدينة تدمر (بالميرا) وموقعها الممتاز وأرضها الخصبة وينابيعها وعيونها والرمال التي تحيط بها ، وكيف أن المدينة معزولة عن العالم في الصحراء. وأطلق عليها عروس الصحراء . كما أشاروا إلى وقوعها بين الإمبراطوريتين ، إمبارطورية الفرس وإمبراطورية الروم، ولذلك كان لابد لها من أن

تكون تابعة لإحدى الإمبراطوريتين، وإذا استقلت لفترة فلوجود رجال امتازوا بالحكمة والشجاعة فيها .

ويظهر أن القوافل التدمرية كانت تسير من تدمر إلى سكاكا ثم تيماء وقد حاولت زينب أو الزباء تأمين الطرق التجارية عبر جزيرة العرب، فغزت سكاكا وأقامت حصنًا فيها لحماية القوافل ثم توجهت إلى دومة الجندل ولم تستطع فتح حصنها (مارد) فتابعت طريقها إلى تيماء وذلك لإيجاد طريق لا يمر بأرض الفرس والروم تسير التجارة فيه عبر بلاد العرب، وعقدت اتفاقًا مع حكام تيماء، وبذلك تحولت الطرق التجارية الساحلية إلى شرق الطريق التبوكية التي تمر من تبوك أي إلى وسط الجزيرة العربية بعيدًا عن تأثير الروم الذين يحتلون مصر ويسيطرون بمراكبهم على البحر الأحمر، والفرس الذين يشرفون على الخليج العربي بأساطيلهم ويخضعون الموانئ العربية لهم، ولذلك قيل المثل المشهور : (تمرّد مارد وعز الأبلق).

أما لماذا تمرد مارد فلأن بني كلب أو قضاعة سكان دومة الجندل كانوا يطمعون في أخذ مكان هام في تجارة القوافل التي تسيطر عليها تدمر. وكانت بلادهم سوقًا هامًا للجزيرة وبلاد الشام. وكانت دومة منافسة لتدمر، لذلك قاومت وتمردت، بينما تيماء كانت تريد المساهمة في التجارة العالمية البرية بدلاً من البحرية، ولهذا السبب اتفقت مع تدمر وأخذت ما يعزّها .

وبالفعل فإن بني كلب احتلوا تدمر ووضعوها بعد هزيمة تدمر أمام الرومان .

الفصـــل التــاسع

كنـدة ومملكة أمرئ القيس في الجوف والنمّارة

كندة قبيلة قحطانية يمنية تنتسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أود ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

هذا النسب اليماني يورده أكثر كتاب الأنساب. وتعرف كندة عند الإخباريين بكندة الملوك لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما باسم آكلي المرار لأنهم كانوا ملوكًا ، كما يذكر ابن حزم في كتابه (جمهرة أنساب العرب).

وقد ورد ذكر كندة في نصوص اليمن القديمة بالخط المسند ، وكذلك بنصوص لأبرهة الحبشي أثناء حروبه في اليمن وكذلك بكتابة نص شعري لملك سبأ وريدان شعرًا ، وكان يحكم في زمنه ملك كندة ربيعة بن ثور.

وقد ألف النسابة هشام الكلبي الذي نزح أجداده مع العرب المسلمين إلى العراق ، كتابًا سماه (ملوك كندة) وتشير المعلومات إلى أن مملكة كندة تعود إلى الزمن الذي يتراوح بين الفريق الأول والثالث الميلاديين.

ولكن رغم النسب الواضح الصريح لكندة ، وكونها قبيلة يمانية من حضرموت فإن بعض الكتاب الإخباريين المسلمين يميلون إلى كندة مثل أبي عبيدة الأصمعي وعمر بن شيبة وغيرهما .

كانت كندة تسكن على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية بين عدن وحضرموت. وفي بداية القرن الثاني الميلادي وقعت حرب بين كندة وحضرموت قُتل فيها رؤساء كندة مثل سعيد بن عمر بن النعمان ، وعمر بن زيد وشرحبيـل بن الحارث.

ومسعر بن مسعر وسلامة بن حجر كما قتل كثير من رجالها يقول الاخباريون لما كثر القتل بكندة في اليمن سارت إلى أرض معد أي إلى الحجاز وأول ملوكهم في الحجاز معاوية بن ثور ثم ملك ابنه ثور ثم معاوية ثم الحارث ثم حجر بن الحارث المعروف بآكل المرار الذي حالف بين ربيعة وكندة بالذنائب وتولى الملك .

وتتويجًا لهذا التحالف فإن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندي. وقويت صلة قبيلة كندة بالعرب النزارية المنتمية إلى معد لذلك عدها البعض من قبائل عدنان مع أنها من العرب القحطانية. وفي رواية أخرى أن سبب قوة كندة وتسلطها على الحجاز ونجد هو أن تبابعه اليمن كانوا يصاهرون كندة ويولونها على معد بن عدنان بالحجاز وأن أول من وليّ منهم حجر آكل المرار ولاه تبع بن كرب الذي كسا الكعبة ومن بعده عنر بن حجر ورغم انتهاء النفوذ اليمني في الحجاز بعهد قصي بن كلاب فإن حكم حجر في الحجاز لم ينته وبقي مطاعًا لحسن سمعته وكان معاصرًا له في بلاد الشام شمال الحماد زياد بن الهبولة من قبيلة سليم من قضاعة وهو الملك الأعظم من بني جفنة فقتله حجر. وعاش حجر على ما تقول الروايات إلى أن خرف ومات وله من الولد عمر ومعاوية.

وقد غزا حجر عُمان في الجنوب العربي فلما بلغ الحارث بن الأبهم الغساني ذلك أغار على أرض حجر في الجوف وأخذ أموالاً لحجر قينة من أحب قيانه إليه وانصرف ثم قال للقينة ما ظنك بحجر قالت:

«لا أعرفه ينام إلا وعضو منه يقظان وليأتينك فاغرًا فكأنه بعير آكل المرار فإذا رأيت أن تنجو بنفسك فافعل. فلطمها الملك الغساني فلما رجع حجر من عُمان بلغه غارة الغساني على أمواله ونسائه فقال كلمته المشهورة لاغزو إلا بالتعقيب.

وفي رواية أخرى أن الغازي هو زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليم بن حلوان بن عمران بن الحاف من قضاعة غزا حجرًا أثناء غزوه في البحرين وأخذ الحريم والأموال ومنها هند بنت ظالم زوجة حجر وتسمى هند الهنود فلما عاد حجر جمع كندة وربيعة وأدركوا زيادًا في موقع البردان دون عين أباغ وقد أمن الطلب فنزل حجر في سفح الجيل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له حفير ووقعت المعركة وتغلب حجر على خصمه وأخذه أسيرًا وقتله واسترجع هند الهنود وقصته مشهورة. ابن الأثير جـ ١ ص ٢٧٠.

وفي رواية أن بكرًا لما قهرت وغلبت سفهاؤها وتقطعت أرحامها أرسلوا إلى ملك اليمن يقولون له إن سفهاءنا غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف فنرى أن تملك علينا ملكًا نعطيه الشاة والبعير فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فيفسد ذات بيننا.

ويرى العالم السويدي أولبيذر أن هذا حدث عام ٤٩٠ ق.م. أما ابن خلدون فيقول: «من بطون كنده معاوية بن كندة ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية أسلاف الشاعر أمرئ القيس وقد حكموا قبائل عدنان[1].

والأشرس بن مرتع هو أخو كندة وهو أبو السكون والسكاسك حيث ينسب السكاسك إلى خميس السكسك بن أشرس بن ثور وكان أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من السكون وأخوه بشر بن عبد الملك كما يذكر أنه ذهب إلى الحيرة وتعلم بها الخط ثم رجع إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان ومنه تعلم أهل مكة الكتابة.

يقول الأصفهاني في كتاب الأغاني: إن أنو شروان عندما قتل أتباع مزدك قتل منهم مائة ألف زنديق وصلبهم وأعاد المنذر إلى مكانه في الحيرة وطلب الحارث بن عمرة فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله فخرج هاربًا في هجائنه وماله وولده فمر بالثنية وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء واياد فلحق به بأرض كليب. فنجا ونهبوا أمواله وهجائنة وأخذت بنو تغلب ثمانٍ وأربعين نفسًا من بني حجر آكل المرار فقدمت بهم على المنذر فضرب رقابهم في الحفر[1].

وفي رواية أخرى أن تغلب قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما عمرو ومالك..

---

(١) كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون ١٢٢.

(١) الأغاني للأصفهاني.

وتتعدد الروايات وتختلف ولكن كل هذه الروايات تبين أن كندة ملكت من الأنبار وسط العراق على الفرات إلى عُمان وأن القسم الأكبر منها وهم السكون والسكاسك وتجب كانوا يسكنون في منطقة الجوف مع قبيلة كلب القضاعية. وأنه تحارب مع التنوخيين أولاد المنذر بن ماء السماء واستعان عليهم بالعرب العدنانية وقبيلة كلب إضافة إلى قبيلته حتى أصبح أولاده ملوك الحيرة وباقي القبائل العدنانية. أما في دومة الجندل فإن كلبًا كانت تتبادل الملك مع السكون من كنده وتأثير دومة من النص السابق على شكل الحكم وملك الحيرة واضح.

ولا تخلو الروايات عن موت الحارث ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي أضيفت إلى كل الأخبار الماضية فالإخباريون من بني كلب يقولون: إن قبيلة كلب قتلته تقربًا إلى ملك الفرس. وأهل الحيرة يقولون: إنهم هم قتلوه. أما رواة كندة فتدعي أنه مات كما يموت باقي الناس هرمًا ويقال إنه خرج إلى الصيد فطرد تيسًا من الظباء فأعجزه فآل ألا يأكل أولاً من كبده فطلبته الخيل ثلاثًا فأتي بعد ثالثة وقد أضر به الجوع فشوى له بطن التيس وكبده فأكلها حارة فمات.

ويذكر أهل الأخبار أنه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند تزوجها المنذر ابن ماء السماء وهي والدة عمرو بن هند وشقيقة قابوس وعمة الشاعر أمرئ القيس.

ويذكر الرواة أن الحارث لما ملك الحيرة واشتغل بها عما كان يراعيه من أمور البوادي فسدت القبائل وفشا الشر بينها فجاء أشرافها فشكوا له ما حل بهم من غلبة السفهاء وطلبوا أن يملك عليهم أتباعه فملك ابنه حجر والد أمرئ القيس على بني أسد وغطفان، وشرحبيل على بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك وطوائف من بني دارم من تميم والرباب، وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط (أخي عاملة) وسعد بن زيد مناة وطائف من بني دارم والصنائع.

---

(١) انظر جواد علي ـ تاريخ العرب المطول.

وملك ابنه عبد الله على عبد قيس.

وملك ابنه سلمة على قيس عيلان .

وكانت أسد التي ملك عليها حجر تسكن جنوب دومة الجندل على الطريق من المدينة إلى حائل، وأسد وغطفان وكنانة كلها قبائل عدنانيـة وقد قام حجر ومعديكرب كما يذكر المؤرخون البيزنطيون في عهد الإمبراطور انستانس بغارات على المدن السورية في فلسطين وفينيقية وكان من نتائج هذه الغارات أن عقد القيصر انستانس صلحًا مع الحارث والدحجر ومعديكرب .

ولكن يظهر أن بني أسد قد قبلوا حكم حجر بن الحارث مكرهين لذلك لما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه وقد اجتمعت أسد إلى نوفل ابن ربيعة وهجموا على حجر ومن معه فانهزم جيشه وأسر حجر وتشاور القوم في قتله لكن غلامًا من بني كاهل كان حجر قد قتل أباه دخل الخيمة التي فيها حجر وطعنه فمات وبذلك تخلصت أسد من حكم كندة ولكن حجرًا لما علم أنه ميت دفع كتابه إلى رجل أمره أن ينطلق إلى أكبر أولاده ليخبرهم فمن بكى وجزع فليذهب إلى غيره وهكذا فعل حتى وصل إلى أصغرهم وهو أمرؤ القيس ولما أخبره لم يجزع فدفع إليه الكتاب وأصبح الملك بعد حجر إلى امرئ القيس .

لم يكن حجر راضيًا عن امرئ القيس الملك الضليل فطرده من عنده وآل ألا يقيم معه إنفة من شعره فكان أمرؤ القيس يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طي وكلب وبكر وائل.

فإذا صادف غديرًا أو موضع صيد نزل ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء الغدير فينتقل إلى غيره حتى أتاه خبر مقتل أبيه فقال :

---

(١) المرجع السابق.

ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر ولما صحا أقسم ألا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا ولا يدَّهِن بَدُهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه حتى يدرك بثأره.

وفي رواية أخرى أن أباه طرده لما قال الشعر بفاطمة وكان لها عاشقًا فطلبها زمانًا فلم يصل إليها حتى كان منها الغدير بدارة جلجل ما كان.

أما والدة امرئ القيس فهي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث اخت كليب والمهلهل التغلبيين.

بعد أن صحا أمرؤ القيس توجه إلى أخواله تغلب وحلفائها بكر واستنفرهم على الثأر من بني أسد وكان ينادي بالثارات الملك وتعقبهم عند بني كنانة حتى لحقهم وقاتلهم وأكثر فيهم القتلى والجرحى.

نهاية الملك الشاعر:

بعد أن ثأر أمرؤ القيس لأبيه خاف بني أسد وأراد الرجوع إلى اليمن ولكن كيف الوصول إلى اليمن والطريق سيمر على الحجاز وكلها قبائل عدنانية مثل أسد فسار إلى المنذر ملك الحيرة ليحتمي به فلم يستطع، فقطع الحماد إلى سعد الضباء الايادي من بني إياد وكان عاملاً لكسرى على إحدى كور العراق فاستتر عنده حتى مات سعد فخرج إلى حائل ليعيش بن جبلي طي عند أولاد عمه وتنقل بين طي وجديلة ونبهان وغيرها من أفخاذ كندة وقد تخلت عنه كلب في دومة الجندل. وأخيرًا قرر أن يذهب إلى قيصر الروم يستنجده ليعيد تأسيس ملكة فأودع أدرعه الخمسة عند السموأل بن عاديا في تيماء وانصرف إلى القسطنطينية.

هل ذهب امرؤ القيس إلى قيصر القسطنطينية لوحده أم بناء على رغبة الإمبراطور لأن المصادر البزنطية تشير إلى أن القيصر يوستنبان كلف المؤرخ نونوس أن يذهب بسفارة إلى أبي قيس حفيد الحارث الذي يرأس قبيلتين عظيمتين من العرب هما كندة ومعد المواجهته ودعوته لمقابلة الإمبراطور.

ولكن نونوس الذي يعرف العربية ويريد أن يعقد معاهدة مع القبائل العربية عن طريق هذا الأمير بذكر أنه عاد ومعه معاوية بن امرئ القيس. أما المؤرخ فيلاخيوس الفلاديفي [٢] فيذكر أن أمرأ القيس كان ملكًا على العرب المجاورين للروم وأن أسقف العربي (بيتر) المعين من الكنيسة البزنطية ذهب إلى القسطنطينية وطلب من الإمبراطور لقب عامل «فيلارخ» إلى إمرئ القيس فأعطاه لقب عامل على البادية الممتدة من قرب الحيرة حتى البلاد الحجرية أي بلاد الانباط ـ البتراء في الأردن ـ وهي نفس المنطقة التي كان امرؤ القيس يتجول بها والتي تشمل منطقتي سكاكا ودومة الجندل .

ولكن لماذا لم يرد اسم امرئ القيس في أخبار هذه المنطقة؟

والجواب على ذلك أن قوة السكوك السكاسك وفي المنطقة المتحالفة مع كلب قد ضعفت بعد مقتل حجر وأتباعه وكثير من ذريته وأصبحت الغلبة على هذه المنطقة لكلب. حتى صار غنيًا جدًا وغزا المواقع المجاورة لمناطق ديدان شمال الحجاز وحصل على غنائم كبيرة وسيطر على الطريق التجارية من الخليج إلى البحر الأحمر المارة في شمال الجزيرة العربية .

ويرى المؤرخ الألماني موسل أن أمرأ القيس نزل منطقة الوديان إلى دومة الجندل وصار يغزو الأعراب ويتوسع على ساحل البحر حتى أصبح له نفوذ وسلطان عظيم، وبقيت له السيطرة على الطريق حتى بعد وفاة امرؤ القيس ويحدثنا المؤرخ تيوفان البيزنطي أن الروم استعادوا جزيرة تيران من اسرة امرؤ القيس بعد مدة ليست طويلة نتيجة لنزاع قام بين أولاده بعد وفاته وأدى إلى تعطل الطريق التجارية .

---

(١) اذرع امرئ القيس هي : الفضفاضية ـ الضبانة ـ المحصنة ـ الخريق ـ أم الايول.

(٢) فيلادلفيا ـ الاسم القديم لعمان عاصمة الاردن اليوم.

(٣) انظر جواد علي ـ تاريخ العرب المطول.

نهاية امرؤ القيس :

بعد أن أودع امرؤ القيس ادرعة عند السموءل بن عاديا في تيماء سافر إلى القسطنطينية جيث بقى مدة في قصر الإمبراطور.

وتختلف الرويات، ومعظم الأخبار العربية تشير إلى أن امرأ القيس عشق اخت الإمبراطور وأنها كانت تزوره في السر، وأنها تريد الهرب معه ولما علم الإمبراطور بذلك نتيجة الوشايات حجر على اخته وأهدى إليه كسوة مسمومة فلما كان عائدًا لبس هذه الكسوة فسرى السم البطئ في جمسه فمات وقد قال شعرًا كثيرًا حول هذا الموضوع .

وفي رواية أخرى أن الطريق التجارية التي سيطر عليها امرؤ القيس ذات واردات وفيرة بعد أن انتظمت التجارة من الخليج إلى البحر الأحمر ومن اليمن إلى غزة فطمع الروم بهذه الواردات .

وفي رواية أخرى أن بعض أعوان الإمبراطور طمع بأموال امرئ القيس فوشى به إلى الإمبراطور الذي أرسل من دس إليه السم .

والسؤال ـ لماذا عاد امرؤ القيس عن طريق الصفا ـ السرحان ولم يعد من الطريق الروماني المرصوف والمحروس إلى العقبة. وتيران مركز جمعه للمال ثم باتجاه تبوك وتيماء وهو أقصر له من الطريق الشرقي ... هل كانت له أراض في الجوف وأموال حتى أتى إلى الجوف وبقى نهاية حياته في الطريق ؟

أم أنه كان يخشى الروم ويرتاب منهم فابتعد عن نفوذهم على أن اهتمام اصحابه به يتبين مما كُتب على قبر امرئ القيس وهو :

نص ما كتب على قبر امرئ القيس «نص النمارة»[١] .

---

(١) النمارة شمال وادي السرحان جانب وعرة الصفا قرب جبل عنازة انظر تاريخ اللغات السامية.

هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهزم مذحجًا بقوته وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وملك معدًا .

واستعمل أبناءه على القبائل ووكلهم لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه في القوة .

هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بأسول ليسعد الذي ولده.

بعد امرئ القيس حكم مملكته أبو كرب بن جبلة وقد ثبته الروم واعترفوا به رسميًا في الأرض التي تقع جنوب أرض الغساسنة في الأردن وأعالي الحجاز وكان أبو كرب عاملاً للروم مستقلاً عن الغساسنة وهو معاصر في الزمن للحارث بن جبلة الغساني ملك بصرى .

يوم أوارة ـ نهاية كنـدة

إن تغلب لما خرجت سلمة بن الحارث من شمال النفود من الحفر حتى غرب الجوف إلتجأ إلى بكر بن وائل من بني بكر بعد هزيمتها يوم خزاز الذي سيأتي ذكره فلما صار عند بكر بن وائل اذعنت له وجشدت عليه وقالت : لا يملكنا غيرك فبعث إليهم المنذر بن ماء السماء يدعوهم إلى طاعته فأبوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قمة جبل أوارة .

وسار إليهم بجموعه وألتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالاً شديدًا وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي وأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر أما شراحيل الكندي فقد قتله بنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن صعصعة وأما قيس ابن سلمة بن الحارث فقيل إنه أغار على ذي القرنين المنذر بن النعمان فهزمه حتى أدخله الخورنق بالحيرة ومعه ابناه قابوس وعمرو فمكث ذو القرنين حولاً ثم أغار عليهم بذات الشقوق فأصاب منهم اثنى عشر شابًا من بني حجر كانوا يتصيدون وأفلت منه

---

(١) انظر تاريخ العرب المطول لجواد علي.

امرؤ القيس على فرس شقراء فطلبه القوم فلم يقدروا عليه وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند الجفر فعرف عند ذلك بجفر الاملاك.

وقد ذكر الرواة أن ملك كندة لما احترق وهلك من هلك منهم قام عمرو بن اقحل بن أبي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث فقال يا معشر كندة إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام وقد ذهبت اشرافكم وتمزق ملككم ولا آمن العرب عليكم فالحقوا بحضرموت .

ويذكر الرواة أن الملك خرج من بني آكلي المرار وساد منهم في نجد قيس بن معديكرب ثم ابنه الاشعث بن قيس وهو الذي أتى النبي ﷺ في ستين أو سبعين راكبًا من أشراف كندة فأسلموا، أسلم الاشعث وكانت كندة قد توجته عليها (١) .

رجـال من كنـــدة :

١ ـ الصحابي المشهور المقداد بن الأسود من بني مفطع النجد واسمه تور بن عمر بن معاوية .

٢ ـ امرؤ القيس بن عابس وقدم على النبي ﷺ وأسلم.

٣ ـ رجاء بن حباب العقبة.

٤ ـ بنو الجون بن مسودة ـ وبنو الجون بطن من كندة في الجوف ومنهم اسماء الجونية زوجة النبي ﷺ.

٥ ـ خزيمة بن ثعلبة بن ادد بن أسد بن خزيمة زوجتة غاضرة منه بطن شكامة وأولاده سلمة وربيعة ونصر منهم أبو الأكيدر عبد الملك.

٦ ـ من كندة علي بن الأدبر قتله معاوية صبرًا .

٧ ـ قيس بن خالد الكندي كان ذا بأس وسطوة.

---

(١) المعلومات من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (المطوّل) بتصرف.

٨ ـ منهم الملوك الأربعة : محوس، مشرح، حمد، ايضعة بنو معديكرب.

٩ ـ من السكون من كندة :

ابن اشرس

معاوية بن حذيج

الجون بن يزيد

بنو عدي من اشرس ومنهم حصينِ بن عمير السكوني.

(١) عن تارخ العرب قبل الإسلام المطول ـ جواد علي.

الفصل العاشر :

بنو كلب بن وبره

عندما نكتب عن بني كلب فإننا نكتب عن **٥٠٠** سنة من تاريخ المنطقة آي الجوف إضافة إلى بادية السماوة.

نسب بني كلب : بنو كلب من تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وتغلب وكلب أولاد عم ـ ومن وبرة بن تغلب خمسة أفخاذ.

يقول النويري : بنو كلب عقب كلب بن وبره بن تغلب وإليه ينسب كل كلبي وفيهم خمسة أفخاذ :

١ ـ عـوف.
٢ ـ بنو ضمضم.
٣ ـ بنو عليم.
٤ ـ بنو زهير.
٥ ـ بنو كنانة.

وهؤلاء الأفخاذ الخمسة تنتسب إلى عذرة بن زيد الله بن رفيده بن ثور بن كلب. أما البطون التالية فهي تنسب إلى عرينة بن ثور بن كلب بن وبره أخي رفيدة وهي :

البرك ـ النمر ـ تغلب ـ فهد ـ ضبع ـ دب ـ سيد ـ ذئب ـ سرحان.

أما الولد الثالث وهو أسد بن دبرة فقد ولد له اثنان : القين وتنوخ.

وإلى تنوخ يعود نسب أبي العلاء المعري ومن تنوخ الكلبية مالك بن زهير بن عمر بن فهم.

أما نمر بن وبرة فقد أعقب ثلاثة بطون وهي :

---

(١) المنتخب في قبائل العرب ـ للحفري اللاحي الطائي.

(٢) جمهرة الأنساب ـ ابن حزم الأندلسي.

١ ـ خشين ومنهم أبو ثعلبة الخشني الصحابي المشهور.
٢ ـ مشجعة.
٣ ـ غاضر.

وقد دخل بنو غاضرة ومشجعة في بني سليم وقالت العرب عانية وغاضرة أبنا سليم ابن منصور.

وقد انضاف إلى بني كلب زبان بن حلوان أخو تغلب الذي ولد جرم بن زبان والنسبه إليه جرمي.

قال العيني وفي ديار طيّ كلب أيضًا ومنازلهم: (دومة الجندل ـ تبوك ـ تدمر ـ وأطراف الشام).

يقول ابن حزم في الجمهرة: يطلق على هذه القبيلة: كلب، بنو كلب، بنو أكلب، بنو مكلب، بنو كلبة، بنو كلاب، وحيثما أطلق الكلبي فهو من بني كلب بن وبرة. قال شيخنا: هو أخو نمر وتنوخ، وأيده في ذلك ابن قتيبة في كتاب المعارف.

ويذكر جواد علي: أن لقبيلة كلب لهجة خاصة تستعملها في الجاهلية لم يستعملها أحد من الشعراء الجاهلين[١].

ومعنى هذا أن بني كلب لم تكن لهم لهجة عربية حجازية وإنما بها تأثيرات مختلفة يرجعها الأستاذ جواد علي إلى اتصالهم بالآراميين والنبط من بني أرم.

وأشهر ما في لهجة بني كلب المأخوذة من اللغة التدمرية هي قلب الدال والقاف ذالاً.

وبعد أن تنقل أولاد قضاعة ومنهم كلب استقروا في جنوب بادية السماوة وكان المركز الرئيسي لهم في دومة الجندل حيث كانوا يتداولون الملك مع السكون من كندة ولا يزال بعض سكان الدومة ووادي السرحان إلى الآن من بني كلب واطلق اسمهم

(١) انظر مجلة المورد العراقية عن اللهجات العربية قبل الإسلام.

في وادي السرحان لأنهم بنو سرحان كما ورد في مقدمة البحث .

ولكن من هي قضاعة التي ينتسب إليها بنو كلب ؟

قضاعة : قال القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الانشاء : كل أمة ترجع إلى واحد من أبناء نوح الثلاثة على كثرة الخلاف في ذلك.

وقال القضاعي في عيون المعارف[1] : رُوي أن النبي ﷺ قال : «لا تجاوزوا معد بن عدنان كذب النسابون ثم قرأ «وقرونا وبين ذلك كثيرًا» ولو شاء أن يعلم علّمه.

على أن نسب قضاعة لحمير أو لعدنان موضع خلاف.

يقول ابن حزم : لحمير بقايا موجودة إلى الآن وفيهم غالب قضاعة وهو قضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. وذهب بعض النسابة إلى أن قضاعة من العدنانية الآتي ذكرهم .

قال السهيلي : والصحيح أن أم قضاعة وهي حكرة مات عنها مالك بن حمير وهي حامل فتزوجها معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب إليه .

قال المؤيد صاحب حماة :

وكان قضاعة مالكًا لبلاد الشحر وقبره بجبل الشحر موجود ولقضاعة الآن بقايا تُنسب إليها.

أحياء قضاعة :

١ ـ بلي.
٢ ـ جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.
٣ ـ كلب بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان، بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

---

(١) ابن قضيبة.

ومنهم حارثة الكلبي أبو زيد بن حارثة الصحابي الشهير.

قال صاحب حماة: كان بنو كلب ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام وبادية السماوة.

وقال ابن سعيد: ومنهم الآن خلق كثير على خليج القسطنطينية.

وشيزر وحلب وبلادهم تدمر والمناظر وهم أقوام والنسبة إليهم كلبي.

٤ ـ عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف وإليهم ينسب العشق والتتيّم، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء أحد المتيمين، وجميل صاحب بثينة.

ومن أحسن ما روي عنهم: أنه قيل لرجل منهم ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة. قال: لأن فينا جمالاً وعفة.

وقيل لآخر: ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة إن ذلك ضعف فيكم يا بني عذرة. قال: أما والله لو رأيتم النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج فوقها الحواجب الزج لاتخذتموها اللات والعزى.

٥ ـ بهراء: ومنازلهم شمال منازل بلي من الينبع إلى العقبة إيلة ثم جاءوا إلى مصر مع عمر بن العاص.

٦ ـ بنو فهد.

٧ ـ بنو جرم ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف وقد انضاف أكثر أولاد قضاعة إلى أولاد كلب مثل:

(أ) الثعلب بن وبرة المدعو عامر: أي أولاد عامر بن وبرة ابن كلب أصبح تعدادهم مع بني كلب.

(ب) البرك، والذئب بطنان ضخمان دخلا في بني عبيد بن عامر بن كلب.

(جـ) الفهد والضبع والدب والسيد دخلوا في بني كلب أيضًا.

(د) السرحان من كلب بقيت في وادي الأزرق حتى القرن العاشر الهجري حينما اندفعت بتأثير قبائل عنزة إلى الشمال والغرب باتجاه الأردن وحوران ثم عادت بعد استقرار الهدوء (قبيلة خاصة لوحدها سنتحدث عنها).

(هـ) مشجعة والنول بطنان عظيمان من وبرة والد كلب انضافتا إلى كلب.

٨ ـ أما بنو القين : فهم بنو شيع الله بن أسد بن وبرة وقد ولد شيع الله جسر فولد لجسر النعمان عبد يقال القين فغلب عليه القين بن جسر ومنه بنو القين وبطونهم :

(أ) زعيزعة.

(ب) أنس.

(جـ) ثعلبة.

(د) فالج أو عالج.

(هـ) بنو مالك.

(و) بنو تميم بن زيد بن حمل.

وهنا لابد من التساؤل حول هذه الأسماء وعلاقتها بالمنطقة هل عالج رملة عالج نسبة إلى عالج بن القين بن شيع الله ؟ إن من عادة العرب أطلاق اسماء الاشخاص على الأمكنة وهل تل الساعي هو ساعي القوم إلـه القوافل التدمري له علاقة بشيع اللات علمًا أن السين والشين في العربية القديمة حرف واحد تقريبًا ـ شيع اللات : سيع اللات.

ساعي وهو صنم يحمله رئيس القوافل عند التدمريين واسمه ايلاف عند قريش كما مر.

يقول ابن حزم : كانت طي بعد امرئ القيس تسكن في الجوف ولكن كلب حاربتها حتى زحزحتها إلى الجنوب بعد النفوذ أي حتى جبلي طي أجأ وسلمى ولذلك اضطرت طي إلى الحرب مع قبائل نجد فأخذت جزءًا من أراضي بني سعد وسكنت بها ثم اشتركت في النزاعات المحلية قبل الإسلام مع قبائل بني تميم وعبس وغيرها كما

سيأتي في الحديث عن قبيلة شمر التي انفصلت عن طي في منطقة حائل واسست قبيلة لا تزال إلى اليوم.

يقول جواد علي : وكان سبب نزوح طي من منطقة الجوف الخلاف بينها وبين تغلب من أولاد قضاعة عندما رفضت انجاد النعمان وقالت له لولا صهرك لقاتلناك ولكن لا حاجة لنا بمعادات كسرى وكانت طي تأمل في التعاون مع كسرى والحصول على عرش الحيرة وفي الواقع فإن كسرى بعد أن قتل النعمان تحت أرجل الفيلة أعطى الملك لاياس بن قبيضة فقد ولاه ملك الحيرة وهو من الفرع الرملي لطي أي الساكنون في رمال النفوذ[1].

ولكن برحيل طي هل خلا الجوف الجوف لبني كلب ؟

يقول ابن قتيبة : إن قبيلة كلب لم تستطع الانفراد بحكم الجوف ودومة الجندل لأن ملك الجوف عند بداية الإسلام هو الأكيدر بن عبد المبك من السكون من كنده لا كما يقال من بني كلب الذين بقاياهم السرحان الآن في المنطقة وكذلك بشر أخو الأكيدر بن عبد الملك[2] .

يقول اليعقوبي في البلدان عن رحيل قسم من طي من منطقة الجوف إلى ديار بني سعد في حائل على لسان الأحيمر السعدي الشاعر :

كفى حزنًا أن الحمار ابن بجدل على باكناف الستار أمير
وأن موسى بائع النقل والنوى له بين باب والستار خطير
خلا الجوف من قطاع سعد فما بها لمستصرخ يرجو البتول مصير[3]

وقد حدد الهمداني في كتابه جزيرة العرب أراضي قبيلة كلب يقول : تمتد من أراضي حرة النار لبني مرة إلى ديار جهينة إلى بادية الشام إلى تدمر وتلال الأردن[4]

---

(١) تاريخ العرب المطول ـ جواد علي.

(١) المعارف لابن قتيبة.

(٢) البلدان ـ لليعقوبي.

(٣) جزيرة العرب ـ للهمداني.

أما الاصطخري صاحب كتاب المسالك والممالك فيحدد ديار قبيلة كلب كما كانت في القرن الرابع الهجري بقوله :

إذا تيامنت عن الحجاز وقعت من تيماء في ديار ذبيان والبياض إلى أن تقول حوران ها أناذا، إلى أن ترى نخل الفرات لا يخالط كلبًا سواها، أما ما يليها فمن دار القين حيث كانت حديس واخوة طسم، أما إذا تياسرت وقفت في ديار عاملة وهي مجاورة غرب ديار بني كلب كما هو الآن (الشرارات غرب ديار السرحان في وادي الأزرق ودومة الجندل) .

قال الشاعر القطامي التغلبي يصف عيثًا :

ويـات يحط مـن جـبلي نـوار عـوارب سـيـلـه قلعت كـبـارا
وحـبـل مـن حـبـالـه مستجـد انـبـت لاهـلـه إلا ادكـارا
يـطـالـعني بـدومـة يـالـقـومي إذا ما قلت قد نهض اسمارا

ويقول الدكتور عبد الله غنيم استاذ الجغرافية في جامعة عمان :

إن قبيلة كلب هي أشهر قبيلة تنتشر في هذه المنطقة عند ظهور الاسلام وقد بدأت تضعف في القرن الرابع الهجري وما بعده شأن كل قبيلة تميل إلى التحضر والاستيطان فاتخذت من الجوف ووادي السرحان اماكن لتحضرها وبقيت منها بقية على حالة البداوة متنقلة على ضعف إلى جهة الشمال حتى هاجمتها قبيلة عنزة التي كانت مساكنها غرب ديار كلب في تيماء ووادي القرى وما حوله وكانت قبيلة السرحان وما يتبعها من كلب قد انساحت إلى فلسطين أثناء الحروب الصليبية لمقاتلة الصليبيين، أما الذين تحضروا فبقوا في احيائهم في الجوف ووادي السرحان وباديتها حتى الآن.

---

(١) انظر جغرافية الأردن للدكتور عبد الله غنيم ـ من مطبوعات الجامعة الأردنية.

الفصل الحادي عشر

آخر القرن السادس الميلادي قبل الإسلام

كليب وائل: ويوم خزاز ـ أول يوم انتصفت فيه نزار من اليمن.

قال عمرو بن كلثوم:

وأبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأُبْنا بالملوك مصفدينا

يقول الرواة إن الأمور لما اشتدت على أولاد الحارث ولحقت تغلب من بطون قضاعة بالمنذر بن امرئ القيس جمع سلمة جموع اليمن وسار ليقتل نزارًا ولما بلغ ذلك نزارًا اجتمع منهم بنو عامر ابن صعصعة وبنو وائل وقيل بلغ ذلك كليب وائل فجمع ربيعة وقدم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو خزازًا فيوقد عليها نارًا ليهتدي الجيش بها وقال له: إن غشيك العدو فأوقد نارين وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذجح وهجمت مذجح على خزاز ليلاً فرفع السفاح نارين فأقبل كليب بجموع من ربيعة إليهم والتقوا بخزاز واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزمت جموع اليمن وفي رواية أبي زياد الكلابي أن الذي أوقدالنارعلى خزازهوالاحوص بن جعفر بن كلاب وكان على روايته رئيسًا على نزار كلها ويذكر الكابي أن أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له أنه كان على نزار الأحوص بن جعفر ثم ذكرت ربيعة أخيرًا من الدهر أن كليبًا كان على نزار[1].

وقال بعض الإخباريين: إن كليبًا على ربيعة والاحوص على مضر ويعود سبب هذا الاختلاف إلى النزاعات القبيلية فأبوا زياد الكلبي يتعصب لكلاب ويرجع الرئاسة إليهم وهذا يأباه رواه ربيعة وينكرونه ويظهر أنه حسمًا للنزاع قالوا بالرئاستين.

ذكر أبو زياد الكلابي أن يوم خزاز أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وأنه أول يوم انتصفت فيه نزار من اليمن وأنها لم تزل منذ هذا اليوم ممتنعة قاهرة لليمن

---

(١) معجب البلدان ـ ياقوت الحموي.

حتى جاء الإسلام.

وذكر الأصمعي أن يوم خزاز كان للمنذر بن ماء السماء ولبني تغلب وقضاعة على بني آكلي المرار من كندة وبكر بن وائل وأن المنذر بن ماء السماء وأصحابه من تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكلي المرار ويفهم من شعر عمرو بن كلثوم أنه قال متذكرًا هذا اليوم إن رهطة من بني تغلب آبو بالنهاب والسبايا وبالملوك مصغدين ولم يشر عمرو بن كلثوم إلى الملوك المأسورين ولكن الأصمعي يقول إنه قصد بقوله بني آكلي المرار.

وهكذا يظهر أن هذا اليوم بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة وبني كلاب من جهة وبكر بن وائل وبني آكلي المرار من جهة أخرى. وفي رواية أن هذا اليوم بين أبناء معد بن عدنان وقضاعة وملوك اليمن من جهة أخرى أو النفوذ اليمني.

ويقول رواة الأخبار لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز وأم عمرو بن كلثوم هي إبنة كليب بن ربيعة المعروف بكليب وائل(١).

بلغ الأحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم عندما غزا معبدًا فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامل والطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم في فدائه فقال لهما لكما عندي مائتا بعير. فقال : يا أبا نهشل أنت سيد الناس وأخوك بعد سيد مضر فما تقبل فيه إلا وبه ملك فأبى أن يزيدهم وقال لهم إن أبانا أوصانا أن لا نزيد أحدًا في ديته على مائتي بعير فقال معبد للقيط : لا تدعني يالقيط فوالله إن تركتني لا تراني بعدها أبدًا قال صبرًا أبا القعقاع فأين وصاة أبينا لا تؤكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتطمع بكم ذؤبان العرب.

ورحل لقيط عن القوم فمنعوا معبدًا الماء وضاروه حتى مات هزالاً وقيل أَبى معبد أن يطعم شيئًا أو يشرب حتى مات هزالاً.

---

(١) انظر تاريخ العرب المطول لجواد علي.

(١) نفس المرجع السابق.

ومن أشهر رجال بني كلب في الجاهلية زهير بن جناب وقد عمرّ : ٤٢٠ سنة وخاض أكثر من مائتي معركة، وكان خطيبًا شاعرًا يقول :

ونادمت الملوك من آل عمرو وبعدهم بني ماء السماء

وقد أطاعته كل قبائل كلب وحلفائها ولم تطع مثله خلال تاريخها إلا رزاح بن ربيعة وهو من بني عذرة وأخو قصي بن كلاب من أمه كان زهير بن كلاب معاصرًا لكليب وائل فارس ربيعة مضر وقد تقدم السن بزهير وشاخ حتى خرف واستخفّت به نساؤه حتى لم يعد يتمكن من الأكل بنفسه وكانت زوجته تطعمه بنفسها إلى أن مل الحياة فأخذ يشرب الخمر صرفًا حتى مات .

كان زهير بن جناب أمير بني كلاب يسيطر على بادية الشام أو بادية السماوة خاض حربًا مع تغلب وبكر ابني وائل بن ربيعة وذلك أنه منعهم من النجعة في البادية لذلك حاول ابن زياد قتل زهير وهو نائم فضربه ولكنه لم يمت ووصل إلى قبيلته في الجوف وجمعها وغزا بكرًا وتغلب وقاتلهم قتالاً شبديدًا وهزمهم وقتل منهم كثيرًا وأسر كليب ومهلهل إبني ربيعة[١] .

---

(١) نفس المرجع السابق ـ جواد علي.

ومن بني كلب قبائل بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ابن رفيدة بن ثور بن كلب ومنهم كرام العرب .

١ ـ بنو عدي .

٢ ـ بنو زهير بن خباب.

٣ ـ بنو عليم.

٤ ـ بنو عبيدة نسبة إلى عبيدة بن هبل بطن من امرئ القيس بن الحمام بن مالك.

لذلك فإن أعراب كلب إذا سئلوا بماذا بكى ابن الحمام انشدوا خمسة أبيات متصلة من أول قصيدة قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ويقولون إن بقيتها لامرئ القيس .

أما عدي بن جناب فكان شديد التسرع إلى حد الحمق وكان له من الولد :

١ ـ ضمضم ٢ ـ نهْسل ٣ ـ هذيم ٤ ـ بطن ٥ ـ نويل

٦ ـ كليب.

ومن بطون بني عدي بنو الحصن، بنو العليص، بنوا الفرافصة.

ومنهم امرأة عثمان بن عفان .

ذكر الطبري أن بني الفرافصة كانوا سدنة المعبد في دومة الجندل وكانوا يعبدون ود[1] إلٰه القمر ثم دخل بعضهم في الديانة المسيحية حتى الإسلام.

أما بنو زهير بن جناب فنهم :

١ ـ بشر ٢ ـ حنظلة ٣ ـ عبد الله ٤ ـ صفوان.

---

(١) ورد في تفسير ابن كثير : (وقالوا لا تذرف آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ـ الآية : هذه اسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. قال البخاري : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب. أما ود فكانت لكل في دومة الجندل. الخ.

٥ ـ الفمل بن عياش وهو قاتل يزيد بن المهلب، وقيل بل قتله الهذيل بن زفر الحارس الكلابي.

أما بنو ضمضم فقد استقروا في دمشق وكان منهم قاض زمن الأمويين.

وبنو عليم انتقلوا إلى شمال سورية منطقة جبل السماق الذي سمي جبل بني عليم بعد السماق، وكان مركزهم أريحا واشتركوا في الحروب ضد الصليبيين.

ومن بني عليم الرباب بنت أنيف بن عبيد بن معاد بن حصن بن كعب بن عليم ابن خباب وكانت زوجة للزبير بن العوام وهي أم مصعب بن الزبير الذير الذي قتل في معاركه مع عبد الملك بن مروان وأسف عبد الملك لمقتله لأن أخواله من بني كلب وهم عصبته.

حسان بن مالك بن بحدل وهو الذي قام بأمر مروان ابن الحكم يوم مرج راهط وانقض على القيسيين، وكان ذلك سببًا في نكبة بني كلب على يد بني العباس، لم يقوموا بعدها حتى زمن الحمدانيين خلفائهم من تغلب.

وفي ذلك يقول شاعر القيسيين:

قد ينبت المرعى على دفن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هي

بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنانة، وكان قنانة من ملوك دومة الجندل وسيد بني كلب، وقد تزوج معادية بن أبي سفيان أبنته ميسون الكلبية التي قالت بيت الشعر المشهور:

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف

وكانت زوج يزيد وأم خالد بن يزيد بن معاوية من بني كلب، وكانوا يسكنون تدمر بعد الجوف، وقد قتلت مروان بن الحكم لأنه تزوجها ليخضع ابنها خالدًا[١].

---

(١) جمهرة الأنساب لابن حزم.

ولما أصبح عبد الملك خليفة وتلقى البيعة في المسجد الأموي اراد أن يقتص منها فقالوا له : إن العرب تعيرك لأن أمرأة قتلت أباك، فعفا عنها. وهرب خالد بن يزيد إلى تدمر واشتغل بالكيمياء. والظاهر أن عبد الملك عفا عنها لأن بني كلب كانوا عماد دولته .

ومن قبيلة كلب أسامة بن زيد وأبوه زيد بن حارثة وكان رقيقًا أعتقه الرسول ﷺ وزوّجه، فكان أو زواج لقرشية من مولى .

ولكنه لم يكن مولى في حقيقة الأمر لأنه عربي أُسر وبيع فأصبح رقيقًا. وهما صحابيان مشهوران عقد لهما رسول الله ﷺ لواءين ، لواء يوم مؤتة لزيد، ولواء لأسامة سيّره أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد وفاة الرسول ﷺ. وكان تحت قيادة أسامة بن زيد كثير من الصحابة من قريش والأنصار (رضي الله عنهم) وكان ذلك درسًا للصحابة لإطاعة أولي الأمر مهما كانوا .

ومن بني كلب بنو عامر. والعوامرة لهم عين حتى الآن في دومة الجندل باسم (عين آل عامر) وعامر هو أخو صعصعة لأمه وأمها عمرة بنت عامر بن الظرب العدواني، ومازالت هذه العين محتفظة باسم صاحبها من القديم إلى الآن .

وخالد بن عثمان بن سعد رئيس الشرطة لهشام بن عبد الملك. وسفيان بن الأبرد أحد قواد بني أمية الذي حارب في حملة القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك زمن الوليد والابرش الكلبي سعيد بن بكر وزير هشام بن عبد الملك.

ومنظور بن جهور وزير يزيد بن الوليد، والحكم بن عوانه ابن عياض .

أما من اشتهر من نساء بني كلب فمنهن :

١ ـ هرّ ابنة العامري وهي بنت سلامة بن عبد الله، ويقال ابن عبد الله بن عليم من كلب، وكان امرؤ القيس في كلب وطي أي في الجوف أيام نفاه أبوه. وابنها الحارث بن حصين ابن ضمضم بن خباب الكلبي. وقد قال فيها امرؤ القيس :

وفيمن أقام من الحي هي أم الظاعنون بها في الشطر
وهي تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر
رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم انتصر[1]

قال شارح ديوان امرئ القيس :

قوله : رمتني بسهم أي نظرت إلى نظره فلم انتصر أي لم يبلغ جبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي .

قال الطوسي : **سهمها** : أي عيناها.

وقد تزوج علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما أم البنين الكلبية وولدت له عدة أولاد منهم :

١ ـ العباس ٢ ـ جعفر ٣ ـ عبد الله ٤ ـ عثمان.

وقد قتلوا مع الحسين رضي الله عنه في كربلاء علي يد عبيد الله بن زياد.

قال زهير بن أبي سلمى :

لقد زارت بيوت بني عليهم من الظلمات أعساس ملاء

وقال الأعشي :

ومنهم بنو الشهر الحرام فلست منهم ولست من الكرام بني العبيد

ومن بني كلب : دحية بن خليفة كان صديقًا لرسول الله ﷺ في الجاهلية وكان الرسول ﷺ يأنس إليه لأخلاقه، وقد أتى جبريل رسول الله ﷺ في الغار على صورة دحية حتى لا يروعه.

وكان عمر بن الخطاب يثق بعلقمة بن وائل بن مروان الكلبي وكلفه على المقاسم يوم اليرموك ليقسم بالعدل .

---

(١) انظر ديوان امرئ القيس.

أما من تولى الوزارة والأمارة من بني كلب فكثر في العهد الأموي حتى قيل إن الدولة الأموية دولة بني كلب، وسبب ذلك أن أكثر القبائل العربية تفرقت في الأمصار الإسلامية بعد الفتح وكان بنو كلب منعوا من الاشتراك في القتال لعدم ثقة أبي بكر بهم وقد حاربهم خالد بن الوليد كما سيأتي في التاريخ الإسلامي وانقذهم بنو تميم حلفاؤهم يوم فتح حصن مارد بدومة الجندل وبقوا في السماوة حتى الحكم الأموي فخلا لهم الجو(١).

يقول الاخنس بن شهاب التغلبي :

لكل إناس من معد إمارة … عروض إليها يلجئون وجانب
لكيز لها البحران والسيف كله … وإن يغشها بأس من الهند كاذب
تطاير على أعجاز جوش كأنها … جهام أراقوا ماءه فهو آيب
وبكر لها بر العراق وإن تشأ … يحل دونها من اليمامة حاجب
وصارت تميم بين قف ورملة … لها من جبال منتآى ومذهب
وكلب لها خيف ورملة عالج … إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب
وبهراء حي قد علمنا مكانهم … لهم شرك حول الرصافة لا جب
وغارت إياد بالسواد ودونها … برازيق عجم تبتني من تضارب
ونحن أناس لا حجاز بأرضنا … مع الغيث ما نلقي ومن هو عازب

وقال أمرؤ القيس :

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا … وحلت سليمى بطن قوٍ فعرعرا
كنانية بانت وفي الصدر ودها … مجاورة غسان والحجي يعمرا
فشبهتهم في الآل لما تكمشوا … حدائق دوم أو سفينًا مقيرًا
أو المكرعات من نخيل ابن يامن … دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
سوامق جبار اثبت فروعه … وعالين قنوانًا من البر أحمرا
تقطع اسباب اللبانة والهوى … عشية جاوزنا حماة وشيزرا

(١) انظر الدكتور عبد الله البراوي ـ العرب في مصر.

إلى أن يقول :

فلما بدت حوران في الآل دونها نـظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

وإن من حسن ما بلغ من وفائهن ما صنعته ابنة الفرافصة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان من قصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمر بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية فبلغ ذلك عثمان بن عفان فكتب إلى سعيد أما بعد فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب إلى بنسبها وجمالها. فكتب إليه سعيد أما بعد : أما نسبها فهي أبنة الفرافصة ابن الاحوص وأما جمالها فبيضاء مديدة والسلام.

فكتب إليه عثمان إن كانت لها أخت فزوجنيها، فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناته على عثمان.

وقيل إن تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف قالت لعثمان هل لك في ابنة عم لي جميلة ممتلئة الخلق أسيلة الخد أصيلة الرأي تتزوجها قال : نعم ، فذكرت له نائلة ابنة الفرافصة الكلبية فتزوجها وهي نصرانية فتحنفت وحملت إليه من بلاد كلب .

وقيل إن ابن الفرافصة قال لابن له يدعى ضبا وكان قد أسلم وأبوه نصراني يا بني زوج عثمان بن عفان اختك فزوجه فلما أراد حملها قال لها أبوها : أي بنية إنك ستقدمين على نساء قريش وهن أقدر على الطيب منك فأحفظي عني اثنين : تكحلي وتطيبي بالماء حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين فلما حملت شق عليها الغربة واشتاقت إلى أهلها فقالت :

ألست ترى يا ضب بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركُبا
إذا قطعوا خزمًا تخب ركابها كما زعزعت ريح يراعا مقصبًا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم لك اليوم ما يغني الخباء المطنبا

---

(١) انظر الطبري جـ٢.

فلما قدمت على عثمان قعد على سرير وألقى لها سريرًا فجلست عليه ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال :

يا ابنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من الصلع فإن من ورائه ما تحبين . قالت : إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض السادة . فقال : إما أن تقومين إليَّ ، وإما أن أقوم إليك . فقالت : ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك ، ثم قامت إليه فجلست إلى جانبه فمسح رأسها ودعا بالبركة وقال : اطرحي عنك خمارك فطرحته ، ثم قال : اخلعي درعك فخلعته ، ثم قال حلي إزارك . فقالت ذاك إليك فحله فكانت من أحظى نسائه عنده فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف فالقت نفسها عليه فضرب عجيزتها وكانت من أعظم النساء عجيزة . فقالت : أشهد أنك فاسق لم تأت غضبًا لله ولا لرسوله فأهوى إليها بالسيف ليضربها فاتقته بيدها فقطع اصبعين من أصابعها فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه :

ألا إن خير الناس بعد نبيه قتيل التجوبي الذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد ذهبت عنا فضول أبي عمر

فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها فنزعت ثنيتها العليا وقالت أذات عروس هذا.

وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان فدعت بفهر فهتمت فاها وقال والله لا أقعد أحدًا مني مقعد عثمان أبدًا .

الفصل الثاني عشر

الجوف في القرن السابع الميلادي قبل الإسلام وأهميته التجارية

عرف الجوف بأنه من أهم المواقع التجارية في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام لأنه همزة وصل بين الطرق التالية :

١ ـ طريق المدينة ـ خيبر ـ تيماء ـ الجوف .
٢ ـ طريق اليمامة وهجر ـ جبلي طي أجا وسلمى ـ النفود ـ الجوف.
٣ ـ طريق دمشق ـ عمان أو فيلادلفيا ـ قراقر ـ الجوف.
٤ ـ النجف أو القادسية والحيرة ـ أودية بني كلب وهي عرعر ـ ايا القور ـ المرير ـ الجوف .

على أن أهم هذه الطرق، الطريق الممتدة من ساحل المحيط الهندي والموصلة من ساحل الهند بحرًا إلى الخليج العربي وقرى هجر وجزيرة تاروت إلى جبلي أجأ وسلمى ثم تقطع النفود إلى الجوف فوادي السرحان إلى دمشق أو إلى البتراء ثم غزة .. هذه الطريق كانت تمر منها توابل الهند وحريرها وزيتها وذهبها إضافة إلى البخور واللبان من عُمان لتتجه بالطريق البري إلى بلاد الروم دون أن تمر على بلاد فارس التي كانت في نزاع دائم مع الروم .

لذلك فحاصلات الشرق لا بد لها من المرور إما من الخليج إلى الجوف ثم إلى سورية أو من اليمن إلى مكة إلى إيلات على خليج العقبة ثم إلى سورية فبلاد الروم فأوربا ..

كانت هذه الطريق بعيدة عن تأثير قوة فارس وهذه الطريق التجارية كانت تمر من الأبلة شمال الخليج العربي عبر فارس في القرن الأول الميلادي إلى تدمر ثم إلى حمص فبلاد الروم فأوربا ..

ولكن الروم خربوا تدمر، وقبائل تنوخ في الحيرة أصبحت تحت راية الفرس مما عطل الطريق التجارية الشمالي وتقهقرت الطريق باتجاه الجنوب فبدأت الجوف تظهر

في عالم السياسة والتجارة وتأخذ موقعها الاستراتيجي المتوسط على الطريق بين خليج العرب وخليج إيلة المعروف حاليًا باسم خليج العقبة وكان أهم من أمّن هذه الطريق التجارية أمرؤ القيس الذي سيطر على الطريق بموجب توسط اسقف العرب بطرس له عند الإمبراطور الروماني الذي أعطاه لقب فيلارخ أي عامل على البادية الممتدة من قرب الحيرة[1] حتى البلاد الحجرية أي بلاد الأنباط[2] في الأردن وبذلك أصبح الطريق التجارية التي يسيطر عليها امرؤ القيس من الأيلة على ساحل الخليج عند جزيرة فلكا أي الكويت الآن حتى الحفر ـ سكاكا ـ دومة الجندل. ومنها إلى قرب تبوك ثم إلى عينونه وجزائر تيران وصنافير عند خليج العقبة وهي التي كانت تسمى يوتابا.

ويذكر المؤرخون البيزنطيون أن امرأ القيس أصبح غنيًا بسبب الضرائب التي كان يفرضها على السفن المارة في خليج العقبة وكان يقوم بالغزو على القبائل المجاورة لهذا الطريق التجاري حتى يقيم معها التحالف أو يخضعها كي لا تهاجم القوافل ، فالقبيلة التي كانت تسكن سكاكا ودومة الجندل السكون والسكاسك من كندة تهاجم قبائل وبدان في منطقة مدين وحصل منها على غنائم كثيرة كما هاجم الأعراب في منطقة دومة الجندل وتحالف مع كلب في الحماد وحتى لا تغير قبيلة أسد على قبيلته لأن أسد كانت تسكن جبل طي (أجا وسلمي) في حائل الآن وكان بينهما حروب كثيرة ويظهر أن قسمًا من هذه الحروب حتى لا تنافس تجارة الجوف أي تجارة الطريق الممتدة من هجر إلى حائل إلى تيماء إلى ساحل البحر الأحمر أي لا تنافس الطريق الممتدة من جنوب النفود الطريق الممتدة شمال النفود والتي تمر في الجوف .

ومع نشاط المعاملات التجارة والحروب والغزو شمال الطرق التجارية المجاورة للجوف وكذلك جنوبها وباعتبار الجوف مركزًا لتلاقي الطرق بين الحجاز ونجد

---

(١) انظر جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الإسلام المطول.

والعراق والشام كان لابد لإقامة مركز تجاري كبير في الجوف فكان هذا المركز سوق دومة الجندل .

سوق دومة الجندل : كان سوق دومة الجندل التجاري من أكبر أسواق العرب وله أثره الكبير قبل الإسلام فكانت تحضره القبائل العربية ويقام في أول يوم من شهر ربيع الأول ويستمر فيه البيع والشراء والأخذ والعطاء وفكاك الأسرى وجمع الديات والإصلاح بين القبائل ويتولى حماية هذه السوق وتعشيرها رؤساء دومة الجندل وهم آل الأكيدر من السكون وآل قنانة من بني كلب أو ذوي الصلة بهم ويمتد قيام السوق إلى آخر الشهر حيث ينتقل السوق العام إلى سوق هجر في البحرين[1] .

قال المؤرخ جواد علي في كتابه تاريخ العرب[1] .

كان قيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه ثم يرق فلا تزال قائمة إلى آخر الشهر ثم يفترقون عنها إلى مثيلتها من قابل .

وكتب الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه اسواق العرب قال : كانت كلب وجديلة طي جيران في دومة الجندل. وكان ملك المدينة بين ملكها ابن الاكيدر العبادي وقنانة الكلبي .

فكان العباديون إذا غلبوا وليها أكيدر وإذا غلبها القضاعيون وليها قنانة الكلبي .. وكانت غلبتهم أن الملكين يتحاجيان. فأيهما ملك غلب صاحبه باخراج ما يلقي عليه. تركه والسوق يصنع بها ما يشاء. ولم يبع بها أحد شيئًا إلا بإذنه حتى يبيع الملك كل ما أراد مع ما يصل إليه من عشورها .

وهذا النص عن الحياة التجارية في دومة الجندل يمكن أن نستنتج منه مايلي : إن النزاع بين السكوك وكلب كان نزاعًا فكريًا وهذا يدل على رفعة المستوى الفكري. والبعد عن روح الجهالة. ويدلنا الكُتاب الذين وضعوا دومة الجندل وسكاكا أن أهالي الجوف هم الذين نقلوا الخط العربي من الحيرة ومن قبيلتي إياد والنمر إلى مكة.

---

(١) اسواق العرب ـ سعيد الافغاني.

(١) تاريخ العرب المطول لجواد علي.

وعلموا قريشًا الكتابة فكان سكان الجوف فيهم من المتعلمين مثل ما في القبائل العربية الموجودة على أطراف العراق والشام وقد استمر عدد من يحسنون القراءة والكتابة في الجوف حتى نهاية العصر العثماني رغم خضوع المنطقة اسميًا للدولة العثمانية.

الحرب الفكرية بدلاً من الحرب الدموية وهذا غاية الإنسانية وليت الدول الكبرى تعدل عن صناعة الأسلحة الفتاكة إلى التقدم العلمي والفكري لتصل إلى المستوى الفكري العالي الذي وصل إليه هؤلاء .

أما الضريبة على البضائع التي في الأسواق فهي العشر وتمنح إلى الملك الحاكم وهذا الملك كما يفهم من النص هو تاجر أيضًا فكان يبيع بضاعته أولاً ثم بضائع القوافل الواردة إلى دومة الجندل أما طريقة المبايعة فتقول النصوص كانت مبايعة العرب فيها بالقاء الحجارة وذلك أنه ربما اجتمع على السلعة النفر يساومون عليها صاحبها فأيهم رضي ألقى حجره، وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بدًا من أن يشتركوا وهم كارهون وربما اتفقوا فالقوا الحجارة جميعًا إذا كانوا عددًا على أمر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذا طابقوا عليه .

أما عن وصول القوافل إلى دومة الجندل فتقول النصوص : كان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يتمضرّ بقريش مادام في بلاد مضر لأن مضر لم تكن تعرض لتجار مضر ويهيجهم [1] حليف لمضر وهذا ما تعارفت عليه قبائل العرب أما كلب فكانوا متحالفين مع قبيلة طي في أجا وسلمي وبني تميم في جنوبي نجد حتى ساحل الخليج كما كانت طي حليفة لبني أسد ولا تهيجهم لحلفهم لبني أسد وهكذا كان طريق الشرق عبر النفود مفتوحًا لقبيلة كلب تسير به قوافلها .

(١) لا يهيجهم : أي لا يهجم عليهم .

(٢) كانت كلب تغزو حتى بلاد فارس ويورد الطبري أن كلبًا غزت فارس وعادت بالسبي وفيه سلمان الفارسي الذي بيع بسوق دومة الجندل إلى ناحية وادي القرى فكاتب اليهودي وأعانه رسول الله ﷺ حتى أعتق رضي الله عنه.

ويمكن أن نفهم من هذا النص أن الأسواق كانت تعتمد على قوة القبائل فقبيلة قريش المضرية تقيم أسواق مضر في سوق عكاظ وقبيلة بني تميم تقيم اسواقها في هجر شرقي الجزيرة العربية وقبيلتا السكون وكلب تقيم سوقها في دومة الجندل وبذلك يتألف الثلاثي المشهور من الأسواق .

وكانت قوة القبائل في تحالفاتها. فقبيلة كلب أقوى القبائل في شمال الجزيرة العربية لها صلات وتحالف مع قبائل قوية مجاورة لها مثل قبيلة طي/ وقبيلة طي محالفة لقبيلة أسد وصلة طي بقبيلة كلب في أنهما تتقاسمان الحياة في الجوف وما حولها .. كما تتقاسمان ملكية سوق دومة الجندل .

كما أن قبيلة كلب كانت حليفة لبني تميم وقد ظهر أثر هذه التحالفات عدما فتح خالد بن الوليد دومة الجندل وانقذت تميم كلبًا من القتل خلال حروب الردة .

ولابد من القول عن النسيئة ـ كانت أشهر العرب القمرية إثنى عشر شهرًا وتعادل ٣٥٥ يومًا والسنة الشمسية ٣٦٥ يومًا وربع اليوم والأشهر القمرية كما يفهم من اسمائها باسم الفصول فربيع في الربيع وجمادى في الشتاء ورمضان في الرمضاء الحر وهكذا ... وكانت الأيام العشرة تتجمع لتشكل فروقًا بين التقويم الشمسي والتقويم القمري . وكانت رحلات قريش شتاءً إلى اليمن وصيفًا إلى الشام كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ ولتستمر مواعيد الأسواق مطابقة لمواعيد الفصول المتعلقة بالتقويم الشمسي كان لابد من زيادة شهر كل ثلاث سنوات. فكانت قريش تزيد شهر صفر فتقول : (صفر الأول وصفر الثاني) وتعلن ذلك في سوق عكاظ .

وقد نهى الإسلام عن النسيئة وحرّم ذلك.

وأخيرًا لابد من ذكر أن قبائل الجوف كانت أيضًا على علاقة قوية من القبائل العربية الشمالية : المناذرة والغساسنة ونمر وإياد وبهراء وتنوخ وتجمعهم مع هذه القبائل صلة النسب فهذه القبائل من قضاعة جد بني كلب كما ذكر في بحث بني كلب .

ومع بداية التاريخ الإسلامي بالهجرة المباركة بدأ المسلمون يتعرضون لقوافل قريش وتأثرت الطريق التجارية بين اليمن والشام وفي الوقت نفسه كانت الحروب بين الفرس والروم واحتلال الفرس لسوريا ومصر قد أثرت على الطرق الشمالية لمنطقة الجوف وقد ورد ذكر هذه الحروب في القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى: «الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد» الآيات.

فكانت هذه الحوادث من الأمور التي أعطت أهمية كبيرة لسوق دومة الجندل وللطريق المار من هجر والأبلة[1] والقطيف إلى دومة الجندل ثم إلى الشام عن طريق وادي السرحان أو إلى فلسطين عن طريق معان حتى غزة ثم مصر وقد كان على قبيلتي كلب وطي ساكني الجوف أن يدعموا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حروبه ضد قريش ولكنهم تآمروا عليه وساعدوا قريشاً لعلاقاتهم التجارية معها دون أن يقيموا وزناً لمصلحتهم ورغم الأفكار التي نادى بها الإسلام تجاه أهل الذمة من النصارى وكان أغلب سكان دومة الجندل على الديانة النصرانية فإنهم وقفوا مع الوثنية ضد الإسلام وضد مصالحهم وبدأت طي تتعرض للقوافل المارة من حائل إلى تيماء ثم المدينة وكذلك كلب تجمع جموع القبائل المعادية للرسول صلى الله عليه وسلم لمهاجمته مما أدى إلى النزاع بين المسلمين وبينهم وغزوات دومة الجندل كما سيأتي في البحث القادم[2] إن شاء الله.

وكان أهل الجوف يعيشون برغد من زراعتهم وتجارتهم ويكرمون الضيوف ويطعمون القوافل وفي ذلك يقول إياد بن قبيصة عند مفاوضات الصلح مع خالد ابن الوليد قال له[1]:

رأيت المرأة تخرج من الحيرة إلى دمشق فلا تزود رغيفاً.

---

(١) الابلة ـ مدينة قريبة من البصرة في أعالي خليج العرب ـ ميناء للبضائع الواردة من الهند.

(٢) لزيادة الإيضاح انظر الطبري والواقدي ـ عن اسباب الغزوات الإسلامية.

(١) الطبري ج-٢ ص ١٤.

وكان رؤساء قبائل دومة الجندل يستضيفون القوافل ويطعمونها على حسابهم إضافة إلى التجار الواردين للتسوق من السوق وتذبح لهم الذبائح وتقوم مباريات بالكرم بينهم .

الباب الثالث

الجوف
والعصر الإسلامي



كتابات على جبال الثملة غرب مدينة قارا



كتابات على جبال الثملة غرب مدينة قارا



كتابات موجودة على جبال الطوير من الجنوب



كتابات موجودة على جبال الطوير من الجنوب

الفصل الأول :

الجوف .. وظهور الإسلام في جزيرة العرب

لما أرسل الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم هاديًا للبشر وداعيًا إلى دين الحق كانت منطقة الجوف وما جاورها تعبد الأصنام فكان ود إله القمر صنم بني كلب في دومة الجندل وسدنته من بني الفرافصة وكان نسر إله طي وسدنته بنو القين أما ما جاور الدومة من الشمال في الحماد الممتد من الحيرة إلى بصرى الشام في حوران فكانت قبائل قضاعة وتنوخ وغسان ولخم وإياد وبهراء وتغلب وأكثرها يدين بالديانة المسيحية على المذهب النسطوري وكان الروم يحاربون اتباع الطبيعة الواحدة (النساطرة) فالتجأ هؤلاء إلى الإكثار من شرب الخمر.

وكان أهل دومة الجندل وما يتبعها يتآمرون على الرسول ﷺ بتأثير اليهود الهاربين بعد غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريضة وقد سكن بعض هؤلاء في تبوك، بتشجيع الروم في بلاد الشام الذين شعروا بالخطر عليهم من المسلمين، وكذلك الفرس.

قال الواقدي : غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل في شهر ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة فقد بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعًا كثيرًا وأنهم يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ـ والدومة طرفه من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة فندب رسول الله ﷺ الناس واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة الغفاري وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور فلما دنا منهم إذ هم مغربون (أي في وادي السرحان) وإذا آثار النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحدًا فأقام بها أيامًا وبث السرايا فرجعت ولم

تصب منهم أحدًا، وأخذ منهم رجلاً فسأله رسول الله ﷺ عنهم فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم .

فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول ﷺ إلى المدينة لعشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر .

ويظهر أن أهالي الدومة ورجالها قد هربوا إلى صحراء النفود القريبة يتحصنون برمالها حتى يرجع عنهم النبي ﷺ وتركوا أنعامهم وبيوتهم، وساحة المدينة التي حط فيها رسول الله ﷺ رحالة لاتزال الآن وفيها مسجد عمر بجانب قلعة مارد كما سيأتي في الفصول القادمة .

ولكن رسول الله ﷺ أراد أن تكون دومة الجندل حصن الدفاع عن الإسلام باعتباره أحد أفواه الشام ويريد أن يحارب الروم دون أن يهاجم من الظهر لذلك أراد السيطرة على دومة الجندل قبل فتح مكة.

ولهذا أرسل في العام التالي أي السادس للهجرة الصحابي الشهير عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة مسلم محارب إلى دومة الجندل وذلك في شعبان وقد استعرض رسول الله ﷺ الجيش قبل سفره وعمم عبد الرحمن بيده بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها .

قدم عبد الرحمن إلى دومة الجندل فدعاهم إلى الإسلام ثلاثًا فأبوا ثم أسلم الاصبع بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًا وكان رأسهم فبعث عبد الرحمن فاخبر النبي ﷺ بذلك فكتب إليه : أن تزوج تماضر بنت الاصبع فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها وأقبل بها وهي أم سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

كما أسلم أمرؤ القيس بن الأصبع الكلبي وله صحبة مع رسول الله ﷺ وحسن اسلامه ولم يرتد مع من ارتد عند وفاة النبي ﷺ كما تزوج ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وولدت له سكينة بنت الحسين المشهورة بجمالها وأدبها وقد قال فيها الشعراء كثيرًا[١] .

وتدل الأخبار أن أهل دومة الجندل نبذوا حكم بني كلب وتمادوا في غيهم وبعدهم عن الدين واختاروا الأكيدر بن عبد الملك والاكيدر هو من السكون من كندة التي كانت تقاسم بني كلب دومة الجندل وحكمها .

على أن النبي ﷺ كان يريد قبل أن يحج ويخضع قريشًا وغيرها من قبائل الحجاز إلى الدين الصحيح أن يضمن أن لا تهاجم المدينة من الشمال.

وكان قد غزا اليهود في المدينة بعد غزوة الخندق فاستراح من بني قريظة . وفي العام الذي يليه أدرك خطر تجمع اليهود في خيبر فعقد صلح الحديبية مع قريش والذي أتاح له مهاجمة خيبر وحصونها واخضاع اليهود فيها ، وفي السنة الثامنة كان عام الفتح حيث فتحت مكة وأتته وفود بلي وطي وجذام والداريين من لخم وأهل الطائف وغيرهم وتخلف عرب الشمال بين الحيرة وحوران وكانوا على الديانة المسيحية ومن والاهم من عبدة الأصنام.

وكانت قريش قبل الفتح ترسل وفودها لتحريض هؤلاء على قتال الرسول ﷺ كما ترسل السفارات إلى الروم واليمن والحبشة وفارس لذلك رأى رسول الله ﷺ أن يغزو الشمال ليرهب أعداء الله ويبعد خطر الروم.

فلما وصل إلى تبوك لم يجد أثرًا للروم بل آتاه حنة بن رؤبة صاحب إيلة وحاكمها من قبل الروم وإيلة هي العقبة على خليج العقبة حاليًا وصالح رسول الله ﷺ على الجزية وكذلك تتابعت الوفود على الرسول ﷺ فحضر وفد جرباء ووف أذرح .. وكلهم دفعوا الجزية وصالحوا رسول الله ﷺ.

قال الطبري وكتب رسول الله ﷺ لكل كتابًا فهو عندهم .

ولكن أهل دومة الجندل أمعنوا في الضلال ولم يحضر أحد منهم إلى تبوك ليعلن إسلامه أو يصالح ويدفع الجزية لذلك دعا رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وبعثه إلى أكيدر دومة وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كنده كان ملكًا عليها وكان نصرانيًا

---

(١) انظر جمال المرأة عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد .

فقال رسول الله ﷺ لخالد إنك ستجده يصيد البقر وذلك في السنة التاسعة من الهجرة، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العيق وفي ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه أمرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، قالت له أمرأته، هل رأيت مثل هذا قط. قال لا والله قالت فمن يترك هذا قال لا أحد. فنزل فأمر بفرسه فاسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول ﷺ فأخذته وقتل أخوه حسان وقد كان عليه قباء له من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه[1]

حدث الطبري عن أنس بن مالك قال: رأيت قباء أكيدر حين قدم به إلى رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون فيه. فقال رسول الله ﷺ أتعجبون من هذا .. فوالذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

أما الواقدي فذكر عن غزوة دومة الجندل قال وهي غزوة أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب سنة تسع للهجرة وهي على عشرة أميال من المدينة ..

قال: حدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة، ومعاذ بن محمد، عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وإسماعيل بن إبراهيم، عن موسى بن عقبة، وكل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة، وعمادة حديث ابن أبي حبيبة.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة فأرسل إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان أكيدر من كنده قد ملكهم وكان نصرانيًا. فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب. وإنما أنا في أناس يسير؟.. فقال رسول الله ﷺ: ستجده يصيد البقر فتأخذه. قال فخرج خالد حتى إذا كان

(١) عن كتاب المغازي للواقدي جـ ٣.

فقال رسول الله ﷺ : ستجده يصيد البقر فتأخذه . قال فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته. الرباب بنت أنيف بن عامر من كنده. وصعد على ظهر الحصن من الحرّ وقينته تغنيه ، ثم دعا بشرابٍ فشرب. فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فأقبلت امرأته الرباب فأشرفت على الحصن فرأت البقر فقالت : مارأيت كالليلة في اللَّحمْ !

هل رأيت مثل هذا قط ؟

قال : لا .

ثم قالت : من يترك هذا ؟

قال : لا أحد .

قال : يقول أكيدر : والله ما رأيت جاءتنا ليلة بقر غير تلك الليلة ، وقد كنت أضمر لها الخيل إذا أردت اخذها شهرًا أو أكثر ، ثم أركب بالرجال والآلة.

فنزل فأمر بفرسه فأسرج ، وأمر بخيل فأسرجت. وركب معه نفر من أهل بيته. معه أخوه حسان ومملوكان فخرجوا من حصنهم بمطاردهم ، فلما فصلوا من الحصن ، وخيل خالد تنتظرهم ، لا يصهل منها فرس ولا يتحرك ، فساعة فصل أخذته الخيل ، فاستأسر أكيدر وامتنع حسان ، فقاتل حتى قتل وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيته فدخلوا الحصن. وكان على حسان قباءٌ وديباج مخوّص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمرْو بن أميه الضُّمري حتى قدم عليهم ، فأخبرهم بأخذ أكيدر.

قال أنس بن مالك وجابر بن عبد الله : رأينا قباء حسان أخي أكيدر حين قدم به إلى رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يتلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه. فقال رسول الله ﷺ أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا !

وقد كان رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد : إن ظفرت بأكيدر فلا تقتله وأت به إليَّ . فإن أبى فاقتلوه فطاوعهم. فقال بجير بن بجرة من طي ، ذكر قول

النبي ﷺ لخالد : إنك تجده يصيد البقر، وما صنع البقر تلك الليلة ـ بباب الحصن تصديق قول رسول الله ﷺ فقال شعرًا :

تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدي كل هاد
ومن يك عائدًا عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

وقال خالد بن الوليد لأكيدر : هل لي أن أجيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله ﷺ على أن تفتح لي دومة ؟

قال نعم ، ذلك لك.

فلما صالح خالد أكيدر. وأكيدر في وثاق. انطلق به خالد حتى أدناه من باب الحصن ونادى أكيدر أهله : إفتحوا باب الحصن ؟ فرأوا ذلك فأبى عليه مُصادٌ أخو أكيدر. فقال أكيدر لخالد : تعلم والله لا يهتموك لي ما رأوني في وثاق، فخلِ عني فلك الله والأمانه. أن افتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهله. قال خالد : فإني اصالحك.فقال أكيدر : إن شئت حكمتك وإن شئت احكمني.

فقال خالد : بل نقبل منك ما أعطيتَ ، فصالحه على ألفي بعير. وثمانمائة رأس «فرس» وأربعمائة درع وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيها حكمه.

فلما قاضاه خالد على ذلك خليَّ سبيله ففتح الحصن. فدخله خالد وأوثق مصادًا اخا أكيدر. وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرفيق والسلاح. ثم خرج قافلاً إلى المدينة ومعه أكيدر ومصاد. فلما قدم باكيدر على رسول الله ﷺ صالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلّى سبيلها.

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم. كتابًا فيه امانهم وما صالحهم وختمه يومئذٍ بظفره.[1]

---

(١) نفس المصدر السابق.

رسول الله ﷺ فصلّى معه الصبح وكان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح إنصرْف فيتصفح وجوه أصحابه ينظر إليهم. فلما دنا من واثلة أنكره، فقال : من أنت؟ فأخبره فقال : ما جاء بك ؟ قال أبايع ، فقال رسول الله ﷺ. فيما اطقتَ ؟ قال واثلة : نعم فبايعه ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك فخرج الرجل إلى أهله. فلقي أباه الأصقع فلمّا رأى حاله قال : قد فعلتها ؟ قال واثلة، نعم. قال أبوه، والله لا أكلمك أبدًا فأتى عمه، وهو مولي ظهره للشمس فسلم عليه فقال : قد فعلتها ؟ قال نعم ولامه لائمة أيسر من لائمة أبيه، وقال. لم يكن لك أن تسبقنا بأمر. فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه فسلمت عليه بتحية الإسلام. فقال واثلة : أنّى لكِ هذا يا أخيّه؟

قالت : سمعت كلامك وكلام عمك، وكان واثلة ذكر الإسلام ووصفه لعمه. فأعجب أخته الإسلام فاسلمت، فقال واثلة لقد أراد الله بك أخيّه خيرًا، جهزي أخاك جهاز غازٍ فإن رسول الله ﷺ على جناح السفر. فاعتطه مُدًّا من دقيق فعجن الدقيق في الدلو، وأعطته تمرًا فأخذه، وأقبل إلى المدينة، فوجد رسول الله ﷺ. قد تحمل إلى تبوك. وبقي عيرات من الناس وهم على الشخوص. وإنما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بيومين ـ فجعل ينادي بسوق بني قنبقاع : من يحملني وله سهمي [1].

قال : وكنت رجلاً لا رجلة لي، فدعاني كعب بن عجرة فقال : أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار، ويدك أسوة يدي ولي سهمك قال واثلة : نعم. فقال واثلة بعدك ذلك جزاه الله خيرًا ! لقد كان يحملني عقبتي، ويزيدني وآكل معه ويرفع لي، حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى اكيدر الكندي بدومة الجندل

---

(١) نفس المصدر السابق.

فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت : أخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها. فخرج إليّ وهو يبتسم ويقول : بارك الله لك فيها! ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا.

وكان أبو سعيد الخُدريّ رحمه الله يحدّث يقول : أسرنا اكيدر فاصابني من السلاح درع وبيضة ورمح وأصابني عشر من الإبل.

وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول : أسرنا أكيدر وأخاه، فقدمنا بهما على النبي ﷺ. وعُزل يومئذٍ للنبي ﷺ صفيٌّ خالص قبل أن يقسم شيء من الفيء ثم خمس الغنائم فكان للنبي ﷺ الخمس. وكان عبد الله بن عمر المزني يقول : كنا أربعين رجلاً من مزينه مع خالد بن الوليد وكانت سهامنا خمس فرائض، كل رجل مع سلاح يقسم علينا درع ورماح.

قال : حدثني يعقوب بن محمد الظّفري عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه قال : رأيت أكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهر.

قال الواقدي حدثني شيخ من أهل دومة أن رسول الله ﷺ كتب له هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والاصنام. مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكنافها. وإن لنا الضاحية من الضحل، والبور، والمعامي، وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر. والحصن، ولكن الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس، لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم، ولا يحظر عليكم النّبات ولا يؤخذ منكم عشر النبات،

---

(١) نفس المصدر السابق.

تقيمون الصلاة لوقتها. وتؤتون الزكاة لحقها. عليكم بذلك العهد والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين.

قال : الضحل الذي فيه الماء القليل .
البور : ما ليس فيه زرع.
المعامي : ما ليست له حدود معلومه.
أغفال الأرض : مياه .
لا تعدُّ فاردتكم : يقول لا يعد ما يبلغ أربعين شاه
الحافر : الخيل.
الضاحية : أطراف الارض.
المعين : المـــاء الظاهر.
الضامنه من النخل: النبات من النخل التي قد نبتت عروقها في الأرض.
ولا يُحْظَر عليكم النّبات: ولا تمنعوا أن تزرعوه.

قالوا : وأهدى له هدية فيها كسوة، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا آمنه فيه وفيه الصلح. وآمن آخاه ووضع عليه فيه الجزية فلم يك في يد النبي ﷺ خاتم فختمه بظفره. وكانت دومة الجندل وإيله وتيماء، قد خافوا النبي صلى الله عليه وسلم لمّا رأوا العرب قد اسلمت. وقدم يُحَنّه بن رؤبه على النبي ﷺ وكان ملك إيله، واشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله ﷺ كما بعث إلى أكيدر وأقبل معه أهل جرباء واذرح، فاتوه فصافحهم. فقطع عليهم الجزية. جزية معلومة، وكتب لهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله، ليحنه بن رؤبة وأهل ايلة «العقبة الآن» لسفنهم، وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله. ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، ومن أحدث حدثًا فإنه لا يحول ماله دون

---

(١) نفس المصدر السابق.

نفسه. وإنه طيب لمن أخذه من الناس. وأنه لا يحل أن يمنعوه ماء يريدونه. ولا طريقًا يريدونه من برًّا أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله ﷺ ووضع رسول الله الجزية على أهل إيله ثلاثمائة دينار كل سنة وكانوا ثلاثمائة رجل.

قال ابن اسحاق: إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته أي إلى دومة الجندل وكتب له ولاهل دومة كتابًا نصه: (١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام. ولأهل دومة. إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنه من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يخطر النبات تقيمون الصلاة لوقتها. وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله. ومن مراعيها ومواضعها لا يحشرها. ثم عاد الأكيدر إلى دومة الجندل. وكان خالد قد أجار الأكيدر من القتل حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة وحصنها. ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس واربعمائة درع واربعمائة رمح. وعزل للنبي ﷺ صفيًا خالصًا ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس وكان للنبي ﷺ ثم قسم ما بقي بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمسة فرائض ثم عاد خالد إلى المدينة بالأكيدر وأخيه مصاد وكان بالحصن وبما صالحه عليه أهل المدينة (أي دومة الجندل).

عند عودة مصاد من المدينة ترك دومة الجندل وهاجر إلى الشمال أرض الغساسنة وبنى له قصرًا في جبل حوران شمال بصرى هو قصر مصاد لا تزال بقاياه إلى الآن.

---

(١) نفس المصدر السابق.

وبعد هذه الغزوة الثالثة ازدادت العلاقات وثوقًا بين دومة الجندل أي منطقة الجوف وبين المدينة المنورة أي الحجاز فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود بن شراحبيل بن الجون بن حجر بن معاوية الكندي فلما دخل عليها وجد بها بياضًا فمتعها وردها[1]

أما يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فقد تزوج ابنة حريث بن عبد الله أخي الأكيدر حاكم دوما الجندل أو ملكها. بعد أن أسلم حريث نفسه فأقره رسول الله ﷺ على ما في يده من منطقة الجوف فسلم له وفي ذلك يقول سويد بن الكلبي :

فلا يأمنن قوم زوال ملكهم كما زال عن خبث ضامن أكدرا

أما عمال الرسول ﷺ وهم الذين يجبون الخراج ويعلمون الناس أصول الدين فيذكر الطبري : أن رسول الله ﷺ مات في السنة الحادية عشرة من الهجرة وعماله على قضاعة وعلى كلب أمرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي وكان أبوه قد اسلم وكان ملك دوما الجندل كما مر سبقًا. وعلى القين عمر بن الحكم وعلى سعد هزيم معاوية بن فلان الوائلي. قال السدي : فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب وبقي أمرؤالقيس على دينه. وارتد زميل بن فبطة العبسي فيمن آزره من بني القين وبقي عمر وارتد معاوية فيمن ازره من سعد هزيم ومن هذا النص نلاحظ أن المرتدين في الشمال من بني كلب وبني سعد ومن بني عبس زميل العبسي .

فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى امرئ القيس بن الاصبغ الكلبي وهو جد سكينة بنت الحسين أن يسير لوديعة الكلبي وكان وديعة في منطقة الجوف ودوما الجندل وقد حكم دوما مع الأكيدر بعد والده الاصبع الكلبي. فسار امرؤ القيس لوديعة كما أقام الحرب زميل ومعاوية من بني عذره أما أسامة بن زيد الذي عقد له الرسول ﷺ لواءًا لحرب الروم والانتقام منهم لمقتل أبيه في غزوة مؤتة وهو أيضًا من بني كلب ومن دوما الجندل فقد سار باتجاه الشمال وكان أبو بكر رضي الله عنه يريد

---

(١) نفس المصدر السابق.

به إرهاب الروم وانصارهم حتى لا يطمعوا بدولة الإسلام وحتى لا يساعدوا القبائل العربية في الشمال .

قال الطبري : فلما توسط أسامة بلاد قضاعة ـ وقضاعة بلي وكلب ـ بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه فخرجوا هربًا حتى آزروا إلى دومة واجتمعوا إلى وديعة وزحفت خيول أسامه إليه حتى أغار على الحمقتين فاصاب في بني الضبيب من جذام وبني خليل من لخم ولفها من القبيلتين وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا .

ولما بعث أبو بكر الجيوش لمقاتلة المرتدين لم يرسل إلى دومة إلا جيش أسامة وأمره أن يكون على حدود بلاد الشام للدفاع عن الدولة الإسلامية إلى أن ينتهي من حروب الردة ؛ وسبب إرسال جيش أسامة أن بعض الصحابة طلب إليه ارساله لقتال المرتدين فقال ما كنت لاحل عقده عقدها رسول الله ﷺ .

بعد معركة اليمامة والقضاء على مسيلمة الكذاب أمر أبو بكر المثنى بن حارثه أن يغزو العراق ثم اتبعه بخالد بن الوليد وأمرهما أن يغزوا من الجنوب خالد بن الوليد ومن الشمال عياض بن غنم وكتب بذلك إلى عياض وهو بين النباح والحجاز : أن سر حتى تأتي المصينح فابدأ بها ثم أدخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقي خالدًا وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمتكاره ، قال الطبري ولما قدم الكتاب على عياض وخال ارفض عنهما أهل المدينة وعادوا فأمدهما بعبيد بن عوف الحميري وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل من أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ ولا يغزوك معكم أحد ارتد.

وقال لعياض ايكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة فإذا اجتمعتا بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقم بالحيرة أحدكما وليقتحم الآخر على القوم وجالدوهم عما في أيديهم واستعينوا بالله واتقوه وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ، واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة وإياكم والاصرار وتأخير التوبة .

وبعد أن احتل خالد جنوب العراق حتى الحيرة أقام على كربلاء أيامًا فشكا إليه عبد الله بن وثيمة الذباب فقال له خالد أصبر فإنما أريد أن استفرغ المسالح التي أمر بها عياض فنسكنها فتأمن جنود المسلمين أن لا يؤتوا من خلفهم وتجيئنا العرب آمنة وغير متعتعة وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجدة الأمة .

أما عياض فسار إلى دومة الجندل. قال الطبري : كان عياض يطلب المدد من أبي بكر فلما وصلته الغنائم من خالد بن الوليد مع الوليد بن عقبة وجهه إلى عياض فقدم عليه الوليد وعياض محاصرهم وهم محاصروه ـ أي عياض محاصر لدومة الجندل التي لها سور والقبائل المحالفة لملك دومة محاصرة لعياض لا تمكنه من الحركة ـ وقد أخذوا عليه بالطريق فقال عياض للوليد الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ، ابعث إلى خالد فاستمده ففعل فقدم رسول عياض من دومة الجندل إلى خالد غب وقعة العين مستغيثًا فعجل إلى عياض بكتابه من خالد بن الوليد «إياك أريد» .

إلبث قليلاً تأتك الحلائب يحملن أسادًا عليها القاشب
كتائب يتبعها كتائب

خالد بن الوليد واحتلال دومة الجندل

يقول الطبري : لما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويم بن الكاهل الأسلمي وخرج في كتيبته التي دخل فيها العين، ولما بلغ أهل دومة مسيرة خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وقبل ما قد أتاهم وديعة في كلب وبهراء ومساندة وبرة بن رومانس .

وأتاهم الحدرجان في الضجاغم وابن الأيهم في طوائف من غسان وتنوخ فَاشْجَوا عياضًا وشَجّوا به ، فلما بلغهم دنو خالد وهم على رئيسين .. الأكيدر بن عبد الملك ـ والجودي بن ربيعة .

اختلفوا، قال الأكيدر : أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائرًا منه ولا أحدّ في حربٍ ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه ذلك فقال : لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم. وخرج لطيته، وبلغ ذلك خالد فبعث عاصم ابن عمر معارضًا له فأخذه، فقال : إنما تلقيت الأمير خالد فلما أتي به خالد أمر به فضربت عنقه وأخذ ما كان معه من شيء ومضى خالد حتى ينزل على أهل دومة وعليهم الجودي بن ربيعة ووديعة الكلبي وابن رومانس الكلبي وأبن الأيهم الغساني وابن الحدرجان الضجعمي فجعل خالد دومة الجندل بين عسكره وعسكر عياض.

وكان النصارى الذين أمدوا دومة الجندل من العرب محيطين بحصن دومة لأن الحصن لم يحملهم، فلما اطمأن خالد خرج الجودي بن ربيعة ونهض بوديعة الكلبي وزحفا لخالد وخرج بن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض ممن يليه.

فاقتتلوا فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد وهزم عياض من يليه وركبهم المسلمون فأما خالد فإنه أخذ الجودي أخذًا، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة وآزر بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم، فلما أمتلأ الحصن أغلق من في الحصن باب الحصن دون أصحابهم فبقوا حوله حرداء[1].

وقال عاصم بن عمر : يابني تميم حلفاؤكم كلب آسوهم وأجيروهم، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ففعلوا، وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بني تميم بهم وأقبل خالد بالجودي فضرب عنقه ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا اسرى كلب فإن عاصمًا والأقرع وبني تميم قالوا : قد آمناهم فاطلقهم لهما خالد، فقال له عاصم : لا تحسدهم العافية، ولا يحوزهم الشيطان، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا الشرخ[1]، فأقاموهم فيمن يزيد، فاشترى خالد ابنه الجودي وكانت موصوفة ـ أي مشتهرة بجمالها ـ وأقام خالد بدومة

---

(١) نفس المصدر السابق.

خريطة المعركة

جيش خالد بن الوليد

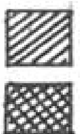
جموع قضاعة

سليم وكلب وغان وبهراء

الوادي

رجال دومة

جيش عياض



جيش خالد بن الوليد

رجال دومة



سليم وكلب وغان وبهراء

جيش عياض

ورد الأقرع إلى الأنبار، وكان خالد أقام بدومة فظن الأعاجم به وكاتبهم عرب الجزيرة غضبًا لعقة[٢]، ولما رجع خالد إلى الحيرة وكان منها قريبًا حيث يصبحها أخذ القعقاع أهل الحيرة النقْليس ـ فخرجوا يتلقونه وهم يقلسون ـ وجعل بعضهم يقول لبعض مروا بنا فهذا فرج الشر[٣].

وهكذا سلمت كلب في دومة الجندل بحلفائها من تميم، أما السكون أولاد عبد الملك جماعة الأكيدر فقد قُتلوا بعد حصرهم بالحصن، وبقيت كلب لتلعب الدور الكبير في عهد الدولة الأموية والدولة العباسية مع تغلب كما سيأتي.

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه:

نحن قتلنا تؤذرا وشوذرا　　وقبله ما قد قتلنا حيدرا
نحن ازرنا الفيضة الأكيدرا

على أن احتلال دومة الجندل لم ينه الحروب مع قبيلة كلب التي كانت أرضها تمتد إلى قنسرين فإن الطبري يذكر في الجزء الخامس أن أول لواء عقد لحرب الروم زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان لواء خالد بن العاص نزل خالد بتيماء وأمره أبو بكر ألا يبرحها وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه وألا يقبل إلا ممن لم يرتد ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذكر العسكر فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بنزول من استقرت الروم وهم قبائل:

١ ـ بهراء.
٢ ـ كلب.
٣ ـ سليح.

---

(١) الشرخ: النساء الشابات. وجرداء هكذا وردت في الطبري ص٢٣ جـ ٤.
(٢) عقبة هو أحد أمراء العرب الذين حاربوا خالدًا في دومة.
(٣) الطبري جـ ٣ ص٥٩٩.
(٤) تؤذرا: أحد قواد الروم في وقعة اليرموك وكذلك شوذرا.

٤ ـ تنوخ.
٥ ـ لخم.
٦ ـ جذام.
٧ ـ غسان.

وإن موقعهم دون زيزياء بثلاث فكتب إليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجمن واستنصر الله فسار إليهم خالد بن سعيد فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا منازلهم . فنزل ودخل عامة من كان تجمع في الإسلام وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك فكتب إلي :

أقدم ولا تحجمن ـ حتى لا تؤتي من خلفك ـ فسار فيمن كان معه من تيماء وفيما لحق به من طرف الرمل حتى نزلوا بين آبل وزيزياء والقسطل وكلها مدن صغيرة في وسط الأردن الآن.

وبعد رحيل خالد من الدومة ولي أبو بكر على علياء قضاعة عمر بن فلان العذري كما ولي الوليد على ضاحية قضاعة مما يلي دومة حيث أمّر امرأ القيس الكلبي فندبا الناس فقام إليهما بشر كثير وانتظروا أمر أبي بكر.

هذا الخبر يفيد أن أمرأ القيس الكلبي هو الذي حكم دومة الجندل بعد احتلالها من قبل خالد بن الوليد ورحيله إلى العراق وأن خالدًا تلقى كتاب امرئ القيس الكلبي من دومة أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصينح ونزل ربيعة بن بجير من تغلب بالثنى والبشر غضبًا لعقه للتعاون مع الفرس يريدان زارمهر وروزبه ولكن القعقاع قتل روزبه وزارمهر وهرب بعض الفرس إلى المهبوذان إلى المصينح عند الهذيل بن عمران من قضاعة وكانت معركة المصينح التي قتل فيها من لم يؤمن من كلب وفيها يقول عبد العزي :

أقول إذ طرق الصباح بغارة ‌ ‌ ‌ سبحانك اللهم رب محمد

الفصل الثاني :

الجوف تحت حكم الخلفاء الراشدين

استمرت منطقة الجوف تحت حكم الخلفاء الراشدين وكان واليها وعاملها إمرؤ القيس بن الأصبع الكلبي الذي اسلم بعهد رسول الله ﷺ كما مر معنا واستمر على دينه عند الردة وحارب مع عياض بن غنم المرتدين حتى فتحت على يد خالد بن الوليد وبقى فيها خالد فترة ينظم شئونها، ثم بارحها إلى العراق لمتابعة الحرب ضد الفرس بعد أن أمن أن لا يؤتى من الخلف أي من دومة الجندل حسب وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

في عهد عمر بن الخطاب كان إمرؤ القيس بن الأصبع حتى معركة القادسية واليًا على دومة الجندل رغم أنه اشترك في الحروب مع خالد بن الوليد وكان يقود المؤمنين من كلب. وبعد القادسية عاد عياض بن غنم فسلمه عمر بن الخطاب واليًا على دومة الجندل فبقي فيها فترة.

أمّا في عهد عثمان بن عفان فاستلم مروان بن الحكم حكم دومة الجندل ثم نقله إلى المدينة وأصبح كاتبًا له.

ولما قتل عثمان لم تشترك قبيلة كلب في مقتله كما لم يشترك منها في الفتوح إلا قلة لأن أكثرها كان مع المرتدين وكان يجب قتلهم لولا شفاعة عاصم التميمي والأقرع بن حابس لهم لذلك لم يوافق أبو بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب على اشتراك المرتدين في الفتوح الإسلامية حتى كانت الحروب بين علي ومعاوية. وليستطيع علي كرم الله وجهة أن يحفظ طريق المدينة الكوفة، حيث نقل عاصمته، كان لابد له من السيطرة على دومة الجندل وكانت تحت حكمه لأنها تتبع المدينة المنورة. ولأن معاوية لم يكن له إلا الشام حتى الحميمة التي كانت قد بايعت عليًا لأن سكانها أولاد العباس عم الرسول ﷺ.

لذلك اتفق على التحكيم باذرح في جنوب الأردن على الحدود أو في دومة الجندل لأن سكان دومة من بني كلب والسكون وكلاهما جند معاوية في صفين. ولم يكن مع علي إلا عدي بن حاتم وقلة من طي كما ورد في أسماء القبائل التي حاربت في صفين. واختيار الحكمين لدومة الجندل لأنها تقع متوسطة بين الشام والعراق وبعيدة عن قاعدة المتخاصمين لذلك لا يعقل أن تكون الحكومة في اذرح التي هي في الأردن وهو يتبع معاوية حيث لا يطمئن أبو موسى الأشعري وإذا كان علي رضي الله عنه أخضع دومة الجندل فلكي يكون الطريق مفتوحًا بين الكوفة ومصر التي كانت تحت حكمه وواليه عليها محمد بن أبي بكر الصديق.

وقد ذكر الطبري عن التحكيم فقال :

قال أبو مخنف حدثني المجالد بن سعيد عن الشعبي عن زياد بن النضر الحارثي قال : إن عليًا بعث اربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي وبعث معهم عبد الله بن عباس وهو يصلي بهم ويلي أمورهم. وأبو موسى الأشعري معهم.

وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدوما الجندل.

فأخذ عمرو يقدم أبا موسى الأشعري في الكلام ويقول له، إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنّ مني فتكلم وأتكلم فكان عمرو وقد عوّد أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ... بذلك كله أن يقدم فيبدأ يخلو علي ... كما في الرواية .

وكادت تحدث الفتنة بعد التحكيم لولا أن بارح أبو موسى الأشعري الدومة إلى مكة وبارحت جند معاوية وجند علي الدومة .

وبقيت الدومة بدون حاكم حتى سنة ٤٠ هـ حين أرسل معاوية بشر بن أرطأة وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش من أهل الشام فاحتل الحجاز واليمن بعد أن كان عمرو بن العاص قد أحتل مصر، وقتل محمد بن أبي بكر صبرًا.

وبعد التحكيم توزعت القبائل العربية بين الشام والعراق وأفريقية وفارس .

فبنوا أسد الذين سكنوا غرب النفود بعد أن احتلت أرضهم في جنوبي النفود من قبيلة طي إندفعوا نحو الشمال وسكنوا ضفاف الفرات حتى كانت لهم بعد معركة القادسية التي قدموا فيها أكثر من ٥٠٠ شهيد في اليوم الأول فقط وكانت لهم مكانة كبيرة وسيطروا على البصرة لفترة طويلة وقد ألف دبيس بن صدقة وابنه صدقة قوة كبيرة كانت شوكة في نفوذ بن بويه وتحكمهم بالعراق وكانوا أشبه بدولة جنوب العراق أما بنو ربيعة من مضر فقد تناقلوا إلى الشمال، وسكنوا الجزيرة بين دجلة والفرات.

وبنو بكر كذلك قصدوا الشمال وكانت اراضيهم على الفرات وسكنوا المنطقة الشمالية من الجزيرة المعروف باسمهم حتى الآن ديار بكر أما بنو تغلب من ربيعة فقد سكنوا منطقة قتسرين التي قتل سكانها من تنوخ قضاعة على يد خالد بن الوليد عند فتح سورية أما بنو جبيب من تغلب فقد استمروا في دينهم على النصرانية وأصبحت أراضيهم على جبال الأمانوس حتى عهد سيف الدولة الحمداني حينما حاربهم فدخلوا إلى داخل الأناضول.

هذا فيما بين النهرين، أما في سورية فقد اعتمد معاوية بن أبي سفيان وبقية الأمويين على بني كلب أسياد بادية السماوة، وقد أسسوا إمارات كثيرة في سورية منها:

١ ـ كان ابن ملاعب الكلبي حاكمًا لحمص في العصر العباسي الأول ومسيطرًا على البادية السورية.

٢ ـ صالح بن مرداس الكلبي وكان عاملاً لسيف الدولة الحمداني على شرقي حلب، وأسس دولة بني مرداس التي حكمت حلب فترة من الزمن.

٣ ـ سلطان وأسامة من بني منقذ بن علي كانا على حكم إمارة شيزر على نهر العاصي والمشرفة على الغاب وهم من كنانة.

٤ ـ مالك بن طوق الكلبي الذي حكم الرحبة وتعرف الآن باسم الميادين على الضفة الغربية للفرات.

أما بنو تنوخ من (بني كلب) فكانوا في معرة النعمان، وهي تنسب إلى النعمان بن امرئ القيس الكلبي التنوخي، ومنها أبو العلاء المعري.

أما بنو عليم (من بني كلب) فقد سكنوا جبل الزاوية الذي عرف بجبل بني عليم بعد أن كان يعرف باسم جبل السماق. كما تحضر قسم كبير من بني كلب وسكنوا في غوطة دمشق في منطقة (حرستا) وفي جنوب جبل حوران لا يزال القطامي من بني كلب مع أقربائهم يعيشون في قريتي حزبة والمسيفرة. إضافة إلى بني معروف في وادي التيم الذين هم أيضًا من بني كلب، وكذلك العوامرة في جبل حوران. على أن هجمات السلاجقة من الشرق والتركمان من الشمال وطي من الجنوب والصلبيين من الغرب جعل بني كلب يفقدون زعامتهم وينكفئون في القرى في بلاد الشام بعد أن تركوا دومة الجندل والجوف موطنهم الأصلي .. وقد استمر في العيش في منطقة الجوف قبيلة السرحان المتفرعة من كلب وأسر متفرقة صغيرة.

٥ ـ شهاب الدين بن ملك بن مالك العقيلي وكان حاكمًا لقلعة دوس حتى سماها السلاجعة قلعة جعبر وهي الآن ضمن بحيرة سد الفرات بالقرب من الرقة.

٦ ـ مسلم بن قريش شرف الدولة وأولاده من تغلب وقد حكموا منطقة جبل سنجار. وكان على علاقات طيبة بالسلاجقة.

٧ ـ عبد العزيز بن المغيث كان حاكمًا على الكرك وينتسب إلى طي وهذا التوزيع بقي حتى سيطر آل فضل على شمال الجزيرة العربية وذلك باتباعهم تعاليم الدين الحنيف كما أخذوها عن حجة الإسلام ابن تيمية الذي قال بتكفير من فرّق المسلمين كما منع غزو العرب لبعضهم بعضًا مما أدى إلى استقرار الأمن في البادية وطرق الحج فقد كان آل فضل يعاقبون كل من يقوم بالغزو...

وبقيت سلطة طي أو آل فضل أو عرب اليمن على البادية من سورية والعراق ونجد والحجاز وما بينهما أي الجوف حتى إعادة الأمن من جديد بحركة إسلامية سلفية وحدّت العرب وابعدت التدخل العثماني كانت بدايتها نجد جزيرة العرب.

الفصل الثالث :

طي والجـوف

قال فارس العرب عمرو بن معد يكرب يصف قبائل العرب :

كندة : ساسو العباد وتمكنوا من البلاد.

طي : خصوا بالجود وهم جمهرة العرب .

سعد العشيرة : أعظمنا خميسًا واسخانا نفوسًا وخيرنا رئيسًا.

ويقول ابن حزم في الجمهرة : إن طي لقب جلهمة بن أدد.

وقبيلة طي العربية التي اكتسبت شهرة فائقة على كل القبائل العربية بكرم رئيسها حاتم الطائي ومن بعده ابنه عدي ابن حاتم تنتسب إلى كهلان بن سبأ وكهلان أخو حمير بن يشجب بن قحطان فقد ولد عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ خمسة أولاد هم :

١ ـ الأشعر.
٢ ـ طي .
٣ ـ مذحج.
٤ ـ مرة.
٥ ـ يشجب.

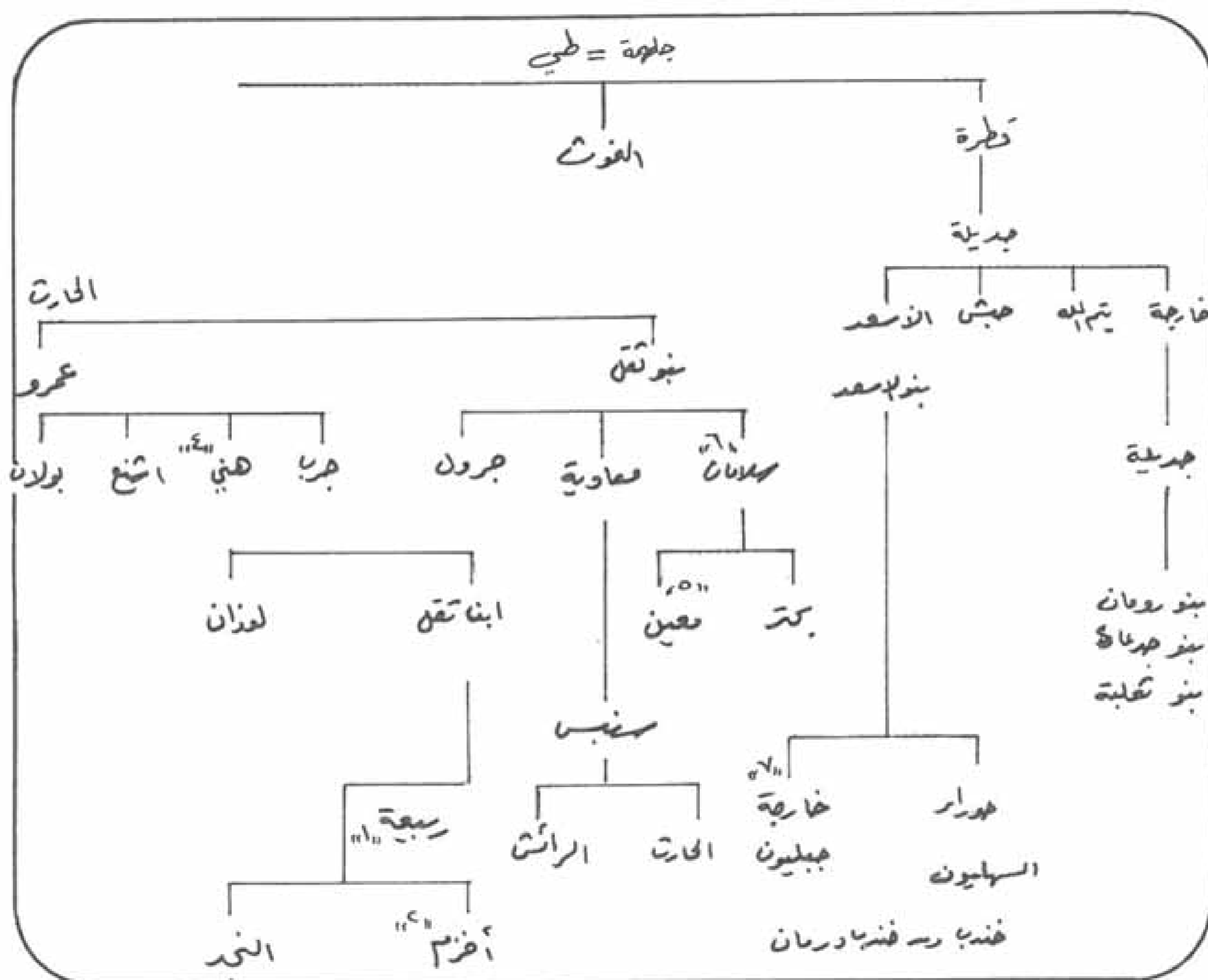
ثم انضاف ابناء الأشعر ويشجب إلى طي بعد الإسلام وألفوا قبيلة عرفت بطي فكان من أولاد يشجب جديلة وتيم اللات وحبش والأسعد وبحتر بن عتود وبنو نبهان وبنو هني وبنو ثعل.

ويذكر صاحب معجم البلدان أن الرئاسة على طي كانت في بني هنيء ابن عمر بن الغوث بن طي وهم رمليون وأخوتهم جبليون أي الرمليون في رملة عالج (النفود) والجبليون في جبلي أجا وسلمى.

أما أخو طي مذحج فمنه بنو جنب وجنب هو يزيد بن حرب بن نخلة ابن خالد بن الجلد بن مذحج وسمى جنبًا لأنهم جانبوا أخاهم صدأ وحالفوا سعد العشيرة[1].
وجنب هو جد القرشة القاطنين في سكاكا الجوف كما سيأتي في بحثنا عن آل زامل بن علي.

قال الأستاذ جواد علي في كتابه تاريخ العرب :

كانت كلب تتداول الملك على دومة الجندل مع السكون من طي مما يدل أن السكون وهم من كندة بعد أن قتل ملوكهم بني آكلي المرار انضافوا إلى طي وكذلك فعل الاشاعرة وهكذا يكون طي تجمع من القبائل القحطانية نسبت إلى عريب بن يزيد بن كهلان.



(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم.

(١) جواد علي - تاريخ العرب.

١ ـ من ربيعة : ربيعة طي التي منها آل فضل وفي قول آخر من هني.
٢ ـ من اخزم : حاتم الطائي .
٣ ـ من بحتر : الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي بن الحارث بن الاشح.
٤ ـ من هني : إياس بن قبيضة الطائي ملك الحيرة.
٥ ـ من معن : المعنيون والشهابيون.
٦ ـ من سلامان : شمر التي انتسب إليها بقايا طي الآن.
٧ ـ من خارجة : بنو لماد، بنو طريف، العراقية، العقيان، المقالدة.

ومن بطون طي بنو ثعل ومنها بنو جرم ومنهم :

بنوجــو : بطن من سنبس.
بنو رضيعة : بطن من جذيمة.
الغيوث : بطن من الصبحين وزريق .
القمعة : بطن من زريق من العلميين.
العوفة : بطن من زريق .
بنوسها : بطن من جرم ثعل.
الشمخان : بطن من جرم.
النمــور : بطن من جرم.
المراونة : بطن من درمان بن جندب.
المعديون : بطن من بني رزيق .
المصافحة : بطن من بني زريق.
الزموت : بطن من ثعلبة طي .

ومن طي الشاعر الكبير صفي الدين الحلي صاحب القصيدة المشهورة :

سل الرماح العوالي عن معالينا

ومن بطون بني ثعل بن الغوث بن طي الشاعر المشهور البحتري أبا الحسن الوليد بن عبيد بن يحيي بن عبيد بن شملان بن جابر بن مسهر بن مسلمة ابن الحارث بن

جشم بن أبي حارثة بن جدي بن يدول بن بحتر بن عتود ابن غبين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي.

قال النويري في نهاية الأرب.

ومن جرم طي، بنو حذيمة، بنو مقدام، بنو رغو، آل نادل، آل بقرة، آل عيسى، آل محمد، الرفته[1].

قال المغيري اللامي الطائي صاحب كتاب المنتخب في قبائل العرب:

ومن بطون طي من ثعلبة:

١ ـ بنو صخر: ومنازلهم في تيماء وخيبر والشام.
٢ ـ بنو هرماس: بطن من جذيمة في بئر هرماس سابقًا.
٣ ـ بنو عمر: بطن من درمان.
٤ ـ بنو وائل: ومنهم عمر بن عدي بن وائل.
٥ ـ بنو سوادة: وبنو شبل.
٦ ـ الحنابلة.
٧ ـ الحبانيون.
٨ ـ بنو بقعة.
٩ ـ بنو جلهمة ومنهم الجلاهمة في البحرين.
١٠ ـ آل حمدان ومنهم من ولد نافع بن مروان الطائي ويظن أن آل حُمَّيرِ القاطنين في حي المعاقلة بسكاكا منهم كما روى بعض المسنين.

ومن بطون سنبس:

١ ـ الجواهر.
٢ ـ بنو عياد.
٣ ـ الحيا.

(١) المرجع السابق.

وقد أفردنا لربيعة طي مع آل فضل بحث خاص في العصر الإسلامي.

قال النويري:

من كهلان طي آخذًا من الطادة على وزن الطاعة وهي الأبقال في المرعى وهم بنو طي بن أدد بن زيد.

والنسبة لهم طائي وإليهم ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم.

قال في العبر، وكانت منازلهم في اليمن فخرجوا منها على أثر خروج الازد عند تفرقهم بسيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني أسد ثم غلبوا بني أسد على جبلي طي أجأ وسلمى من بلاد نجد مفرقًا بجبلي طي.

ثم افترقوا في أول الإسلام من الفتوحات في الاقطار ولهم بطون كثيرة ثعل، حديلة، نبهان، بولان، هناد، سدوس.[1].

ولكن كون موطن كنده من الفرات والحيرة إلى سواحل البحر الأحمر ولها السيادة على القبائل الشمالية، وصراع كندة مع القبائل التي جنوبها وخاصة أسد واستعانتها بقبائل بكر (الرولة) وتغلب، وكلب السرحان ضد بني أسد يشير إلى أن موطن طي وهي من اليمانية وحلفاء كندة شمال بني أسد.

وإذا تذكرنا ما يذكره الكلبي من أن طي كانت بدومة الجندل تتداول الملك مع كلب أدركنا أن طي هاجرت إلى جبلي أجا وسلمى من الشمال لا من الجنوب كما يذكر النويري وهو من كتاب القرن الثامن الهجري وناقلاً عمن سبقه وخاصة الحمداني والقلقشندي.

قال صاحب المسالك والممالك محددًا ديار طي في القرن الرابع الهجري.

أما بين القادسية إلى الشقوق فسكانها بني أسد فإذا جزت الشقوق فأنت في ديار طي إلى أن تجاوز معدن النقرة في الطول والعرض حتى ما وراء جبلي طي محاذيًا لوادي القرى إلى أن تصل إلى حدود نجد اليمانية والبحرين فإذا جزت المعدن عن

---

(١) المنتخب من قبائل العرب ـ للمقريزي.

يسار المدينة فأنت في سليم وإذا جزت عن يمين المدينة فأنت في قبائل جهينة[1] وهكذا يعين ديار طي والقبائل المجاورة لها .

وهي شمال وشرق بني أسد التي استمر النزاع بينها وبين طي على الأرض التي انتزعتها طي منهم .

وكذلك حروبها لبني سعد فقد ذكر صاحب الجمهرة أن طي خرجت من بلاد اليمن بعد عمرو بن عامر بمدة يسيرة فنزلت الجبلين أجأ وسلمى بعد بني أسد وذلك بدع أذلال من طي وقهر لها.

وقد اشتركت طي في الحروب القبلية قبل الإسلام ولكنها لم تشترك مع بكر في موقعة ذي قار ولم تقف مع النعمان بن المنذر ضد ملك الفرس وقالت له لولا صهرك لقاتلناك أي لا طاقة لهم بكسرى.

وقد كافأ الفرس طي بتسليم إياس بن قبيصة الطائي ملكًا على الحيرة بعد قتل النعمان وهزيمة الفرس في ذي قار علي يد العرب .

ويظهر من الروايات أن قسمًا من طي كانت تقيم بالحيرة عند فتحها فإياس بن قبيصة الطائي في القصر الأبيض ـ أحد القصور الأربع ـ وقد أوكل خالد بن الوليد رضي الله عنه به ضرار بن الازور. أما قصر العدسيين فقد حاصره ضرار بن الخطاب وفيه عدي بن عدي المقتول. أما القصر الخاص ببني مازن فقد حاصره ضرار بن مقرن المزني وفيه ابن أكال أما المثنى بن حارثة الشيباني فقد كان محاصرًا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح. ويدلنا الحوار الذي جرى مع خالد يوم فتح الحيرة :

قال خالد : ويحكم ما أنتم عرب فما تنقمون من العرب أو عجم فما تنقمون من الانصاف والعدل .

قال عدي : ليد لك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية.

---

(١) المالك والممالك ـ الاصطخري.

قال خالد : صدقت اختر واحدة من ثلاث : أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا . إن نهضتم وهاجرتم وإن اقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة فقد والله أتيناكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة.

قال خالد : تبًا لكم ويحكم أن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها .

قال بن جرير : وصالحوه على مائة وتسعين ألف درهم وأهدوا له الهدايا[1] .

قال ابن بقيلة[2] يعرض بطي :

وبعد فوارس النعمان أرَعى قلوصًا بين مرة والحفير
فصرنا بعد هُلك أبي قبيس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجذور
وكنا لا يرام لنا حريم فنحن كضرة الضرع الفجور[3]
نؤدي الخراج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير

وقد رد عليه القعقاع بن عمرو التيمي :

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزًا وبالثنى قرني قارن بالجوارف
ويوم احطنا بالقصور تتابعت على الحيرة الروحاء إحدى المصارف
حططناهم منها وقد كان عرشهم يميل به فعل الجبان المخالف

رجال من طي :

١ ـ **حاتم الطائي** : وهو حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن اخزم اشهر كرماء العرب كانت منازله بجوار رملة عالج من الغرب بالقرب من تيماء على الطريق من حائل إلى تيماء وكانت زوجه ماوية بقيت

(١) لقد أعاد أبو بكر الصديق الهدايا إلى خالد وقال احبها من الخراج ولم يسمح بقبول الهدايا كما أن خالد بن الوليد لم يأخذ شيئًا من الهدايا وإنما تركها للمسلمين.

(٢) يبين كيف أنهم في ملك قبيلة طي للحيرة بزعامة إياس بن قبيصة ملكتهم أبناء معد بن عدنان بعد أن كانوا عزة في عهد أبي قبيص النعمان بن النذر.

(٣) يشير إلى كرامة بنت عبد المسيح التي وعد بها شويل من الرسول ﷺ.

عليه كرمة وأنه لم يترك لأولاده ما يقتانون به لذلك أدارت باب الخباء في قصة سنوردها في نهاية البحث عن طي.

٢ ـ عدي بن حاتم : قال ابن حزم في الجمهرة عدي بن حاتم لا عقب له وقد وفد على الرسول ﷺ ودخل الإسلام تردد إلى المدينة وذلك بعد غزوة حائل ثم رافق خالد بن الوليد في حروب الردة وقاتل معه حتى قومه من بني طي . ثم حارب مع علي بن أبي طالب في جميع مشاهده بينما كان بنو عمه : بنو لام وحليس وملحان وبنو غطيف أخوة عدي لأمه مع معاوية يوم صفين .

٣ ـ طريف بن عدي بن حاتم : كان مع الخوارج وقد انضاف إلى ابن الاشعث وقتل في دير الجماجم ولم يعقب أحدًا وبذلك لم يبق من صلب حاتم أحد(١) .

ويورد ابن قتيبة القصة التالية :

دخل على المأمون رجل وكلمه بكلام أعجبه فسأله عن نسبه فقال : من طي . قال المأمون : من ولد عدي بن حاتم. قال نعم، قال له المأمون : ألصلبه، قال : نعم. قال المأمون : هيهات أضللت أن أبا طريف لم يعقب. فكان سقوطه بجهله. (٢) .

٤ ـ سفانه بنت حاتم : وقد وردت على الرسول ﷺ مع خيل ونعم ورجال ونساء طي أسرى إلى رسول الله ﷺ. فلما عرضت عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة وقالت لرسول الله ﷺ :

يا محمد : هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويقيل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبًا. أنا بنت حاتم الطائي .

---

(١) الجمهرة ـ لابن حزم.

(٢) المعارف ـ لابن قتيبه.

فقال الرسول ﷺ : يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

وقد مدح أمرؤ القيس طيًا وقد نزل عندهم فترة بعد ما تشبب بفاطمة الكلبية في دومة الجندل. يقول :

بنو تيم مصابيح الظلام[1].

٥ ـ **معن بن قيس الطائي من سنبس** : وقد خاصم عدي بن حاتم يوم صفين وكان مع معاوية بينما عدي مع علي بن أبي طالب.

٦ ـ **عمر بن ثعلبة** : من ثعلبة بن رومان كان على مقدمة عمرو بن كلثوم مع أصحابه يوم اوارة.

٧ ـ **حيان بن عمرو بن عمرو** : من شجعان العرب نازل عنترة العبسي وقتله فسمي الأسد الرهيص.

٨ ـ **طريف بن رمل بن عميرة** : نزل عليه أمرؤ القيس ومدحه.

٩ ـ **أحمد بن الحارث** : أول من سمي أحمد في الجاهلية.

١٠ ـ **المحدثون المسلمون** [٢] :

١ ـ قبيضة بن المهلب بن يزيد بن عدي بن قنانة بن عدي كان محدثًا.

٢ ـ زيد الخيل بن مهلهل بن زيد له صحبة محمودة مع رسول الله ﷺ. وقد اثنى عليه الرسول ﷺ وسماه زيد الخيل.

٣ ـ دواود الطائي : ويكني أبا سليمان من طي كان قد سمع الحديث وتفقه به وعرف النحو وأيام الناس ثم تعبد فلم يتكلم بشيء قال الفضل بن دكين : كنت إذا

---

(١) انظر كتاب المعارب لابن متيبة.

(٢) المرجع : الدكتور عبد الله البري ـ القبائل العربية في مصر.

رأيت داود رأيت رجلاً لا يشبه القراء ، عليه قلنسوة سوداء طويلة مما يلبس التجار، وجلس في بيته عشرين سنة أو نحوها ومات فحضرت جنازته فما رأيتها من كثرة الخلق .

١١ ـ **الهيثم بن عدي** : وكان يرى رأي الخوارج وله عقب ببغداد مات سنة ١٣٠ هـ.

١٢ ـ **رماة الحدق** : وهم فرقة من طي اشتهرت بالحرب خلال الفتوح كانوا يرمون بالنبل في قسي عربية فالعرب تسميهم رماة الحدق وهم أصحاب إبل وغنم وبقر وخيل عتاق كباقي العرب .

١٣ ـ **حابس بن سعد بن المنذر** : كان عمر بن الخطاب يثق به وقد ولاه قضاء حمص ولما حصل النزاع بين معاوية وعلي بن أبي طالب كان حابس قائد قبيلة طي الموالية لمعاوية وقد قتل يوم صفين .

١٤ ـ **عروة بن زيد الخيل أو الخير** : بعثه عمار بن ياسر بأمر عمر بن الخطاب إلى قتال أهل الري والديلم بشمال إيران وله فتوح عظيمة.

١٥ ـ **حصن ابن مهلهل** : من قشعم بن ثعلبة ، كان قائدًا أيام عبد الملك بن مروان وقد ارسل مع الجيوش إلى الهند وهو الذي قاتل داهر ملك السند وقتله في الهند.

١٦ ـ **قحطبة بن شبيب الطائي** : كان أحد قواد المأمون في العصر العباسي وله معارك مشهورة ودفاع عن العرب ضد نفوذ الترك.

١٧ ـ **ولابد من أن نختم رجال طي بالحاج كمال الدين الطائي** رائد الصحافة الإسلامية في العراق والشاعرين : **أبي تمام والبحتري** وهما من قبيلة طي .

١٨ ـ **رافع بن عميرة الطائي** : دليل خالد بن الوليد كما سيأتي وهو من دومة الجندل .

حدث سعد الطائي قال : كان عدي بن حاتم الطائي يقول فيما بلغني :
ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني أما أنا فكنت أمرءًا شريفًا وكنت نصرانيًا أسير في قومي بالمرباع، فكنت في نفسي علي دينٌ، وكنت ملكًا في قومي لما كان يصنع بي فلما سمعت برسول الله كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعيًا لإبلي لا أبا لك أعدد لي من إبلي أجمالاً ذللاً سمانًا مسانّ فاحبسها قريبًا مني فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني :

ففعل ثم أنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي ما كنت صانعًا إذا غشيتك. خيل محمد فاصنعه الآن فإني رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال : فقلت قرب لي جمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي ثم قلت الحق باهل ديني من النصاري بالشام، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام اقمت بها، وتخالفني خيل لرسول ﷺ فنصب ابنه حاتم فيمن اصيب فقدم بها على رسول الله في سبايا طي وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال فجعلت ابنة حاتم في خطيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن بها فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جذلة فقالت : يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك . قال : ومن وافدك، قالت : عدي بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله. قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان الغد مرَّ بي وقد آيست ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي إليه فكلميه. قال : قمت إليه فقلت : يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامن علي من الله عليك ، قال : قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك.

ثم آذنيني. قالت : فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن كلميه فقيل لي على بن أبي طالب. قالت : وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو من قضاعة. قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت : فجئت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ قالت : فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام . قال عدي : فوالله إنى لقاعد في أهلي إذ

نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا قال: فقلت ابنه حاتم، قال فإذا هي هي، فلما وقفت علي انسحلت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بنية والدك وعورته. قال: فقلت ياأخيه، لا تقولي إلا خيرًا فوالله مالي غدر ولقد صنعت ماذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة، ماترين في أمر هذا الرجل. قالت: أرى والله أن تلحق به سريعًا فإن يكن الرجل نبيًا فالسابق إليه له فضيلة وإن يكن ملكًا فلن تزول في عز اليمن وأنت أنت، قلت: والله إن هذا الرأي. قال: فخرجت حتى أقدم عليَّ رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته فوالله إني لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفًا فقذفها إليَّ فقال لي: اجلس على هذه. فقلت: لا بل أنت فاجلس عليها. قال: لا بل أنت فجلست. وجلس رسول الله ﷺ بالأرض فقلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: ياعدي بن حاتم ألم تك ركوسيًا قال: قلت بلى. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع. قال: قلت بلى. قال: إن ذلك لم يكن يحل لك في دينك. قال: قلت أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال: لعله ياعدي بن حاتم إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين لما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع

بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت. قال: فأسلمت. فكان عدي يقول: مضت السنتان وبقيت الثالثة والله لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئًا حتى تحج هذا البيت وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

قبيلة طي ومعارك العراق:

روى الطبري أن عمر لما ندب العرب لحرب الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص كان معه من مذحج أخو طي ثلاثة رؤساء:

عمرو بن معد يكرب على بني منبه، وأبو سبرة بن ذؤيب على ومن في حالفها من اخوة جزم وزبيد وأنس الله.

ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسيلمة.

وهؤلاء ثلاثة آلاف وألف من قيس عيلان عليهم بشر بن عبد الله الهلالي.

وقد لحق بهم من السكون[1] بقيادة حصين بن غير السكوني ومعاوية بن جديج في أربعمائة رجل فإذا بهم فتية دُلْم سباط مع معاوية بن حديج فاعرض عنهم ثم أعرض حتى قيل له مالك ولهؤلاء قال: إني عنهم لمتردد ما مرَّ بي قوم من العرب أكره إليَّ منهم ثم أمضاهم فكان منهم رجل يقال له سودان بن حمران قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وإذا منهم حليف لهم يقال له ابن ملجم قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإذا منهم معاوية بن حديج نهض في قوم منهم يتبع قتلة عثمان يقتلهم وإذا منهم قوم يقرون قتلة عثمان وذكر ابن جرير الطبري[2] أنه بقي من قضاعة طي بعد يوم الجسر وهم ألفان وكان على طي عدي بن حاتم وعلى قضاعة عمرة بن وبرة وهم من بقي على الإسلام ولم يرتد عند وفاة النبي ﷺ[3].

(١) انظر الطبري.

(٢) المرجع السابق.

(٣) وهم من أعراب النفود وقسم منهم في دومة الجندل ويتبعون كندة التي انضافت إلى طي.

الفصل الرابع :

إمارة آل فضل في شمال جزيرة العرب
والجــــوف

ينتسب آل فضل إلى ربيعة طي وهو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل ابن جراح بن شبيب بن مسعر بن سعيد بن حرب بن الربيع بن علقي بن حوط بن عمران بن عمر بن خالد بن سعيد بن عدي بن عمر بن ثعل وقيل إنه بن عدي بن لام.

وقد ذكر النويري في كتابه «نهاية الأرب» أن الرئاسة على قبائل العرب في بادية الشام كانت لآل الجرّاح مفرج بن دغفل بن الجراح واقطاعه في الرملة بفلسطين .

وأولاد ربيعة طي هم : فضل ومراء وثابت ودغفل ورئاستهم لآل عيسى بن مهنا ابن فصل.

أما منازلهم فن حمص إلى الحفير إلى الرحبة إلى سقا الفرات إلى نواحي بصرى الشام ويشرفون على الوشم[1] . ويذكر في مسالك الأبصار أن بلادهم من جيدور إلى الزرقاء إلى بصرى الشام إلى الحرة المعروفة بحرة كشت بقرب مكة إلى الهضبة إلى شيعاء ويدخل في إمارتهم :

المغيرة من ربيعة طي : ومنها آل غزي بن الفضول ـ آل ظفير ـ آل يرجس ـ الخرسان.

ومن غزية البطنان : بنو مدلج (عدوان) ـ بنو صخر (زبيد) ـ بنو حسين (خشعم) ـ مطير.

---

(١) نهاية الأرب ـ للنويري.

وينضم إليهم : آل خالد في حمص ـ وخالد الحجاز وكلهم غزية طي ـ آل جناح والدعوم ـ الضبيات ـ القرشة ـ الوثوب ـ المعامرة ـ العلجات .

ومن ربيعة طي أيضًا : آل فرج ، وآل فضل ، وآل نمرات ، آل تمي ، وآل أحمد في حلب ، وآل عامر ، وآل منيخر في الجوف (دومة الجندل) ، وآل علي (وهم آل علي بن حديثة بن عضبة بن فضل).

انفردوا حتى اصبحوا طائفة اخرى وديارهم مع من سبق مرج دمشق وغوطتها إلى ديار الجوف والحبانية شرقًا إلى تيماء الحجاز غربًا .[1]

وقال النويري ومن أمراء ربيعة طي :

١ ـ سعيد بن فضل المشهور بالإمارة والشجاعة والكرم .
٢ ـ مانع بن حديثة .
٣ ـ مسعود بن بريك من السمط المقيرة.
٤ ـ دهمش بن دهمش ـ وسند بن دهمش بن أجود.

وقد اجتمع هؤلاء الأمراء ليغزوا عقيل بن عامر بن صعصعة وهم عامر وخفاجة وعائذ ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة فعلموا أن طيئًا أرادت غزوهم فأرسلوا إلى الخليفة ناصر الدين فبعث إليهم محمد بن حسين آل عيوني أمير البحرين وهجر والقطيف فسار بجميع عرب البحرين والقطيف وهجر حتى لحق بهم في العراق وانضمت إليه عرب المنتفق في العراق وعبادة وخفاجة وعائذ ووقع بينهم قتالٌ شديدٌ . . .

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن خالد حمص وخالد الحجاز من ربيعة طي وإلى

(١) مسالك الابصار للصطخري.

خالد حمص ينتسب آل مطر في سكاكا كما ينتسب آل عامر في دومة الجندل وآل منيخر[1].

قال الحمداني في أنساب العرب ومن ربيعة طي مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر وكانا أيام الكامل الأيوبي..

وفي زمن المعز لدين الله ايبك المملوكي كان زامل بن علي بن حديثة وأخوه أبو بكرّ بن علي وكذلك عيسى بن مهنا وأولاده.

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وكذلك فرج بن دحية الذي وفد على المعز لدين الله أيبك فانزل بدار الضيافة وصرف عليه ١٦ ألف دينار.

وكذلك أحمد بن جحا وكلهم رؤساء أكابر وسادات العرب ووجوهها ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم إلى رونق في بيوتهم ومنازلهم وقد مدحهم الرياشي الشاعر المشهور.

قال الحمداني : وكان مبدأ ربيعة أن نشأ في أيام الأتابك زنكي صاحب الموصل. فأتى معه لمحاربة الصليبيين وأصبح أمير عرب الشام أيام طغتكين السلجوقي صاحب دمشق وكان السلاجقة قد حاربوا بعد الحمدانيين كلب وازالوا نفوذهم من البادية .. وقد وفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق فأكرمه وأشاد بذكره وكان له أربعة أولاد هم فضل ومُرا وثابت ودغفل.

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العالية والدرجة الرفيعة يجلونهم فوق «كيوان» ويقدمون لهم أجناس الإحسان وزاد الحمداني واجتمع أيام الظاهر بيبرس جماعة من آل ربيعة وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصة في المدة اليسيرة أكثر من هذا وما

---

(١) نهاية الأرب ـ للنويري.

يعلم ماصرف على يديه من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصة إلا الله تعالى [1].

واعلم أن آل ربيعة من طي قد انقسموا إلى ثلاثة افخاذ هم المشهورون منهم ومن عداهم أتباع لهم داخلون في عددهم ولكل من الثلاثة أمير مختص مشهور.

الأول : آل فضل وهو رأس الكل وأعلاهم درجة وأرفعهم مكانة، وديارهم من حمص إلى قلعة (جعبر) [2] إلى الرحبة آخذين على شطي الفرات وأطراف العراق حتى ينتهي حدهم بشرق الوشم آخذين يسارًا إلى البصرة، ولهم مياه موروده. وذكر كتاب (مسالك الأبصار) أن آل فضل تشعبوا شعبًا كثيرة، منهم آل عيسى وآل سميط وآل مسلم وآل علي، ويضاف إليه فرع الحريت (بنو كلب). آل بشار خالد حمص، طائفة من سنبس، سعيدة، طائفة من بربر، خالد الحجاز، بنو عقيل من كدر، بنو رميم، بنو حي، قران، السرّاحون. ويأتيهم من البرية من عزبة غالب، وآل أجود والبطنين، وساعدة. ومن بني خالد آل جناح، العبيات (من قباس) والجبور والدعم، والقرشة وآل منيحة، وآل بيوت والعامرة والعرجان من خالد، وآل يزيد من عابد والدوامر إلى غير ذلك.

على أني لا أعلم في وقتنا من لا يؤثر صحبتهم ويظهر محبتهم. وأهم بيت فيهم في وقتنا آل عيسى ومنهم :

١ ـ بيت مهنا بن عيسى
٢ ـ فضل بن عيسى
٣ ـ حارث بن عيسى .
٤ ـ أولاد محمد بن عيسى.
٥ ـ حديثة بن عيسى.
٦ ـ آل هبة بن عيسى.

---

(١) الحمداني ـ أنساب العرب.

(١) قلعة جعبر في سوريةٍ على شط الفرات وفيها قبر جد الترك سليمان شاه.

وهم ملوك البر سابقًا وسادات الناس ، ولا تصلح العرب إلا عليهم . وجرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولي من الأبواب السلطانية[1] . أو يجهز إليه إن كان غائبًا . وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم .. ولم يصرّح لأحد منهم بإمرة على العرب أو بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ـ أمرَّ منهم حديثة يعني ابن عقبة ابن فضل بن ربيعة إلا أن الإمرة عليهم في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب كانت لعيسى بن محمد بن ربيعة ثم كان بعده مانع بن حديثة بن عقبة وتوفي سنة ٦٣٠ هـ وقد انتزع السلطان (سلمية) من المنصور بن المظفرّ ملك حماه واعطاها إقطاعًا لمانع بن حديثة.

ثم وليّ الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دمشق لتشييع الخليفة المستعصم إلى بغداد ـ عيسى بن مهنا بن مانع ووفرّ له الإقطاعات على حفظ السابلة وبقي حتى توفي سنة ٦٨٤ هـ فولّى المنصور مكانه إبنه مهنا بن عيسى.

ثم سافر الأشرف قلاوون إلى الشام فوفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه. فقبض عليهم وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر وبقوا حتى أفرج عنهم الملك العادل سنة ٦٩٤ هـ فرجع آل عيسى إلى إمارتهم.

وكان لهم نصرة واستغاثة ويظهر أنهم مالوا إلى التتر في بغداد لأن سلطان مصر لم يعوّضهم على حروبهم ضد هولاكو ولهذا لم يشتركوا بحرب غازان ملك التتر ولكن فضل بن عيسى زار مصر بعهد الملك الناصر ٧١٢ هـ فولاه مكان مهنا الذي بقي مشردًا حتى عام ٧١٦ هـ حيث لحق بملك التتر ببغداد خربنده وعند هلاك خربنده رجع مهنا إلى الشام وأرسل أولاده محمد وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر فاكرمهم وردّ إلى مهنا إقطاعة وإمارته[2] .

---

(١) مسالك الأبصار ـ للاصطخري.

(٢) المرجع السابق.

ولكن مهنا رجع إلى موالاة التتار فما كان من الملك الناصر إلا أن طرد آل مهنا من رئاسة عرب الشام وجعل مكانهم آل علي.

وفي عام ٧٣٤ هـ وفد مهنا على السلطان الملك الناصر وصحبته الأفضل المؤيد صاحب حماه فرضي عنه السلطان وأعاده إلى أهله وأعاد إليه إمرته حتى توفي عام ٧٤٤ هـ فُولي مكانه أخوه سيف بن فضل الذي بقي حتى عام ٧٤٦ هـ فتولى الإمرة أحمد بن مهنا وأخوه عيسى حتى عام ٧٦٠ هـ فتولى مكانه أخوه جبار من جهة الملك الناصر حسن... وكان بين الملك الناصر وجبار جفوات ونفرات.. كان يتداخل نائب السلطان في حماه في ذلك حتى قتل نائب حلب (قشتمر المنصوري) فولّى الملك الأشرف مكانه ابن عمّه معيقل بن فضل بن عيسى وكان معيقل محبًا لجبار فوفد على السلطان وتشفع لجبار الذي أعيد إلى إمرته على العرب حتى سنة ٧٧٧ هـ فوُلّي مكانه أخوه قنارة ثم تغير حتى عهد السلطان برقوق عندما انصرف إلى آل زامل[١].

ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في مسالك الأبصار امراء فضل فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فضل أحمد بن مهنا وأمير بيت فضل ابن عيسى سيف بن فضل وأمير بيت حارث بن عيسى قناة بن حارث ثم قال أما أولاد محمد بن عيسى وأولاد حديثة بن عيسى وآل هبته بن عيسى فأتباع لآل فضل.

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في التثقيف أنهم صاروا بيتين وهما بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى. وذكر أن من اكابرهم عساف بن مهنا وأخاه عنقًا وزامل بن موسى بن مهنا ومحمد بن جبار وعواد بن سليمان بن مهنا وعلي بن سليمان بن مهنا.

أما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم فضل بن عيسى ومعيقل بن فضل وكان قبلهما سيف وأبو بكر ثم قال وممن لم يكاتب أولاد فياض وبقية أولاد جبار ورقيبة بن عمر

---

(١) المرجع السابق.

ابن موسى آل مرا ـ وهو أخو فضل ومنازلهم حوران ـ الجيدور ـ الجولان إلى الزرقاء والضليل إلى بصرى ومشرقًا إلى الحرة المعروفة بحرة كشْت

أما صاحب البلدان فقد ذكر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا فقال :

الأمير سلطان العرب أمير العرب بالشام وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر البرمكي من ذرية الولد الذي جاء من العباسة أخت الرشيد والله أعلم(١).

وكان كبير القدر محترمًا عند الملوك كلهم بالشام ومصر والعراق وكان دينًا خيرًا متحفزًا للحق ـ خلّف أولادًا وأموالاً كثيرة وقد بلغ سنًا عالية وكان يحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية حبًا زائدًا هو وذريته وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام يسمعون قوله ويمتثلونه. وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض وعرفهم أن ذلك حرام وله في ذلك مصنف جليل.

وكانت وفاة مهنا في سلمية ١٨ ذي القعدة سنة **٧٣٥** هـ انتهى رأي صاحب البداية والنهاية (٢).

أما كيف وصل آل فضل إلى حكم العرب في البادية السورية والجوف شمال نجد فإن طي باقسامها وفروعها ورثت الحكم في الجوف بعد ضعف قبيلة كلب القضاعية فقد حارب سيف الدولة الحمداني التغلبي قبيلة كلب في بادية الشام وهزمهم عدة مرات بمساعدة قبيلة طي ورؤسائها من آل فضل وغيرهم.. وأن آل فضل تقاسموا بادية الشام بينما نفرق بنو كلب نحو القرى والجبال السورية في منبج والموصل وادلب وسرمين وآفامية وشيزر وغوطة دمشق كما مر في بحث بني كلب ـ وسيطرت طي التي

---

(٢) هذا نوع من الدس على العباسة أخت الرشيد ـ يقول ابن خلدون حاشا الله أن تكون العباسة قد تزوجت جعفر البرمكي ـ ولكن الرواية التي يوردها الأستاذ أحمد وصفي زكريا في كتاب عشائر الشام ينسبهم إلى هارون الرشيد الذي تزوج فتاة من طي كان منها شقير وهو جدّهم وأن هارون الرشيد لمّا علم به أمر أن يكون حاكمًا على أعراب الشام والحجاز ونجد لأنه ابنه من ارومة عربية ... وقد عدهم شيخ الإسلام أبو الهدى الصيادي من الاشراف على هذا الأمر على أن علماء الانساب العرب يوردون النسب المذكور ببداية بحوثهم عن بني فضل وأيد هذا الرأي ـ النويري والقلقشندي وابن الاثير وغيرهم .

(١) تقويم البلداء لأبي الفداء صاحب حماه.

انطلقت من نجد والاحساء على الحماد وبادية الشام خاصة وأن الصليبيين قد أفنوا أكثر سكان المناطق المجاورة لهم من قبائل كلب أما الباقين فقد ارتفعوا إلى أعالي الجبال وقوي شعور الظلم عند قبيلة كلب لأنهم كانوا المدافعين عن سورية ضد الروم ولم ينجدهم أحد من القبائل. بل إن سيف الدولة حاربهم واستعان عليهم بقبائل طي مما أدى إلى سيطرة الروم على الثغور وقبائل طي على البادية.

وبعد أن فتك الصليبيون في سورية بقبيلة كلب ودمروا مدنها يذكر ابن خلدون :

«سار جو سكين صاحب تل باشر في مائتين من الفرنج ليكبس حيًا من أحياء طي يعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية من قومهم من بني ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه إليهم وسار هو من طريق آخر فضلّ عن الطريق ووصل أصحابه إليهم وأميرهم مرا بن ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسر اثنى عشر ففادوهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الأسرى»[1].

ويظهر من هذا النص أن عرب بني خالد في حمص منهم وكذلك في حوران ومنهم آل مطر في سكاكا الذين هم من أحياء طي وأنهم من قرابة آل مرا في حوران والجولان بين دمشق وطبرية وانهم كانوا في نزاع مع بعض أحياء طي مما جعل بني خالد حمص يدلون على أحياء طي من آل مرا.

وكذلك كانت أحياء من طي في البقاع الأدنى ووادي التيم فكان هناك الضحاك بن جندل من بني كلب وقد احتل شمس الملوك اسماعيل معقلة وهو قلعة الشقيف المشرفة على مدينة مرجعيون في جنوب لبنان الآن ٥٢٨ هـ.

وكذلك في حلب فقد استبد بأهلها بعض العرب بعد أن انتهت دولة صالح بن مرداس من بني كلب وكان رئيس العرب منايل بن ربيع الذي اتفق مع مسلم بن قريش ولكن مسلم عاد واتفق مع سليمان ابن قطلمش صاحب سلاجقة الروم

---

(٢) كتاب تقويم البلدان لابي الفداء صاحب حماة.

وزحفوا على حلب سنة ٥٨٠ هـ واستطاع شرف الدولة مسلم بن قريش أن يسيطر عليها وهو من بني عقيل «بني خالد» كما هاجم مسلم آل منقذ من بني كلب وكان أكثرهم يتجمع حول قلعة شيزر في الغاب على نهر العاصي عام ٥٨٠ ثم رجع عنها.

على أن بني عقيل استمروا بمهاجمة بني كلب وكانت رحبة ابن طوق (الميادين) الآن بالقرب من دير الزور إحدى قلاع بني كلب وكذلك قلعة دوس المعروفة الآن بقلعة جعبر على الفرات وقد احتلها السلاجقة وقد اعطاها السلاجقة لشهاب الدين ملك بن علي بن مالك العقيلي قريب مسلم بن قريش فرصد له بنو كلب عام ٥٦٣ هـ وأسروه وحملوه إلى نور الدين.

وهكذا كان الصراع بين قبيلة كلب من جهة وبني عقيل قسم من بني خالد وبني تغلب والسلاجقة من بلاد الروم من جهة أخرى وكلهم ضد قبيلة كلب مما أدى إلى زوال سيطرتهم وبدء سيطرة آل مهنا.

وقد ساعدت قبيلة طي صلاح الدين الأيوبي في حروبه فقد ذكر ابن خلدون في تاريخه أن صلاح الدين الأيوبي عند حصاره للفرنج بعكا اشتركت معه أحياء من العرب فكانوا يكمنون في معاطف النهر ناحية الفرنج ويخطفون منهم... وقد كبسوا الفرنج في منتصف شعبان وقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلى صلاح الدين.

وفي عهد الأمير قطز وعند حرب التتار قام مهنا بن مانع من جديلة طي بمساعدته في الحرب فقدم أكثر من أربعين ألف مقاتل منهم ثمانية آلاف فارس وقد أقطعة قطز مدينة السلمية في سورية[1].

وإن قوة آل فضل وقبائل طي جعلت أمراء المماليك في سورية ومصر يوقعون بينهم الفتن لذلك أثاروا زامل بن عيسى على ابن عمه عيسى بن مهنا وكانت فتنة لحق على أثرها زامل بهولاكو ثم استأمن الظاهر فأمنه وعاد إلى أحيائه من العرب وهذه الفترة التي أقامها الأكراد والترك السلاجقة بين العرب جعلت أحياء العرب بعد أن بذلت

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

دماءها في محاربة التتر تعود وتلجأ اليهم .

يذكر ابن خلدون أنه في عام ٥٨٠ هـ زحف التتار ومن بقي معهم من عساكر الروم والفرنج والأرمن والكرج في ثمانين ألفًا والتقوا بالسلطان في حمص وكان صاحب حماه عيسى بن مهنا على ميمنة السلطان كما ذكر أن التتار لم يجرءوا أن يهاجموا الميمنة خوفًا من العرب وإنما هاجموا الميسرة وكانت من التركمان والظاهرية «أي جنود الملك الظاهر» وهزموهم ولكن ثبات القلب والميمنة أدى إلى هزيمة التتار وقيام العرب بملاحقة التتار حتى الفرات .

بعد هذه المعركة لم يكافئ السلطان أمراء العرب فحدثت جفوة بينه وبينهم وعاد السلطان المملوكي إلى إثارة الفتن بين امراء آل فضل وعين على العرب فضل بن عيسى مكان أخيه ـ ولكنه عاد إلى استمالته عام ٦١٣ هـ فرفض مهنا وبقي لدى التتار وقد توفي عيسى بن مهنا عام٦١٨ هـ .

وبعد أن تكلمنا عن علاقات آل فضل بالتتار والايوبيين والمماليك نعود فنورد رأي ابن خلدون بهم .. يقول ابن خلدون :

«كان آل فضل بأرض حوران فغلبهم عليها أقرباؤهم آل مرا واخرجوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها كما أقامت زبيد من ربيعة طي في حوران وهم الآن فيها لا يفارقونها[(١)] .

ثم اتصل آل فضل بالدولة السلطانية وولوهم على أحياء العرب واقطعوهم على إصلاح السايلة بين الشام والعراق فاستظهروا برئاستهم على آل مرا وغلبوهم على المشاتي فصار عامة رحلتهم في حدود الشام قريبًا من التلول وكان معهم أحياء متفرقة من قبائل العرب مندرجون في لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد إلى آل فضل إلا أن أكثر من كان معهم آل مرا من أولئك الاحياء .. وأوفرهم عدة بنو حارثة بن سنبس أحد فروع طي وإن نسب آل مهنا هو :

---

(١) تاريخ العبر ـ ابن خلدون.

مهنا بن مانع بن جديلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي أبن مفرج بن حيدر بن سالم بن جصة بن بدر بن سميع ويقفون عند سميع ويقول زعماؤهم إن سميع هو إبن العباسية أخت الرشيد[1].

قال العماد الاصفهاني في كتابه البرق الشامي: نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن مهنا بن محمد بن ربيعة شيخ الأعراب في جموع كثيرة ـ وقد كانت الرئاسة قبلهم بعهد الفاطميين لبني الجراح من طيّ وكبيرهم مفرج بن دغفل بن جرّاح وكان إقطاعة الرملة وهو الذي قبض على افتكين مولى بني بوية وجاء به إلى المعز لدين الله الفاطمي مع (بختيار) مولاه في العراق.

وقد توفي مفرج عام ٤٠٤ هـ وكان ولده حسان ومحمود وعلي وجران ثم ذكر أن حسان بن مفرج قاتل الفاطميين وانتصر عليهم وهو الذي هدم الرملة وهزم قائد الفاطميين هارون التركي وقتله وسبى نساءه[2].

قال ابن الاثير ـ فضل بن ربيعة بن حازم بن جرّاح كان آباؤه اصحاب البلقاء والبيت المقدس ـ وكان يتعاون مع الصليبيين ومع الفاطميين ومع ملوك دمشق لذلك طرده طفتكين التركي ملك دمشق من البلقاء في الأردن فذهب إلى بني أسد في الحلة ونزل على الشيخ صدقة بن مزيد. وقد حفظ فضل هذا الصنيع لصدقة فعندما حاول السلطان محاربة صدقة.. استأذن فضل وسار من بغداد ولم يعد برغم أن السلطان كان أكرم فضل وأعطاه منزل صدقة في بغداد[3].

أما آل جديلة أولاد عم آل فضل فيقول ابن خلدون: إن آل جديلة نسبة إلى أمهم فقد رحلوا إلى حلب بعد حرب الفساد في جبلي طيئ وهم من السهليون من طي.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق. (ابن خلدون).

ويتحدث أهل مصر عن زيارة قام بها مهنا من آل فضل عام٧٣١ هـ إلى مصر مع الأفضل بن المؤيد صاحب حماه. وأنه تجافى في هذه الوفادة عن قبول شيء من السلطان.. حتى أنه ساق من النياق المحلوبة واستقاها وأنه لن يغش باب أحد من ارباب الدولة ولا سأله شيئًا عن حاجته حتى رجع إلى أحيائه وتوفي سنة ٧٣٤ هـ فولي ابنه مظفر الدين موسى الذي توفي عام ٧٤٢ هـ ثم ولي اخوه سليمان فتوفي عام ٧٤٣ هـ فولي شرف الدين عيسى الذي توفي عام ٧٤٤ هـ ودفن عند قبر خالد بن الوليد في حمص.

تولي سيف بن فضل حتى سنة ٧٤٦ هـ حيث عاد مهنا بن عيسى ثم جمعت الإمرة إلى سيف بن مهنا فحاربه فياض بن مهنا وهزمه. فولي السلطان حسين أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة ولكنه توفي سنة ٧٤٩ هـ فتولى أخوه فياض الذي هلك سنة ٧٦٢ هـ فتولي أخوه جبار بن مهنا حتى سنة ٧٦٥ هـ فهلك سنة ٧٧٠ هـ فولي مكانه زامل بن موسى بن عيسى ..

وجاء جبار إلى نواحي حلب واجتمع إليه بنو كلب وغيرهم فهاجمهم نائب حلب قشتمر المنصوري واستاق نعمهم وتخطىّ إلى الخيام فاستماتوا دونها وهزموا عساكره وقتل قستمر وابنه في المعركة قتله جبار بيده وذهب إلى القفر فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى... ثم استأمن معيقل لجبار فأمنه ووفد جبار بن مهنا سنة ٧٧٥ هـ فرضي عنه السلطان وأعاده إلى إمارته وتوفي سنة ٧٧٧ هـ فولي اخوه مكانه إلى أن توفي سنة ٧٨١ هـ فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا شريكين ثم عزلا وولي بصير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو أمير على أحياء طي وآل فضل ومن والاهم .

القسم الثاني : بعد آل فضل آل مراء وهم الفخذ الثاني من طي ومراء أخو فضل .

منازلهم حوران وديارهم من الجيدور والجولان والزرقاء والظليل إلى بصرى مشرفًا إلى الحرة المعروفة بحرة كشت قريبًا من مكة إلى سقياء تيران مزيد إلى الهضبة

المعروفة بهضبة الراقي وربما توسعوا وطاب لهم البر وامتد بهم المرعى أوان حضب الشتاء حتى تعود مكة وراء ظهورهم ويكاد سهيل يصير شآمهم ويصيرون مستقبلين بوجوهم الشام ..

فروع آل مرا : آل أحمد بن حجي ولهم الامرة

آل مسخر

آل نمي

آل بقرة.

آل شماء.

يضاف إليهم : حارثة ـ بنو حارثة ـ المخاض ـ بنو لام ـ سعيدة ـ مدلج ـ قرير ـ بنو صخر ـ زبيد حوران ـ زبيد صرخد ـ بنو غني ـ بنو عر.

ويضاف إليهم من عرب البرية :

آل ظفير ـ المفارجة ـ آل سلطان ـ آل غزي ـ آل برجس ـ خثعم ـ عدوان.

ويصف آل مرا كما شاهدهم أبو الثناء شهاب الدين محمود الحلبي في حمص [(١)]

اربعة آلاف فارس على الخيل المسومة وعليهم الكرغندات الحمر الطلس المعدني والديباج الرومي وعلى رؤوسهم البيض مقلدين السيوف وبأيديهم الرماح كانهم صقور وأمامهم العبيد يميل على الركائب وبأيديهم الجنائب ووراءهم الظعائن ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة تغني على الهودج [(٢)] الفخذ الثالث من طي آل علي ـ وهو :

علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة.

---

(١) البرق الشامي ـ للاصفهاني.

(٢) البرق الشامي ـ للعماد الأصفهاني.

(٣) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير.

وديارهم مرج دمشق وغوطتها بين آل فضل وآل مرا بني عمهم ومنتهى ديارهم إلى الجوف في الحجاز والحبانية في العراق إلى السكة إلى البرادع ..

أميرهم رملة بم جمّاز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عقبة بن فضل ابن ربيعة.

وقد أمرَّ السلطان رملة على آل علي وكان حديث السن فحسده أعمامه ورغم مؤامرتهم التي فشلت فإنه أصبح سيد قومه والمسوّد في عشيرته .

وفي زمن السلطان برقوق كان أمير آل علي عيسى بن زيد بن جمّاز.

البطن الثاني من آل فضل جرم

وبلادهم غزة ـ الداروم إلى الجبل ـ وبلد الخليل عليه السلام.

وأقسام جرم هي : سمجان ـ قمران ـ جبان

ويقال إن لهم نسبًا إلى قريش وزعم البعض أنها إلى مخزوم وقال آخرون انهم من جذيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهد وآل جذيمة هم : آل عوسجته ـ آل أحمد ـ آل محمود ـ وكلهم بإمارة شاهر بن سنان وكان لسنان ولدان هما غانم وخضر.

ومن جذيمة أيضًا ـ آل جامع ـ الريدين ـ بنو أسلم ـ بنو شبل ـ رضيعة جرم ـ نيقور ـ القدرة ـ الأحامدة ـ الرفثة ـ كور جرم ـ الموقع ـ وكبيرهم مالك الموقعي كان أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي أحد قواده وكبيرهم زمن الدولة الظاهرية أي زمن الظاهر بيبرس علي بن فضل .

ومن جذيمة أيضًا ـ العاجلة ـ الصهان ـ العبادلة ـ بنو تمام ـ بنو جميل ـ بنو مقدام ـ بنو غور ـ آل نادر ـ بنو غون ـ ومنهم أيضًا :

بنو بهاء ـ بنو حولة ـ بنو هرماس ـ بنو عيسى ـ بنو سهيل ـ وقد اختلط بنو جذيمة ـ بنو مهنيد والإمرة على هؤلاء جميعًا لفضل ابن جحا ثم لعلي بن فضل .

البطن الثالث من طي : ثعلبة

منهم بسوريا : آل درما ـ وآل غياث ـ والجواهرية ـ والحنابلة ـ وبنو وهم من الصبيحيين.

واحلافهم فرقة من النعيميين ومن الجمان والعارية.

وفرقة من خندف وقيس ومراد.

البطن الرابع ـ بنو مهدي :

ومهدي أخو ثعلبة ـ وهو مهدي بن حزام بن عدي بن عمر بن سبأ من العرب ـ ومنازلهم البلقاء إلى رأس الصوان إلى علم أعفر : ومن آل مهدي :

المشايطة ـ ومنهم أولاد عسكر :

العناترة ـ النترات ـ اليعاقبة ـ المطارنة ـ العفير ـ الرويم ـ القطارية ـ أولاد الطائية ـ بنو دوس ـ آل يسار ـ المحايرة ـ السماعة ـ العجارمة من بن طريف ـ بنو خالد ـ السلمان ـ القرانسية ـ الدلارات ـ الحمالات ـ المساهرة ـ المعاودة ـ بنو عطا ـ بنو مياد ـ آل شبل ـ آل رويم ـ المحازمة ـ بنو عياض. وإمرتهم مقسومة إلى أربعة لكل واحد منهم الربع وأمراؤهم منذ ٢٠٠ عام تقريبًا هم :

بيرو بن ذئب بن محفوظ العنبسي.

سعيد بن بجري بن حسن العنبسي.

زامل بن عبيد بن محفوظ العنبسي.

محمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري.

البطن الخامس من طي : زبيد ـ وعرب زبيد وهم فرق شتى ويرجع بعضهم نسب زبيد إلى سعد العشيرة من العرب العارية وهم خمسة أقسام.

١ ـ فرقة بغوطة دمشق شمال مرج السلطان.

٢ ـ فرقة حوراك شمال غرب درعا.

٣ ـ فرقة بصرخد وقد انتقل قسم منها شرقًا بعد هجرة الدروز من جبل لبنان وقسم

إلى بصرى.

٤ ـ زبيد الأحلاف جنوب جبل العرب شرق حوران، وديارهم بالقرب من الصفا ـ جوار الرحبة شمال وادي السرحان.

٥ ـ زبيد المرج ـ وديارهم بين بحيرة العتيبة وبحيرة الهيجان وأهم أقسامهم ـ آل مياس ـ آل صيغي ـ آل برة ـ آل محسن ـ آل جحش ـ آل رجاء ـ آل بدال ـ آل الدوس ـ آل الحريث.

وإمرة زبيد في آل نوفل وليس للمشارفة إمرة ولكن لهم شيوخ وديار زبيد متصلة من المرج ـ إلى الغوطة ـ إلى أم وعال إلى الديسدان، وتعتمد عليهم الدولة في حفظ الأطراف وحماية الطرق.

---

(١) زيادة الإيضاح انظر:
جمع الأعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي.

(٢) أداء العرب في بلاد الشام في العصر الفاطمي للدكتورة أمينة البيطار.

(٣) نهاية الأرب في صناعة الأدب للنويري.

الفصل الخامس :

الجوف مقدمات الدور الأول السعودي

مع بداية القرن الحادي عشر الهجري كانت قبائل العرب في الجزيرة العربية قد استفاقت من الصدمة التي تلقتها من الاستعمار البرتغالي فقد احتل البرتغاليون في القرن العاشر عدن وباب المندب وهاجموا جدة ونزلوا فيها واحرقوها واعلنوا عن عزمهم قاتلهم الله على احتلال مكة والمدينة المنورة وتخريب الأماكن المقدسة الإسلامية ...

وفي الخليج هاجم البرتغاليون عُمان ومسقط ومضيق هرمز وبنواقلعة (البوكيرك) على مدخل المضيق ونصبوا عليها المدافع للتحكم بملاحة الخليج ثم تعاونوا مع الفرس الصفويين وهاجموا البصرة وشط العرب والقطيف والبحرين ودمروا المراكب التجارية العربية ولم تستطع دولة آل زامل الجبري الحاكمة في الاحساء بعد العيونيين أن تصنع شيئًا .

كان شريف مكة قد استنجد بالعثمانيين والمماليك لحماية الأماكن الإسلامية المقدسة لذلك ضعف في أعين العرب والمسلمين لإنه لا يستطيع أن يحافظ على الأماكن المقدسة حتى اضطرإلى إعطاء لقب حامي الأماكن المقدسة إلى السلطان العثماني التركي فصار من ألقابه حامي الحرمين الشريفين ويقصد بها مكة والمدينة .

وهكذا اصبحت القوى التي تسيطر على الجزيرة العربية قوى تقليدية منهارة لا تملك من القوة للمحافظة عليها شيئًا وبدأ مركز الزعماء الثلاثة شريف مكة وسلطان الإحساء وأمير العرب من آل فضل يتداعى إلى الانهيار.

ومما زاد في آلام عرب الجزيرة تطاحن هؤلاء مع بعضهم وهذا التطاحن برز في حروب القبائل العربية فيما بينها. مما انتج نزاعات داخلية مريرة هي نتيجة الشعور بالهزيمة. وكانت التحالفات التي تقام بينهم تعود فتحوّل إلى صراعات..

وكل هذه الحوادث ملهاة للعرب بدلاً من رد المعتدي الكافر الذي يهاجم جزيرة العرب ومقدساتها ..

وقد ورد من الحوادث ما ذكره العصامي كشاهد على هذه المنازعات مايلي : [١]

في عام ٩٨٦ هـ سار الشريف حسين بن أبي نُمي صاحب مكة إلى نجد وحاصر حصن (معكال) المعروف في الرياض ومعه من الجنود خمسون ألفًا . وطال مقامه بينهما وقتل فيها رجلاً ونهب أموالاً وأسر أناسًا من رؤسائهم وأقاموا في حبسه سنة ثم اطلقهم على أن يعطوه مائة جنيه كل سنة وأمرّ عليهم محمد بن فضل . وهكذا يتعاون آل فضل في نجد مع الأشراف في مكة ضد قبائل نجد وجزيرة العرب بدلاً من الدفاع عن الجزيرة وعن مقدساتها ضد العدو المستعمر الكافر بدين الله .

ويذكر المؤرخ أن في نفس العام سار الشريف حسين إلى ناحية الشرق من نجد في جيش كثيف ومدافع كبيرة ففتح مدنًا وحصونًا تعرف بالبدائع والخرج والسلمية واليمامة. ومواقع في شوامخ الجبال ثم عين من رؤسائه من ضبطها على أمور اقترحها وعاد راجعًا ، فأخبره بعض عيونه الذين بثهم في البلاد أن جماعة من شوكة بني خالد في طريقه وترصدوا على جرائد الخيل وكرائم الهجن فوافاه الجيش الخالدي ، فتقاربا وتقاتلا ففر الخالدي وانكر وقتل أكثرهم وغنم خيلاً وإبلا .

بعد هذا النزاع .. وبعد أن أصبح الجيش الخالدي فلولاً ، وحفاظًا على سواحل الخليج ـ أحتل الأتراك عام٩٦٣ هـ الاحساء بواسطة فاتح باشا الذي عُين نائبًا للسلطان على الاحساء وبذلك انقرضت دولة آل أجود الجبري العامري العقيلي ، وأصبح بنو خالد عرب بادية رحل دون دولة أو حضارة ، وبعدها اندفع الفضول نحو الاحساء بمساعدة الترك[٢] .

وبمساعدة من الترك أقيم الحلف بين شريف الحجاز ابن أبي نمي والفضول بزعامة آل مهنا أمراء عرب الشام وشمال نجد والسماوة والطرق حتى مكة. ولإرهاب العرب

---

(١) العصامي ـ كاتب حاشية ونقل عنه ابن غنام وهو من مؤرخي الجزيرة العربية في القرن السادس عشر.

(٢) انظر تاريخ نجد لابن غنام.

واستعادة الأشراف اعتبارهم أمام المسلمين قام الفضول بالتحالف مع الأشراف بمهاجمة قبائل الظفير.

وقد كانت هذه المعركة بداية عداوة بين الأشراف والظفير، واستمر الأشراف بمهاجمة القبائل. قال العصامي سنة ١٠٨٠ هـ وقعة الشريف حمود ابن عبد الله بن حسين مع الظفير، وكان قبلها عدة وقعات؛ وقعة مع عنزة ووقعة مع بني حسن، ووقعة مع هيثم ووقعة مع العوازم، ووقعة مع مطير وغيرهم.

ولكن الحكم التركي لم يستمر في الاحساء فقد انسحب الأتراك بعد مجيىء الأساطيل الهولندية في الخليج وهزيمتهم في أوربا أمام أسوار أثينا. فغادر آل حميد إلى الاحساء وأولهم بّراك بن عزير ومعه محمد بن حسين بن عثمان ومهنا الجيري وقتلوا عسكر الباشا التركي في الكويت وطردوهم كما طردوا آل شبيب وقتلوا راشد بن مغامس وأخذوا بوادية، وهكذا عاد الحكم في الاحساء إلى بني خالد، وبعد أن حكم الأتراك مدة ثلاثين سنة وهزموا آل أجود بن زامل العامري الجيري القيسي العقيلي وكان ولاة الاتراك (فاتح باشا، وعلي باشا، ومحمد باشا، وعمر باشا) وممّا يدلنا على كره العرب لمن لم يستطع حمايتهم والدفاع عنهم ضد الاستعمار قول أحد الشعراء:

رأيت البدو آل حميد لما تولوا أحدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا كفانا الله شرهمو طغي الما

(والخط اسم لأرض القطيف) ثم تنازع الأشراف في الحجاز مع الفضول للسيطرة على نجد بعد أن كانوا متحالفين واستطاع محمد الحرث الشريف الذي أرسله ابن نمي إلى نجد قتل غانم بن جاسر رئيس الفضول في شمال الجزيرة العربية ثم هاجم عام ١١١٢ هـ ابن سويط آل غزي حلفاء آل فضل في سويد للمرة الثانية كما هاجم أشراف الحجاز الفضول للمرة الثالثة وجرت المعركة في نفود السر بالبتراء..

كل هذه الحوادث كانت تبشر بفجر جديد ينقذ القبائل العربية من الفئات التي لا هم لها إلا إثارة المنازعات، كما كانت مقدمات لتوحيد هذه القبائل للدفاع عن

الأماكن الإسلامية والوطن الغالي وإعادة الأمن لهذا البلد الأمين، فقد ساد الفساد إضافة إلى الغزو... فقد قام الفضول عام ١١٠٠ هـ بنهب قافلة الحج العراقي، كما قام الحويطات بنهب قوافل الحج الشامي وهكذا... ولم يكن شيء يعيد الأمن إلى هذه البلاد إلا حركة التوحيد.. يقول ابن بشر عن العهد السعودي الأول: (ولكن الله جعل للعرب الأمن العظيم في نواحيها، يسافر الرجل إلى اقصى البلاد من اليمن وعمان والشام والعراق وغير ذلك لا يخشى أحدًا إلا الله[١]).

---

(١) تاريخ ابن بشر.

العلاقات المتبادلة بين الجوف
وبين نجد وبلاد الشام والعراق

يقول الدكتور منير العجلاني : أما الإحساء والجوف فلا تستحقان اسم نجد فالجوف مثلاً واطئة ومنعزلة بحيث يصبح أن تعد مدخلاً لجزيرة العرب لاقطعة منها ومع ذلك يعدونها من نجد(١).

وأقول أخطأ استاذي العجلاني فالجوف جزيرة العرب وقد كانت على عهد الجاهلية مركزًا لكل الأعراب في شمال الجزيرة العربية على اعتبار أن حدود الجزيرة العربية إلى الفرات والعاصي وكانت الجوف حتى بدء التاريخ الإسلامي تسمى من افواه بلاد الشام حسب رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وفي الجوف أحد الأسواق التجارية الكبير الثلاثة في جزيرة العرب وهي عكاظ وهجر ودومة الجندل فكيف بالدكتور العجلاني يجعله خارج جزيرة العرب حيث يعتبر النفود حدود شمال الجزيرة العربية .

والجوف مركز الدفاع عن الجزيرة العربية ضد الغزوات الاجنبية الفارسية والرومية وإليه كان يلجأ الفارّون من جيوش الفرس والروم والنقوش الموجودة الثمودية تشير إلى ذلك وأكثرها لجنود هربوا من الفرس والروم لأنهم لا يريدون حرب إخوتهم العرب وأمام الجوف توقفت الحملات الفارسية والرومية قبل الإسلام قبيلة قُدير (قيدار) أول مدافعه عن الارض العربية ضد الأشوريين والبابليين والفرس ...

إضافة إلى ذلك فالجوف مركز العلاقات التجارية بين الشام والعراق ونجد من جهة أخرى، وقد أصر المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود على أن يكون الجوف من المملكة خلال مفاوضات الكويت لتعديل الحدود بينهم، لأن بلاده تمتار الحبوب والمنسوجات والأسلحة من بلاد الشام عن طريق الجوف ووادي السرحان ويريد أن يكون هذا الطريق ضمن المملكة ولم يرض أن يكون للأردن أو سوريا، لأن العلاقات الاقتصادية الحيوية للمنطقة تمر بالجوف .

كما بيّن جلالته أن سكان الجوف وأكثر سكان الحماد هم من قبائل جزيرة العرب فلا يمكن أن تكون حدود فاصلة بين أبناء القبيلة الواحدة مما اضطر المجتمعين في مؤتمر الكويت إلى اعتماد اتفاقية خاصة بتنقل القبائل بين سوريا والعراق والأردن والكويت والمملكة العربية السعودية وقد تنازل جلالته رحمه الله عن العقبة ومعان وكانت لولاية الحجاز مقابل بقاء الجوف ووادي السرحان للمملكة لأنه كان يدرك أنها قلب جزيرة العرب، ومنذ عهد الدولة السعودية الأولى وقبائل الجوف وقبائل نجد هي قبائل واحدة من عنزة وقحطان وبني خالد وعتيبة وبني تميم يضاف إليهم بقايا طي والسرحان وهم سكان المنطقة قبل الإسلام وبعده.

أما طرق القوافل فحتى الحرب العالمية الأولى كانت البلاد العربية تعتمد على القوافل للنقل البري، ولم يكن في بلاد العرب إلا قلة من الطرق التي تسير عليها السيارات التي كانت بطيئة السرعة إذا ما قيست بالسيارات الحديثة، وكانت الجوف ثم وادي السرحان، الطريق الرئيسية بين نجد وبلاد الشام، وكذلك الطريق الرئيسية بين البصرة والعقبة - كما مر في بحث الأهمية الاقتصادية للجوف.

وقد كان للجوف أهمية خاصة لقوافل الحج.

كانت الدولة العثمانية تطلب من عرب الحماد والبلقاء ووادي السرحان تقديم الإبل لقوافل الحج، وكان عدد الإبل يتراوح بين ثمانية إلى عشرة آلاف. وهذه الإبل كانت تأتي بأكثرها من الجوف. والدولة العثمانية تدفع - إضافة إلى أجور الإبل وقاداتها - أموالاً سنوية على شكل هبات حبوب وتمور وأقمشة للقبائل مقابل حمايتها لطريق الحج، وكانت قبائل الجوف من ضمن هذه القبائل.

وقد ازداد ارتباط الجوف بنجد والحجاز منذ انتهاء حكم آل فضل فيه وبداية الدولة السعودية الأولى. حكم التوحيد.. حيث ساهم التوحيد في صيانة عقيدتهم الدينية من أفكار الشرك والفساد التي أصابت المجتمع التركي وخاصة عندما بدأ يتشبّه بالغرب في حياته ولباسه وعاداته.

ولكن لماذا انتهى حكم آل فضل في الجوف وسورية وبدأحكم آل سعود ؟..
إن الاسباب هي :

١ ـ الأمراض والأوبئة التي سادت الجزيرة العربية في العصر العثماني وكلها ناتجة عن الإهمال للقضايا الصحية ... والحروب والمنازعات الداخلية ... وكان آل فضل يهتمون بالعطايا والهبات التي يتقاضونها من الدولة فقط ... بينما امراض الطاعون والكوليرا والجدري إضافة إلى البراكين والزلازل تهدم الحياة في جزيرة العرب .

٢ ـ اهمال الدولة العثمانية ـ لقد وقف آل فضل مع العثمانيين ضد سلاطين القاهرة وساعدوا السلطان العثماني على احتلال سورية وكان هدفهم إنهاء الفترة التي يثيرها سلاطين مصر بين العرب للسيطرة عليهم .

ولكن الدولة العثمانية لم تعط قبائل العرب الأهمية الكافية ولم تدفع لهم المساعدات مما أدى إلى انكفاء القبائل العربية على نفسها في الداخل خاصة وأن العثمانيين أول من استعمل الاسلحة النارية والبارود في الحرب ولم تكن قبائل العرب تعهده قبلاً .

وبقي البارود والمدافع والغدارات بعيدة عن بلاد العرب مدة ٢٠٠ سنة حتى استطاعوا استعمالها في نهاية القرن السابع عشر الميلادي فقد كان سكان الجوف يحصلون بالرشوة على البارود من معمل البارود في حماة الذي تملكه الدولة العثمانية وبعد اتقان استعمال الأسلحة النارية بدأ العرب باستكمال القوة العسكرية أمام الغزاة .

٣ ـ كان من نتيجة عدم اهتمام العثمانيين بالقبائل العربية أن انكفأت على نفسها بعيدًا عن السياسة العالمية والاقتصاد العربي خلافًا لتعاليم الدين الإسلامي وبدأت تغزو بعضها البعض ولذلك تمزقت القبائل وزحفت قبائل بكر من الرولة إلى بادية الجوف وقبائل الحسنة من عنزة إلى حمص وقبائل شمر إلى شمال الجزيرة العربية بعد خلو البادية من سكانها بسبب الأمراض والأوبئة كما ذكر في البند الأول من هذا البحث ومع هذا التغيير كان لابد من ازدياد الحروب بين القبائل وتهدم ابنيتها وقطع

نخيلها وتخريب مزارعها .. وقد اقتضى الأمر مدة ٣٠٠ سنة لإعادة ما تهدم نتيجة التشتت بين القبائل العربية لذلك كان أول مبادئ التوحيد التي نادى بها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عدم إقامة ما يوجب الفرقة بين المسلمين عامة وبين المسلمين وأولياء أمورهم من جهة أخرى ..

٤ ـ ضعف النفوذ العثماني ـ انشغل العثمانيون خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بحروبهم في أوربا ورغم الهزائم المتكررة فانهم استمروا بمحاولات التوسع الفاشلة وكان جل جهودهم ارسال الخيل والإبل من البلاد العربية إلى أوربا لنقل معدات جيوشهم فلم يهتموا بالمناطق العربية مما أدى إلى ضعف نفوذهم باعتبار أن مظاهر قوتهم كلها في أوربا .

٥ ـ ازدياد نفوذ القوى المحلية نتيجة لأهتمام العثمانيين بأوربا فقد أقام زعماء قبائل الجزيرة العربية نوعًا من الحكم المحلي في ارضهم مثل سلطة بني خالد في الاحساء مما ادى إلى انتهاء نفوذ آل فضل وبداية الظروف المناسبة لبداية حركة التوحيد السعودية. وإنهاء الفرقة بين القبائل العربية .

٦ ـ ازدياد التدخل الاجنبي ـ وقد بدأت الاساطيل البرتغالية والاسبانية والانجليزية والهولاندية بالتدخل في المياه العربية. وإذا استطاع العثمانيون منع السفن الاجنبية من دخول البحر الأحمر للحفاظ على الأماكن المقدسة الإسلامية إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك في خليج البصرة العربي لأن الفرس الصفويين لم يتعاونوا مع العرب للحفاظ على الخليج اسلاميًا بل تعاونوا مع البرتغاليين ثم الهولانديين ثم الانجليز ضد العرب المدافعين عن الخليج والجزر الإسلامية وخاصة البحرين.

كل ذلك أدى إلى التدخل الاجنبي على الساحل واندفع رجال القبائل في الداخل ضمن حركة التوحيد الإسلامية في الدفاع عن السواحل العربية الإسلامية .

فحركة التوحيد السعودية هي ضد التدخل الاجنبي في الاراضي العربية المقدسة. ولو أرادت أن تتحالف مع أعداء الإسلام لقبلت عروض نابليون بالتحالف معه ..

بعد احتلاله لمصر. ولكنها رفضت التعاون مع اعداء الإسلام.

٧ ـ سيطرة محمد علي على الجزيرة العربية : كان رفض حركة التوحيد التعاون مع الفرنسيين واعتمادها على الشرع الإسلامي سببًا رئيسيًا دعا الفرنسيين إلى الاتفاق مع محمد علي ودعمه بالاسلحة والخبرة والضباط لمهاجمتها باعتبارها حركة توحيد يمكن أن تجدد للعالم الإسلامي القوة التي انهارت والعقيدة التي داخلها كثير من البدع والعادات البعيدة عن روح الشرع الإسلامي الحنيف لذلك كانت حروب محمد علي في الجزيرة ضربة استعمارية لمحاولة إعادة قوة المسلمين وتوحيد صفوفهم تحت راية واحدة.

الفصل السادس :

الجوف والأسرة السعودية

من هم آل سعود ؟

يقسم الدكتور منير العجلاني أدوار التاريخ السعودي إلى ثلاثة أقسام :

الدور الأول : ويبتدئ من عام ١١٥٧ هـ وحتى عام ١٢٣٣ هـ وقد اطلق عليه المؤرخون اسم الدولة السعودية الأولى . وقد حكم فيه ستة أئمة هم :

١ ـ محمد بن سعود .
٢ ـ عبد العزيز بن محمد .
٣ ـ سعود بن عبد العزيز .
٤ ـ عبد الله بن سعود .
٥ ـ محمد بن مشاري .
٦ ـ مشاري بن سعود .

وفي هذا الدور انتهت سيطرة آل فضل على الجوف وتحركت قبائل السرحان وطي وكلب إلى حوران والبلقاء وغزة . واستوطنت الجوف مجموعات من قبيلة عنزة والسراح وغيرهم. وكذلك من السرحان وبني خالد وعتيبة وأكثرهم من نجد والاحساء كما سيأتي في بحث كل قبيلة على حده من القبائل القاطنة في الجوف.

الدور الثاني : ويسميه المؤرخون الدولة السعودية الثانية من ١٢٤٠ـ ١٣٠٩ هـ. بدأ هذا الدور مع انتهاء الدور الأول باحتلال الوالي العثماني محمد علي باشا في مصر وبقيادة ابنه إبراهيم باشا مدينة الدرعية وتخريبها وقطع نخيلها. ولكن الحكم العثماني في الجزيرة العربية انتهى عام ١٢٥٦ هـ، ١٨٤٠ م بعد ثورة سكان سورية عليهم وقتلهم أكثر من ثلاثة أرباع جيشهم ، وانفصال عرب مصر من الهنادة والهوارة عنهم ، وبقاؤهم في سورية ، فكانت النتيجة أن اضطر إلى الانسحاب من الجزيرة العربية.

وقد حكم في هذه الفترة الأئمة السعوديون وهم :

تركي وفيصل وعبد الله وسعود وآخرهم عبد الرحمن والد البطل المغفور له الملك عبد العزيز .

وسبب إنتهاء حكم هذه الفترة هو مهاجمة العثمانيين للجزيرة واحتلالهم الاحساء بقيادة مدحت باشا والتدخل في شئون نجد واعطاؤهم الأموال والأسلحة لآل الرشيد في حائل لمحاربة العرب وفرض السيطرة العثمانية لأن الدولة العثمانية كانت تخشى رمال الصحراء وبواديها التي تبتلع الجيوش المعادية للعرب .

الدور الثالث : يبدأ باستيلاء الملك عبد العزيز آل سعود على الرياض عام ١٣١٩ هـ ومحاربة الحكم التركي العثماني الممثل بآل رشيد حكام حائل ثم تحرير الجزيرة العربية من نفوذهم وفتح طريق الخليج بالاستيلاء على الاحساء وحمايتها من التدخل الاجنبي الفرنسي الانجليزي الهولاندي حيث كانت اساطيل هذه الدول تمرح في الخليج بعد أن هزمت القواسم في سواحله والعمانيين في بحر العرب وكذلك انهاء حكم الأشراف المتعاونين مع الانجليز في الحجاز واستمر الحكم حتى الآن لجلالة المغفور له مؤسس الدولة الملك عبد العزيز وخلفه جلالة الملك سعود بن عبد العزيز ثم الملك فيصل بن عبد العزيز ثم الملك خالد والآن جلالة الملك فهد أطال الله في عمره وأيده بنصره على أعداء الدين الإسلامي أعداء الله ... وجعل فترة حكمه فترة خير وبركة وازدهار وتقدم بفضل طاعته لله العلي القدير وإقامته حكم الشريعة الإسلامية الطاهرة .

وقبل أن نبدأ بالكتابة عن الجوف في عهد آل سعود خلال الأدوار الثلاثة لابد من الكتابة عن أهل ونسب آل سعود من هم :

حنفيون :

يقول ابن بشر إن مانع جد آل سعود المريدي من فخذ المرده من بني حنيفة من قبائل بكر بن وائل وقد نقل ابن بشر ذلك من كلام محمد بن سلوم الذي نقله بدوره من كلام راشد بن خفين قاضي الخرج .

فإذا صح لدينا أن مانع مريدي حنفي عرفنا بذلك أسماء آبائه من حنيفة حتى عدنان لأن نسب حنيفة معروف ومدون في كتب الأنساب وهو :

حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصي ابن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(١).

عنزيون :

ويذهب كثير من المؤرخين الغربيين ويجاريهم في رأيهم كثير من المؤرخين العرب أن آل سعود عنزيون من قبيلة عنزة .

ولكلمة عنزة مدلولات مختلفة ولعل أكثر الذين نسبوا آل سعود إلى عنزة يجهلون ذلك فهم لا يعرفون إلى أية عنزة ينسبونهم يعني بعض المؤلفين بعنزة أو العنزيين – سلالة عنزة بن أسد ويعني آخرون سلالة عنزة بن وائل .

المعنى الأول نجده في اكثر الكتب القديمة والمعنى الثاني هو الأحدث والأشهر بين رجال العشائر .

يقول البكري في معجم ما استعجم أن أسرة عنزة في الاصل هو عبد الله وعنز لقب لقبوه به لأن رأسه كان محدوًا يشبه العنزة(٢).

عنز بن وائل :

فمن المؤلفين الذين ينسبون آل سعود في عنز وائل :

١ ـ الأستاذ عباس الغراوي يقول :

قبائل عنزة من قبائل العرب الكبرى والمعروف أنها من سلالة عنز بن وائل وأما قبيلة عنز بن أسد فيرجح المؤلف إنها اندمجت في قبيلة عنز بن وائل أودرجت ... لان عنز اليوم تحفظ أنها من بني وائل وأن جدها عناز والتقارب في اللفظ ظاهر بين عنزه وعناز ومن مؤيدات ذلك ماجاء في أنساب الحواني المنقول عن نهاية الارب للنويري قال :

أما وائل بن قاسط بن هنب فاعقب اربعة : تغلب ــ بكر ــ عناز ــ وعمر.

فمن عناز بن وائل بن قاسط فخذان :

١ ــ رفيدة بن عنز.

٢ ــ اراشة بن عنز[١].

يقول أحمد وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام :

عنزة أعظم القبائل العدنانية بل العربية عددًا واعلاها شأنًا وامتعها جانبًا وانتشارًا ويرتقي نسبها إلى عناز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان .

والمعروف إن عناز بن وائل هو أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل وان بني وائل بطن من ربيعة وهم كثيرون لا يحصون[٢] .

ويقول فؤاد حمزة في كتابه قلب جزيرة العرب :

إن آل سعود ينتمون إلى قبيلة ولد علي من عنزة التي جدها عناز بن وائل ومن عنزه بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها في العارض والحريق والحوطة والافلاج وسدير والقصيم وحريملة وبعضهم يسكن في هجر أنشأها لهم الملك عبد العزيز[١] .

يقول الشيخ حسين خزعل في كتابه تاريخ الكويت السياسي :

عنزة وهم بنو عناز بن وائل ومن عنزة تنحدر بكر بن وائل التي تنسب لها البيوت الثلاثة : آل سعود ــ آل خليفة ــ آل صباح[٣]

وجاء في أنساب العرب للدكتور العلايلي:

---

(١) تاريخ نجد ــ بن بشر.

(٢) معجم ما استعجم ــ للبكري.

(٣) عشائر العراق ــ للعزاوي.

عنزة قبيلة من العرب ينتسب إليها فيقال عنزي والقبيلة اسمها عنزة وعنزة ابو حي من ربيعة وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(١).

ويتفق صبح الأعشى والعقد الفريد وتاريخ بن خلدون في نسبه عنزه إلى أسد بن ربيعة ـ وجاء في معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ما تلخيصه عنزة بن أسد اكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر تنسب إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد وتمتد منازلها من الحجاز إلى نجد إلى وادي السرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب(٢).

ويقول القاضي حمد بن إبراهيم الحقيل في كتاب (زهرة الآداب في معرفة الانساب) ومن ربيعة اللهازم وهم عنزة بن أسد بن ربيعة وعجيل بن لجيحم وقيم الله وقيس(١).

يقول امين سعيد في كتابه تاريخ الدولة السعودية.

بعد الشيخ مانع المريدي العنزي المؤسس الأول للبيت السعودي وهو في الاصل من شيوخ قبيلة عنز بن أسد(٣).

ويقول صاحب تحفة المستفيد مؤلف تاريخ الاحساء إن نسب آل سعود يتصل إلى عنزة بن أسد(٣).

---

(١) عشائر الشام ـ أحمد مصطفى زكريا.

(٢) قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة.

(٣) تاريخ نجد ـ للريحاني.

(٤) الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود.

(٥) كنز الأنساب ـ للقاضي الحقبل.

ومع هذا فإن الدروع من عنزة القاطنين في اليمامة والقطيف هم غير الدروع من آل قحطان القاطنين في واحة البريمي وعمان ويتميزون عنهم بالصيحة المعروفة عند آل مقرن والتي كانت خيال العوجاوأنا ابن مقرن أو راع العوجا وأنا ابن مقرن .

والعوجا الواردة في الصيحة هي مدينة الدرعية الواقعة على وادي حنيفة وسميت العوجا بسبب جغرافي كما ورد في كتب الأسماء واللغات. ولآن وادي حنيفة يتعرج ويعوج عندها.

وقد أصبحت هذه الصيحة بعد حركة التوحيد .

صيحي التوحيد وأنا خو من طاع الله
أو خيال التوحيد وأنا خو من طاع الله[٣]

قال الأمير الجليل عبد الله بن عبد الرحمن عميد أمراء آل سعود اليوم ومن افقههم وأعرفهم بتاريخ الأسرة وأنساب العرب نحن حنفيون قيل له وقصة عنزة قال سموه إن كانت عنزة عند بعضهم مرادفه لربيعة أو وائل فيمكن القول نجوز إننا من عنزة بمعنى إننا من ربيعة[١] .

وما يقول سموه في اعتقادنا هو الحق وفيه اشارة واضحة إلى تطور مدلول عنزه وتوسعة حيث استغرق عشائر ربيعية كلها ولم يعد قاصرًا على عشيرة عنزة وحدها .

وأشار الريحاني في كتابه عن تاريخ نجد إلى أن ابناء بكر بن وائل سواء كانوا من عنزه أو حنيفه هم أبناء عمومة[٢] .

أما كتاب كنز الأنساب فيقول :

عنزة العدنانية ـ هذه القبيلة كبرى القبائل العربية على الاطلاق في وقتنا الحالي وفيها ملوك وأمراء وأعيان وفرسان وشجعان وقضاة وشعراء تمتد منازلها من نجد إلى

---

(١) ومنهم السراح في دومة الجندل وهم الحكام بعد آل فضل. ويذهب سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن إلى أن الرساح من الموهوب .

(٢) زهر الآداب ف في معرفة الأنساب ـ للحقيل.

الحجاز فوادي السرحان فالحماد فالبادية السورية حتى حمص وحماه وحلب وعنزة الموجودة الآن اسم يشمل الرولة والسوالمة وبكر ـ وتغلبا ـ وبني شيبان ـ ضنا بشر ـ الوهوب .

دخلوا جميعًا تحت مسمى عنزة

فتغلب لأنهم المسمون بشر في قبائل عنزة وضنا عبيد والعمارات.

وأما بنو شيبان فهم بنو وهب[1] من عنزة وبكر هم الرولة والجلاسي بجمع الرولة والمحلف وهم الاشاجعة ويرأسهم بن معجل والسوالمة يرأسهم بن جندل. عبد الله يرأسهم بن بجاد وهؤلاء هم بكر وهم اكبر شيوخ المحلف رسميًا ولهم الذبيحة .

---

(١) تحفة المستفيد في تاريخ الإحساء.

القضـــاة

يذكر بن بشر إن الأئمة السعوديين كانوا يبعثون القضاة إلى كل المناطق المبايعة لهم فبعض القضاة يقيمون في هذه المناطق والبعض الآخر يقيمون عدة أشهر ويأذن لهم بالرجوع إلى اهليهم ويذكر المسنون أن قاضي حائل كان يحضر إلى الجوف مدة شهرين للحكم في القضاء ثم يعود .

يقول ابن بشر : بعد ان يتحدث عن القاضي محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي الذي كان في بلدة حائل قاضيًا للإمام وأما غير ذلك من النواحي فلا يحضرني شيء الآن عن قضاتها إلا أن الإمام كان يبعث إليها القضاة نحو سنة ثم يبعث غيرهم .

وكان محمد بن عبد المحسن بن فائز بن علي قاضي على جبل شمر والجوف عام١٢٢٩ هـ . وقد أورد ابن بشر اسماء القضاة التاليين :

١ ـ عبد الله بن سليمان بن عبد الله.
٢ ـ عبد الله بن سليمان بن محمد .
٣ ـ محمد بن إبراهيم بن سيف .
٤ ـ محمد بن عبد المحسن بن فايز.

العمـــال :

أما عمال الإمام وهم من كان يبعثهم لقبض الزكاة من بوادي الجزيرة مما وراء الحرمين الشريفيين وعمان واليمن والعراق والشام وما بين ذلك من بوادي نجد ؛ يقول ابن بشر : ذكر لي بعض خواص سعود ممن قد صار كاتبًا عنده ، كان يبعث إلى تلك البوادي بضعًا وسبعين عامله كل عامله سبعة رجال. وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض لدراهم الزكاة وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة لأوامرهم وجمع الإبل والأغنام المقبوضة من الزكاة وغير ذلك ـ وهؤلاء غير عمال نواحي البلدان من الحضر لخرص الثمار وعمال الزكاة وغير ذلك .

وقد بلغت زكاة بوادي عنزة التي أتى بها عماله من الفدعان أربعين ألف ريال فرنسي من غير خرج العمال .

وكان رئيس العاملة عبد الله الوردي ومعه الجنيدي من ضمن العاملة ، وفي عودتهم إلى الجوف عن طريق الحماد مروا ببادية حلا لهم ماشية قيل إنهم من السردية أو آل عيسى فطالبوهم بزكاة أغنامهم ومواشيهم ، فما كان من أصحاب الحلال إلا أن شهروا السلاح وركبوا الخيل يقصدون الاعتداء على العمالة وأخذ مالديهم من الزكاة ، ولكن رئيس العاملة الوردي تصرف وأرسل إليهم وقال :(إذا كانت أغنامكم بيضاء فالبيضاء ليس عليها زكاة) وكان العامل يعرف أن أكثر أغنامهم في الشمال من النوع النعيمي الأبيض ، لذا تصرف بذكاء حتى ينقذ أموال الزكاة من المهاجمين ويحفظها للإمام بحنكة وسياسة .

فذهب قوله مثلاً حتى هذه الأيام (الأغنام البيض ما عليها زكاة) وخاصة في الجوف .

دخول الجوف تحت حكم التوحيد

بدأ التوسع بهدف الدعوة الى التوحيد وإلغاء البدع منذ عام ١٢٠١ هـ حيث غزا ابن جميلان بن حمد أمير القصيم بأمر من الإمام عبد العزيز الأول ناحية جبل شمر ـ وضيق عليهم حتى بايعوا على دين الله وسنة رسوله والسمع الطاعة ولكن بيعة شمر وجبلي سلمى وإجأ لم تتم السيطرة السعودية ولم تنْهِ سيطرة شمر على باقي المناطق المجاورة للجبل لذلك في سنة ١٢٠٢ هـ أرسل الإمام عبد العزيز الأول ابنه سعود لإجلاء آل رشيد عن نواحي القصيم ولما امتنع شمر عن دفع الزكاة عام ١٢٠٦ هـ سار إليهم سعود الأول بجيوشه وكان قد تجمع كثير من بوادي مطير وحرب وغيرهم على الماء المعروف بالشقرة ناحية جبل شمر فعدا عليهم وأخذ أكثر من (٨٠٠٠) من الأبل غير الأغنام والأمتعة وحاز أموالاً عظيمة وأكثر من عشرين فرسًا وقتل منهم عدة رجال من الخيالة ولاتمام توسعه نحو الشمال كان لابد له أن يأمن أن لا يؤتي من الغرب والشرق فغزا سنة ١٢٠٧ هـ بوادي بني خالد وهم على الجهراء الماء المعروف فلما قرب منهم وجد آثار الجيوش والخيل غازية والوادي عادين وكان بني خالد قد مالوا مع براك عبد المحسن وتابعوه وطردوا أولاده عريعر وذويهم فلما تولى عليهم براك المذكور نهض بهم غازيًا ونهض معه بنو خالد وورد على الماء المعروف باللصافة في الشمال فاغار منها على واد من سبيع وغيرهم وأخذ ابلاً كثيرة فلما وجد سعود آثارهم تبعهم وورد على اللصافة فوجد آثار الجيوش صادرة منها فنزل على الماء وأخبر بسير براك المذكور ـ وتحقق أن قفولهم على هذا الماء أو اللهابة أو الفرعا ـ وكانت مياهها قريبة من بعضها فبعث خيلاً إلى اللهابة وخيلاً إلى القرعا لئلا يروها القوم، فلما أقبلوا نهض عليهم جيش سعود فرسانًا وركبانًا فلم يثبتوا لهم ساعة واحدة وانهزم بنو خالد وقتل منهم أكثر من ألف رجل ـ وقيل إن الذي هلك أكثر من ألفي رجل. ثم ارتحل إلى الأحساء ونزل على عين نجم خارج البلد. فظهر عليه أهلها وبايعوه على دين الله والسمع والطاعة ودخل آل سعود الاحساء وهدموا مظاهر الشرك فيه وفي عام ١٢٠٨ هـ سار قائـد الإمام محمد بن معيقل ـ صاحب شقراء في ٦٠٠ مطية ـ

ناحية الحجاز وأغار على بوادي عتيبة ووقع بينهم قتال شديد في أراضي الجبل المعروف في ركبه .

لذلك ، وبعد أن أمن من الشرق والغرب سار باتجاه الشمال إلى عالية نجد ، فأغار على بوادي بني هاجر ورئيسهم ناصر بن شري وهم بين الذنانب والتعل وأخذ أموالهم. ثم توجه محمد بن معيقل بأمر الأمام عبد العزيز ومعه أهل الوشم والقصيم وجبل شمر الذين نفروا غزاة مع امرائهم محمد بن عبدالله آل حسن في القصيم ومحمد بن علي في جبل شمر، فساروا إلى دومة الجندل ، ولم يذكر ابن بشر الطريق الذي اتبعوه ، ولكن من المؤكد أنهم قطعوا صحراء النفوذ وأشرفوا على الجوف من جهة الشرق . ويذكر ابن بشر أنهم نازلوا الناحية وأخذوا منها ثلاث بلدان ومن المحتمل أنها سكاكا وطوير وقارا ، ثم حاصر الباقين[1] .

ومنطقة الحصار يجب أن تكون دومة الجندل ـ وقد قتلوا منهم عدة قتلى ومازالوا محاصرين حتى بايعوا على السمع والطاعة. وقد قتل من الغزو رجال منهم عمهوج المعرقب .

وهكذا انتهى حكم آل فضل في الجوف وبدأ حكم آل سعود وانفصلت عن بادية السماوة والأردن وأصبح الإمام مسئولاً عنها لذلك أمر الإمامُ حجيلانَ بن حمد أمير ناحية القصيم بالمسير في جيش من أهل القصيم وغيرهم ناحية أرض الشام ـ البلقاء ـ فأغار على بوادي الشرارات والحويطات وبني عطية فقتل منهم ١٢٠ رجلاً وأخذ من الابل (٥٠٠٠) خمسة آلاف بعير وأغنامًا كثيرة وأكثر حلاهم وأمتعتهم واذوادهم من الإبل ثم عفا عنهم بعد أن بايعوا على دين الله والسمع والطاعة .

وهكذا أمن الجوف من ناحية الغرب ، أما من ناحية الشرق فقد سار سعود الأول بن عبد العزيز بنفسه عام١٢١٢ هـ ومعه سكان نجد حاضرة وبادية وقصد الشمال وأغار على سوق الشيوخ وقتلهم ، ثم سار وقصد بادية السماوة وأتاه عيونه

---

(١) ابن بشر.

وأخبروه بعربان كثيرة مجتمعين في الأبيَّض ـ الماء المعروف جهة السماوة ـ للإغارة على شمال الجزيرة فواجه الجيوش وأغار عليهم وكان في تلك البوادي كثير من شمر (ورئيسهم مطلق الجربا) الفارس المشهور الذي قتل في المعركة. بينما كان مع سعود برَّاك بن عبد المحسن رئيس بني خالد، ومحمد العلي رئيس المهاشير.

ولكن سيطرة التوحيد على الجوف دعت إلى تجمع قبائل الشام أيضًا فقد بلغ الإمام سعود أن جمعًا من بوادي الشام وعربان من عنزة وبني صخر وغيرهم تجمعوا وقصدوا نقرة الشام في الأردن معروفة الآن لمهاجمة الجوف .. لذلك استنفر الإمام جميع النواحي من الحاضرة والبادية من وادي الدواسر إلى مكة والمدينة إلى جبلي طي ثم إنضاف إليهم بادية الجوف وحاضرته وما بين ذلك نحو ثمانية آلاف ... فلما وصلوا إلى وادي السرحان لم يجد في الأردن أحدًا إذ سبقه النذير إليهم وكان أعراب الشام قد اجتمعوا على دوخي بن سمير شيخ قبيلة ولد علي من عنزة وهم وراء الجبل المعروف بطويل الثلج قرب نابلس أي جبل الشيخ ثم انتقل هؤلاء إلى عين القهوة في جبل حوران ولما بلغهم أن الأمام تجاوز وادي السرحان إلى وادي الزيدي انهزموا من جبل حوران إلى غور الاردن فسار سعود إلى تلك الناحية وأقبل وأدبر في قرى حوران من بصرى الشام إلى مزيريب وأقام حول البحيرة ونهبت الجموع ما وجدوا من المتاع والطعام ـ واشعلوا النار في بصرى وكان أهلها قد هربوا عنها لما سمعوا بمسيره إليهم ثم نزل عين البجة وارتوى منها المسلمون وشربت خيلهم وجيوشهم وعاد إلى قصر الأشعري بالقرب من مزيريب فظهر عليهم منه خيل فحصل طراد فانهزمت الخيل إلى القصر وانحصروا فيه فاراد المسلمون الحشرة على القصر وما أحب سعود ذلك مضنه بالمسلمين لاجل إحصانه ولأن يوسف باشا قد تحرك بجنوده من دمشق نجده لابن سمير الذي كان بالغوار مع عربانه ... فترك الإمام مزيريب وعاد إلى بصرى وبات فيها ثم رجع قافلاً إلى وطنه ومعه غنائم كثيرة من الخيل والمتاع والاثاث والطعام ـ قتل من أهل الشام عدة قتلى ـ وحصل في الشام رجفة ورعب عظيمين بهذه الغزوة وذلك في دمشق وغيرها من البلدان والبادية ـ وحين انكف سعود من الشام عائدًا إلى الجوف أمر السلطان بعزل يوسف باشا وأرسل إليه سليمان باشا صاحب عكا فأجلاه عن

دمشق واحتوى على جميع أمواله وتولى ولاية دمشق.

وبذلك أمن الإمام علي الجوف من جهتي الشرق والغرب والشمال كما أمّن أن لا يساعد الترك آل رشيد في الجبل لإثارتهم ضد التوحيد.

وكان قبل احتلال الجوف قد أخضع القبائل في الشمال والغرب وخاصة قادتها وكان قادة تلك القبائل وفرسانها كما يلي وقد ذكرها ابن بشر في كتاب وقد تجمعت عام ١٢٤٠ هـ وهزمها الامام وهم :

* من عتيبة : ذباب غانم بن مضيان وسلطان بن ربيعان.
* الدهامشة من عنزة : غازي بن ضبيّان.
* الحبلان من عنزة : مزيد بن مهلهل بن هذال.
* الصقور من عنزة : ابن وضيحان.
* الرولة : صحن الدريعي ابن شعلان.
* بادية شمرّ : عدوان ابن طوالة.
* البرزان من مطير : حسين أبو شويربات.
* بنو علي من حرب : القرم[١].

---

(١) ـ ابن بشر.

التنظيم الإداري في الجوف
في عهد الدولة السعودية الثانية

يمكن أن نقول إن إمارة الجوف كانت تتبع حائل حيث يقيم أميرها المعين من الإمام وأمراء حائل والجوف المعينين من قبل الإمام هم :

١٢٠١ هـ ابن حجيلان الذي غزا أمارة الجبل.

١٢٠٦ هـ كانت تتبع إمارة القصيم وأميرها محمد بن معيقل.

١٢٠٨ هـ عين الإمام محمد بن عبدالمحسن.

١٢٤١ هـ كان يحكم الجبل والجوف محمد بن علي ولا يذكر متى عزل محمد بن عبد المحسن.

١٢٥١ هـ كان يحكم الجوف وحائل صالح بن عبد المحسن وقد عزل صالح وعين بدلاً عنه عبد الله بن علي بن رشيد ... وقد حصل بين الإمام وعبد الله بن علي جفوة فعين بدلاً عنه عيسى بن علي بن ثائر وقام عبد الله بن علي بزيارة الإمام في الرياض وقدم الطاعة وساق هدية كبيرة للإمام من الإبل والأغنام والخيل ولكن الإمام رفضها وقبل طاعته وأكرمه.

١٢٥٦ هـ عاد عبد الله بن علي ولكن بعد تعاونه مع خورشيد باشا الوالي التركي وخروجه عن طاعة الإمام وقد قدم إلى الباشا ٢٠٠ مطية وأصطحب معه عددًا من الشعراء لمدحه رغم أن الباشا لا يعرف اللغة العربية.

وقد بقى الجوف يتبع حائل ولكن الإمام تركي استطاع ان ينقذه من الأتراك ويعين عيسى بن علي أميرًا من قبله على حائل والجوف[١].

---

(١) المرجع السابق.

المدارس الابتدائية التابعة لإدارة
التعليم في منطقة الجـوف ـ سكاكا ـ

الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين	عدد الطلاب	الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين	عدد الطلاب
١	ابن سينا	١٥	١٨١	٣٦	عكاظ	١٣	٢٦٩
٢	بـدر	١٢	١٦٨	٣٧	عمربن الخطاب	١٥	٢١٧
٣	السديرية	١٣	١٦٢	٣٨	الغزالي	٩	٢٧٣
٤	الصديق	١٧	٢٦٤	٣٩	الفيصلية	١٤	٢٧٦
٥	غرناطة	١٧	٢١٨	٤٠	اليرموك	١٦	٣٥٩
٦	فلسطين	٢٤	٤٥٣	٤١	الحديثة	٦	١١٠
٧	القادسية	١٤	١٥٣	٤٢	الحصيدة	١٦	٣٣١
٨	الملك خالد	١٢	١٣٨	٤٣	مركز الحماد	٤	٣٨
٩	الملك عبدالعزيز	١٠	١٦٤	٤٤	العقيلية	٤	١٨
١٠	النهضة	١١	١١٩	٤٥	العيساوية	٧	٩٧
١١	الاضارع	٦	٤٩	٤٦	عين الحواس	٣	٣١
١٢	ثنية أم نخيلة	١	٨	٤٧	قليب خضر	٤	٥١
١٣	خوعـا	٥	٦٢	٤٨	الناصفة	٦	٧٨
١٤	عبدالله بن رواحه	١٧	٢٣٤	٤٩	الإمام الشافعي	١٣	٣٧٠
١٥	عبدالله بن عمر	١٨	٢٥٣	٥٠	بلال بن رواح	٧	١١٧
١٦	القدس	١٥	٢٣٦	٥١	الجاحظ	٩	١٤٦
١٧	زبارة	٢	٢١	٥٢	صبيحة	٢	١٣
١٨	زلوم	٦	١١٢	٥٣	ميقوع	٥	٦٦
١٩	السليمانية	٣	٣٠	٥٤	النبك أبو قصر	٦	١٤١
٢٠	الشقيق	٥	٥٤	٥٥	تحفيظ القرآن (سكاكا)	١٨	٢٧٤
٢١	الشويحطيه	٥	٤٢	٥٦	تحفيظ القرآن (دومة)	١٣	١٥٧
٢٢	صفان	٣	٢٢	٥٧	تحفيظ القرآن (القريات)	٨	١٤١
٢٣	صوير	٨	١٦٦	٥٨	أبو عجرم	٥	٩٧
٢٤	الطوير	٧	١٣٠	٥٩	ابن خلدون	١٧	٢٨٨
٢٥	العمارية	٣	٣٢	٦٠	غطي	٤	٣٦

٢٦	سعدبن ابي وقاص	١٢	٢٠٩	٦١	الأندلس	٩	١٤٣
٢٧	قارة	١٧	٤٠١	٦٢	طيبــة	١٠	١٦٢
٢٨	الشهــداء	١٣	٢٣٩	٦٣	غزفــاء	١	٢٥
٢٩	النظايم	٢	١٠	٦٤	سادة الحـز	١	٢٨
٣٠	هدين	٧	١٢٤	٦٥	الملك فهد	١٠	٩٤
٣١	الوادي والبحيرات	٩	٥٩				
٣٢	أحــد	٨	٨٦				
٣٣	انس بن مالك	١٦	٢٩٥				
٣٤	خالد بن الوليد	١٥	٢٣٦				
٣٥	الرازي	٢٠	٤٢٠				

المدارس المتوسطة في منطقة الجــوف

الرقم	اسم المدرسة	عــدد المعلمين والإداريين	عــدد الطلاب	عــدد الرقم	المدرسة	اسم المعلمين والإداريين	عــدد الطلاب
١	ابن القيم	٢٧	٣٠١	١١	حصيدة	٥	٤٢
٢	حطين	٢٠	١٣٧	١٢	القريات	٢٥	٣٧٤
٣	صلاح الدين	٢٠	١٨٠	١٣	الحديثة	٥	٢٥
٤	الفاروق	١٧	١٥٥	١٤	العيساوية	٥	٢٩
٥	دومة الجندل	٢١	٢٦٨	١٥	الناصفة	٧	١٩
٦	زلوم	٩	٣٧	١٦	طبرجل	١٧	١٥٢
٧	صوير	١٠	٦٥	١٧	النبك أبو قصر	٩	٣٩
٨	قــارة	١٥	١٢٦	١٨	تحفيظ القرآن	٤	٢٩
٩	اللقائط	١١	٦٧	١٩	ابن سينا	٩	١٠١
١٠	الأمام الغزالي	١٩	٢٩٠	٢٠	الأندلس المتوسطة	٤	٧٢

المدارس الثانوية

الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين والإداريين	عدد الطلاب	الرقم	اسم المدرسة	عدد المعلمين والإداريين	عدد الطلاب
١	الجوف	٢٤	٣٤٢	٢	حطين	١٧	٢١٥
٣	دومة الجندل	٢٠	١٥٥	٤	صوير	٢	٢٦
٥	القريات	٢١	٢٨٦	٦	طبرجل	٦	٧٤

المدارس التي بعد المرحلة المتوسطة والثانوية :

١ ــ المعهد العلمي الديني .

اسماء المدارس الابتدائية للبنات بمنطقة الجوف

الرقم	اسم المدرسة	الرقم	اسم المدرسة	الرقم	اسم المدرسة
١	المدرسة الأولى الابتدائية	١٢	مدرسة اللقائط	٢٣	مدرسة طبرجل الثانية
٢	المدرسة الثانية الابتدائية	١٣	مدرسة الطوير	٢٤	مدرسة الفياض بطبرجل
٣	المدرسة الثالثة الابتدائية	١٤	مدرسة دومة الجندل الأولى	٢٥	مدرسة خوعا
٤	المدرسة الرابعة الابتدائية	١٥	مدرسة دومة الجندل الثانية	٢٦	مدرسة زلوم
٥	المدرسة الخامسة الابتدائية	١٦	مدرسة دومة الجندل الثالثة	٢٧	مدرسة صوير
٦	المدرسة السادسة الابتدائية	١٧	مدرسة الوادي والبحيرات	٢٨	مدرسة هويب
٧	المدرسة السابعة الابتدائية	١٨	مدرسة الاضارع	٢٩	مدرسة الشويحطية
٨	المدرسة الثامنة الابتدائية	١٩	مدرسة صفان	٣٠	مدرسة طلعة عمار
٩	المدرسة التاسعة الابتدائية	٢٠	مدرسة ميقوع	٣١	مدرسة زبارة
١٠	المدرسة العاشرة الابتدائية	٢١	مدرسة النبك أبو قصر	٣٢	مدرسة السليمانية
١١	مدرسة قارا	٢٢	مدرسة طبرجل الأولى		

اسماء المدارس المتوسطة للبنات بمنطقة الجـوف

١ ـ المتوسطة الأولى.
٢ ـ المتوسطة الثانية.
٣ ـ المتوسطة الثالثة.
٤ ـ قـارا.
٥ ـ صوير.
٦ ـ الطوير.
٧ ـ اللقائط.
٨ ـ دومة الجندل.
٩ ـ النبك أبو قصر.
١٠ ـ طبرجل.

اسماء المدارس الثانوية للبنات

١ ـ الثانوية الأولى بسكاكا.
٢ ـ الثانوية الثانية بسكاكا.
٣ ـ ثانوية قـارا.
٤ ـ ثانوية دومة الجندل.
٥ ـ ثانوية طبرجـل.

الكليات بعد المرحلة المتوسطة والثانوية

ـ الكلية المتوسطة لتعليم البنات بالجوف
ـ معهد المعلمات الثانوي بسكاكا.

الفصل السابع :

سكان الجوف والصراع
بين آل رشيد وآل الشعـلان

من أولاد وائل بن ربيعة بكر .. وهو جد قبيلة بكر العربية التي قادها المثنى بن حارثة الشيباني للحرب ضد الفرس .. وقد ساهمت قبيلة بكر في الفتوح الإسلامية واستوطنت في شمال الجزيرة العربية للدفاع عنها ضد الكرج والأرمن والروم وسميت المنطقة التي عاشت بها منطقة «ديار بكر» ولا تزال حتى الآن وهي منطقة مميَّزة عن ديار ربيعة التي شملت القسم الأكبر من الجزيرة الفراتية

بعد ضعف الأثر العربي في الدولة العباسية بوصول البويهيين إلى الحكم في بغداد حكم بنو أسد بن وائل من ربيعة القسم الجنوبي من العراق وقد مرّ معنا دبيس بن صدقة ومزيد بن صدقة وغيرهم.

أما قبائل تغلب وحبيب فساهمت بدولة الحمدانيين في شمال سورية.

أما بنو بكر فلم يستطيعوا الوقوف أمام هجمات السلاجقة في الجزيرة الفراتية فانسحبوا إلى جنوب الفرات ولما كان بنو أسد في بادية السماوة الشرقية فقد اتجهوا نحو بادية السماوة الغربية وأصبحت بوادي دمشق وحوران والصفا وبئر السبع حتى الجوف تابعة لهم وتغير اسمهم من بني بكر بن وائل بن ربيعة إلى عرب الرولة وأقاموا حلفاً مع القبائل التي كانت تتجول في المنطقة من الشرارات والفهيقان وآل حازم .. وغيرهم وأصبحوا قوة كبيرة تشرف على الطرق في بادية الشام ...

أما القسم الشرقي من البادية فتجمع به بعد هجمات المغول أبناء ربيعة بن وائل من العمارات (تغلب وشيبان) وهكذا سيطر أبناء وائل بن ربيعة على بادية الشام بعد قبيلة كلب وانسحبت طي والفضول من زعمائها إلى نجد وجهات حماه وحلب.

ومع الدعوة السعودية إلى التوحيد وإقامة أمور الشريعة الإسلامية بعيدة عن البدع توحدت القبائل المنتسبة إلى ربيعة بن وائل تحت اسم عنزة. واصبحت صاحبة السلطة الأولى على كل العرب لدفاعها عن الدين الإسلامي واعلاء شأنه ... وأصبحت الرولة جزءًا من عنزة وكلاهما أبناء وائل بن ربيعة اخوة حسب رأي علماء الأنساب العرب .

بعد أن استقر الرولة في بادية الجوف بدأت بتثبيت مركزها فخاضت مجموعة من المعارك مع العمارات شرقًا وإبن سمير والسرحان وغيرها ... وترأسها آل الشعلان وفرضوا نفوذهم على بادية دمشق وقد قام نوري الشعلان ببذل فاعلية سياسية شديدة فبنى قصرًا له في دمشق واتصل بسفراء الدول واغتنم الفرصة خلال الثورة العربية والنزاع العسكري بين الترك والعرب فاغتنى وأصبح من أكبر أمراء العرب ...

كان حكام الجوف من قبل الإمام سعود هم أمراء جبل حائل كما مرّ معنا وكان الأمير يعين منصوبًا له أما العامل والقاضي فإنه يعين من قبل الإمام مباشرة .

وعندما ضعف أمر الحكم السعودي بعد احتلال إبراهيم باشا ابن محمد علي الدرعية استولى سطام الشعلان على منطقة الجوف مدعومًا من العثمانيين وكذلك وادي السرحان وكانت أعرابه تسيطر على بواديه...

في عام ١٣١٥ هـ قام محمد بن عبد الله بن الرشيد واستولى على الحكم في الجوف من ابن شعلان. ولما كان ابن شعلان يسيطر على البوادي فإن سكان الجوف وقعوا بين نارين . نار حكام الجبل الذين لهم ممثلون في دومة وسكاكا وقد أخضعوهم بالقوة . ونار ابن شعلان الذي يفرض الضرائب على القوافل باعتباره يسيطر على البادية ويهدد زرعهم وماشيتهم ... ورغم أن عمل السكان الجاد في الزراعة والنخيل يدّر عليهم الكثير فإنه لم يكن باستطاعتهم أن يدفعوا الزكاة مزدوجة لذلك كان سكان الجوف يتمردون ضد آل الشعلان غير أن بن الرشيد مدعومًا من الحكومة العثمانية كان يقضي على كل تمّرد بالقوة والعنف ... وقصة آل حطاب من

السراح في دومة الجندل التي سنوردها في البحث الخاص بدومة الجندل خير مثال على ذلك .. وقد قام متعب آل الرشيد بقطع عدد كبير من أشجار النخيل في دومة الجندل وسكاكا[1] وهدم بعض أحيائها حتى ترك المدينة نصف خراب كما تذكر الرحالة الانكليزية آن بلنت التي تقول :

إن ستة جنود لابن الرشيد كانوا يستبدون بمدينة ذات أربعة أو خمسة آلاف من السكان إنهم جميعًا شبان أشداء نشيطون لطاف الروح يخدمون هنا سنة واحدة دفعة واحدة ـ ثم يعفون إنهم متطوعون ولا يحصلون على رواتب ولكن لهم كما افترض بعض مميزات حينما يكونون قد أدوا خدمتهم ـ ويبدو عليهم الاخلاص للأمير...[1].

أما السكان فقد أجبروا على الصبر فتقول آن بلنت إن ابن درع ليس راضيًا عن التغيرات السياسية في الجوف بأية حال ... فقد أخذ آل الرشيد منه مشيخة الجوف وسلطتها... ولكنه يخاف أن يظهر أكثر من عدم رضا ـ نصف كظيم ـ لأن محمد بن رشيد يحتفظ برهينة على حسن سلوكه في شخص ابنه الأكبر ويقيم هذا الشاب في حائل وهو هناك ليس سجينًا بالمعنى الحرفي لكنه لا يستطيع أن يعود إلى بلاده[2].

وفي عام ١٣٢٧ هـ عاد نوري الشعلان ـ شيخ عشائر الرولة إلى إنهاء حكم آل الرشيد في الجوف واستولى على سكاكا ودومة الجندل ـ وقد ساعده في ذلك المعاقلة من سكان سكاكا ليتخلصوا من قسوة آل الرشيد ـ بالإضافة إلى رابطة الدم باعتبار أن أكثر المعاقلة من عنزة. ولكن النوري فوض حكم الجوف لابنه نواف، وكان لنواف الذي يقيم في قريات الملح ـ عبد محبب لديه اسمه عامر المشورب فأنابه عنه في سكاكا ، ولم يكن النوري راضيًا عن ذلك ، فأهل سكاكا من كرام قبائل العرب ، ولا يمكن أن يحكموا من قبل العبيد. وقد جرّب ذلك آل الرشيد عندما عينوا العبد الزنجي جوهر في دومة الجندل حيث حصل منه بعض الإساءة لسكان المنطقة.

---

(١) وقد قطع ابن الرشيد نخيل المعاقلة وخاصة نخيل الورادة وآل حيزان وآل خميش ولم يترك إلا نخيل آل كريع لاعتراض شكر بن سهيان على ذلك بقوله: لا يمكن أن نقطع نخيل خوالي آل كريع.

(٢) الرحالة الانكليزية آن بلنت.

ولم يكن آل الرشيد أو آل الشعلان يحكمون في دومة أو سكاكا إلا بتعاون بعض الأهالي معهم. في سكاكا كانت قبائل المعاقلة تساعد آل الشعلان ، بينما بنو خالد وآل مطر وبعض السرحان يتعاونون مع آل الرشيد، ولكن هذا لايمنع آيا منهم من الثورة لأي تطاول على حرماتهم أو أي شيء لا يعتمده الشرع الإسلامي .

فأهل الجوف كانوا ولازالوا بهداية رب العالمين متمسكين بالشريعة الإسلامية مبدأ التوحيد... بعيدًا عن الشرك مبايعين الائمه على طاعة الله وسنة نبيه ﷺ منذ العصر السعودي الأول.

في عام ١٣٣٧ هـ عندما أساء منصوب ابن شعلان المدعو (عامر المشورب) التصرف بالحكم . واعتدى على حرمات الأهالي وأخافهم بسلطته ـ قامت قبائل المعاقلة في سكاكا برئاسة المرحوم خليف آل فالح وكتبت إلى نوري الشعلان في مقره بعذرا في سوريا عن سوء تصرف منصوبه. ولكن نوري أهمل الردَّ على رسائل المعاقلة ومن أمثلة ما صنعه عامر المشورب .

١ ـ ضرب محمد آل الحشاش (ودحى اثمه) (فمه) من الطين وقال له : (رُح ماينثل الطين من اثمك إلا رجاء المويشير) لأنه من جيرانه واخوانه وإلا فهو من قبيلة مذهن في القريات. وعندما سمع رجاء وأخوه حمد كلام العبد عامر. وهو عبد زنجي لا يقيم وزنًا لاخلاق العرب. خافوا أن يحصل منه تجاههم شيء فقاموا وقلطوا معاويدهم وشالوا عليها قصدهم الجلاء إلى القريات .

ولما حصل هذا صاحت النساء . وانتشر الخبر بين المعاقلة واجتمع رجالهم لدى المويشير وقالو ما الخبر؟..

قال رجاء وحمد نحن نخشى أن يحصل من هذا العبد علينا شيء

ونحن لسنا بجالسين هنا ... فقالت المعاقلة .. تمهلوا ولا يكون إلا الخير ... وكان العبد عامر المشورب يعمرّ قهوة (أي مجلس كبير) وعندما انتهى المجلس سيرّ عنده رجاء المويشير وقال : ياعم رجاء القهوة خلصت ولكن نبيلها خشب .

قال رجاء : ارعى الخشب الجاهز عند خليف آل فالح ومحسن ربعك خذه واسقف القهوة منه وبعدين تجمع لهم خشب .

حيث أن المعاهدة كانت بين النوري بن شعلان من جهة وآل فالح خليف ومحسن والقايد من جماعة رجاء المويشير من جهة أخرى وكان قصد رجاء إثارة مشكلة بين آل فالح ومنصوب ابن شعلان الذي هو العبد عامر المشورب من جهة وآل قايد من جهة أخرى.

أوصى العبد عامر خليف . وقال : نبي الخشب الذي عندكم نسقف عليه المجلس .

قال خليف : اجمع له من أهل سكاكا ، وإذا أعطوك خمس خشبات أعطيك عشرة ولكن ما تسقف من خشبي كل المجلس .

فقام العبد وترك قول خليف وأخذ الخشب عنوة .. بالقوة جميعه من عند آل فالح ... عندها زعل خليف ومحسن آل فالح وكانوا من رجال أهل سكاكا والمدافعين عنها .

بعدها توقف آل فالح عن مساعدة العبد عامر ... وعندها قام المرحوم رجاء المويشير وذهب إلى عند خليف بعد المغرب في الثالث من ربيع الأول عام ١٣٣٧ هـ وقال له :

ما هذا الفعل الذي فعله العبد يقصد أنه أخذ الخشب من عندكم جميعه .

قال خليف : عمل العبد ما هو خفي عليك .

قال رجاء : وش تبيني أسوي .

فرد رجاء على خليف ـ (الواه) العمل كله بايدينا .

فقال خليف : واش على هذا.

فقال رجاء : عليها الله ومانا.

قال خليف : ما عندي مانع ولكن هناك شروط .

قال رجاء : ما هي الشروط .

خليف : لابد أني انقض العهد أمام العبد وهو العهد الذي بيني وبين النوري بن شعلان.

قال رجاء : كيف تنقض العهد أمامه .

خليف : أنقض العهد وما جاك دبس بشاربي.

رجاء : طيب وما هو الشرط الثاني.

خليف : جميع بيت من بيوت المعاقلة يكون منها رجال الغزو مع ابن الشعلان ما يعلمون «أي لا يحضر من المعاقلة ـ أهل الغزاة ـ أحد . خوفًا عليهم أن ينتقم ابن الشعلان عندما يعلم بمقتل العبد».

رجاء : ما عندي ما نع من هذه الشروط وتعاهدوا على ذلك وتواعدوا في الليلة الرابعة عشر من الشهر الجاري في أن يقوموا ويقتلوا العبد عامر المشورب.

بعدها ذهب خليف آل فالح ومحسن وسيروا إلى قصر الحاكم أي عند العبد عامر المشورب ... فلما وصلوا قابلهم العبد وكانوا قد انقطعوا عن زيارته فترة من الزمن.

قال مشورب : تعال ياعم خليف شوف هالمجلس بعد ما استقف وانتهى .

قال خليف : شايفة والمجلس زين ويتبارك لك .

العبد : ليه يا عم خليف، أنت زعلان ؟

خليف : أنا لست زعلان ولكن العرض من العرض أبيض .

(ومعنى الكلام نقض العهد).

العبد عامر : ليه ياعم خليف تريد تذبحني ؟

خليف : ماني ذابحك ولكن العرض من العرض أبيض .

وفي الليلة الرابعة عشرة من الشهر نفسه قام أربعون مسلحًا من قبائل المعاقلة ما عدا الدار التي يكون منها محاربون مع ابن الشعلان فقد تركوها خوفًا على رجالهم

الموجودين مع ابن شعلان في تل ابو حشيشة .

وهكذا قصد خليف ، وكان في رجاله من آل فالح ستة عشر مسلحًا في الفزعة التي ضد العبد .. أقول : قامت المعاقلة وساروا إلى قصر ابن شعلان[1] وعندما فتحوا الباب وصار (الحس) داخل القصر سمع العبد (الحس) فهرب متجهًا إلى الغرب جهة بيوت رجاء المويشير وأخيه حمد ، لأنه وقع بخاطره أن الذي قام بالحركة خليف ومحس آل فالح لوحدهما ولم يعلم أن رجاء والمعاقلة متفقون على قتله.

أثناء هرب العبد عامر رآه مقبل العياف من جماعة خليف آل فالح وراح يعدو وراءه وأطلق عليه النار غربي القصر ولكن الطلقة قطعت (هدومه) وحزامه من كتفه وسلم . وفي الوقت نفسه كان مخلف آل عيادة وبعض المعاقلة يعدون وراء العبد وهو هارب جهة المويشير ، وعندما ضيق عليه مقبل العياف وخلف آل عيادة وبعض الرجال من المعاقلة وافق المرحوم شامخ آل مفرج ابن عم رجاء ونسيبه ودخل العبد عنده، وقد (تواقف) شامخ هو والفزعة الذين يطاردون العبد .

وتوقفت الفزعة التي منها مقبل آل عياف خوفًا من أن تحصل فتنه على إثر العبد ـ وبعثوا لرجاء وخليف آل فالح وهم بالقصر. وقال الرسول : إن شامخ أدخل العبد ونخشى أن يحصل بينه وبين الجماعة شيء ـ قال رجاء أين هو؟

فجاء رجاء يعدو ومن معه من رجال المعاقلة . وعندما وصل شامخ قال : وخر يا شامخ عن العبد ... قال : دخيلي.

قال : وخرّ وإلا ذبحتك واياه .. ودفع شامخ .. وذبح رجاء العبد ومعه خلف بن عيادة ومقبل العياف.

وتم ذبح العبد بهذه الصفة وبذلك انتهى حكم نوري الشعلان في سكاكا .

قام سلطان بن نوري الشعلان المقيم في تل أبو حشيش بالقاء القبض على بعض رجال سكاكا والذين كانوا بالغزو في تل أبو حشيش وجردهم من السلاح وارسلهم

(١) المرجع السابق.

مع مسلحين وسجنهم في قلعة مارد في دومة وأرد مهاجمة سكاكا لذلك قامت قبائل المعاقلة وأرسلت وفدًا لتسليم الجوف للملك عبد العزيز آل سعود وكان على الوفد أن يمرّ على مدينة حائل مقر طلال الرشيد لذلك أرسلوا كتابين أحدهما لابن الرشيد إحتياطًا إذا ألقي القبض عليهم ، والكتاب الأصلي لعبد العزيز آل سعود سلطان نجد . وكان عليهم اخفاءه حتى يمروا من حائل مقر آل رشيد .. ولكن لسوء حظ الوفد أن صادف بطريقة رجال من شمرّ .

وكان الوفد يتألف من محسن بن خليف آل فالح وعبد الرحمن بن خليف آل فالح. وحمد بن دّباح المويشير .. وفضيلة الشيخ عيد الضميري من الضمارة والدليل شخيرّ المحيني من عنزة .. وسليمان آل قعيد من دومة وكبريت آل درعان وآخرون .. والكتب التي يحملونها موقعة من كبار قبائل المعاقلة .. وعندما وصل الوفد إلى قرب حائل قابلهم رجال من شمّر من الذرفان وقالوا : وين رايحين ؟

قالوا لحايل لابن الرشيد.. قالوا نحنا معاكم ..

وعندما قربوا من حائل كانت الرسائل مع الشيخ عيد الضميري ولاخفاء رسالة ابن سعود جلس لاراقة الماء وأخذ الكتاب ودفنه بالأرض. ولسوء حظه شاهده أحد الذرفان فرجع إلى مكانه وسحب الكتاب من الأرض وسلمه لابن رشيد وعندما قرأ ابن رشيد الكتاب وجد فيه أن أهل الجوف يطلبون توجه قوة من ابن سعود إلى الجوف لتوحيده من ملكة بناءًا على رغبة أهالي الجوف فقام ابن الرشيد وذبح الشيخ عيد الضميري صبرًا لأنه له خطأً سابقًا مع ابن دواس والشيخ الغنيمي وأرسل رسلاً لقتل رجاله في دومة ابن دواس والعبد دهام وقد وصل رجاله إلى الجوف وقتلوا ابن دواس والعبد دهام والشيخ الغنيمي أما بقية الوفد فبقوا من أهالي الجوف في السجن حتى أحتل السلطان الإمام عبد العزيز حائل واطلقهم من السجن وارسل معهم منصوبًا إلى الجوف .

وكان مع ابن الرشيد الذي حضر بنفسه ٣٠٠ ذلول وعدد كثير من رجاله وتعاون مع بعض قبائل سكاكا ثم احتلها بعد أن عسكر في المنطقة الجنوبية بين الطوير

وسكاكا حتى لا ينجد أحد من سكان دومة أهل سكاكا وفي ذلك يقول الشاعر العوني :

جينا أهل ثلاثماية جميًا نحثهن   نبغى نعدل مايل ويسار
قالوا لنا ابن مويشير في الجوف حارب   وصكت عليه الديرتين وحار
وقال أبو مشعل عيب على مثلي لا هدينثني   إذا شاف نيران الحروب كبار

وكان ذلك في جمادي الأخرة عام ١٣٣٧ هـ

ولكن ابن شعلان .. جمع رجاله .. واستعان بعودة أبي تايه شيخ الحويطات في الأردن وقبيلة الشرارات وآل حازم وأرسل يستنجد بالسلطان عبد العزيز بن سعود فكتب إليه :

إني صديق لك ولابن رشيد ولست مشاركًا أحدكما ضد الآخر في هذه الحرب ولكني أنصحك بالتحصن في حصون الجوف وتتخذ خطة الدفاع ولا تهاجم ابن رشيد ولا تشتبك معه في حرب خارج الحصون لأن جنده مدربون على القتال وجنودك من أهل البل «الإبل». لا يركن إليهم. ولا هم في القتال أقران لشمّر .. ولكن النوري لم يعمل بهذه النصيحة واشتبك مع شمّر في القتال فكان من الخاسرين واستعاد الأمير سعود بن الرشيد إمارة الجوف وحاصر النوري ابن الرشيد وكذلك ابن مويشير الذي يظهر أن ابن الرشيد استماله حتى كاد يقضي عليهما فما كان من ابن رشيد إلا أن أرسل ابن عمه عبد الله بن طلال ليستنجد شمّر المقيمين في الجزيرة الفراتية وأطراف العراق وليأتيه بمدد من حائل وبعث معه إلى شمر قصيدة نظمها العوني على لسان ابن رشيد .

راكب فوق حر بذعره ظله   مثل طير كفخ من كف قضّابه
سر لشمّر وخبّره لابتي كله   لا بتي باللقا يادي من لابه

وكذلك قصيدة أخرى مدحهم فيها :

---

(١) نفس المصدر السابق.

ويشهد لقولي يوم حاندب شيخم   وهم قبل عضبانين عليه جهار
لفوه من شط الفرات عصايب   على حـــيـــل بجنين انهار

فأمدت شمر ابن رشيد فانهزم ابن شعلان وبقي ابن الرشيد في الجوف ولكن سعود بن رشيد قتل وبدأت السلطة في حائل مترددة مقلقلة وبتشجيع من الأمير عبد الله في الأردن استعاد الشعلان نفوذه على سكاكا والجوف عام ١٣٤٠ هـ بدون حرب لأن أكثر جنود ابن الرشيد عادوا إلى حائل .

أحس رجاء المويشير أن ابن الشعلان يريد به شرًا وأنه يتحين الفرص للقبض عليه .. لذلك قرر أن يبذل فاعلية كبيرة وأن يترك ديرته ويسكن جوار الضويحي في الضلع لحماية نفسه.

لذلك أرسل صديقه رئيس قبيلة آل كريع ـ والدي عطا الشايع ـ إلى السهيان من الضويحي يقول لهم : أنا خائف من ابن الشعلان أن يسوّي علينا غدر... وغير واثق منه ... وقد ظهر لي منه بوادر الغدر وأحب أن انتقل أنا واخوي إلى عندكم .

عندما بلغ آل السهيان ذلك طلبوا إلى والدي أن يبلغ رجاء : «نحن ما لدينا مانع ولكن نرجو أن تبلغ رجاء وأخوه حمد أن يقوموا وينتقلوا إلى اقربائهم أي أخوالهم آل قايد «راشد وقايد وقضيب» وذلك ليتعاونوا ويتضامنوا معهم ضد ابن الشعلان ... فلا يستطيع وهم حلفاؤه أن يفعل شيئًا معهم ـ هذا رأينا إذا أعجبهم .. أما إذا أرادوا المجيء الينا فحبًا وكرامة ـ حياهم الله.

وكذلك أرسل رجاء زوجة أخيه حمد المدعوة عشقه على عرفج آل جابر من الضويحي فعادت بنفس الجواب وهكذا أصبح كلام السهيان وآل جابر متشابه .. وهدفهم أن يتجمع آل قايد مع قبائل المعاقلة وأكثر قبائل سكاكا ضد نوري الشعلان، كما أن هناك معاهدة بين آل قايد وابن شعلان وآل فالح

ولما كان شروق الشمس من اليوم التالي دخل رجاء ومن معه على آل قايد وقال لهم ما الخبر قالوا : نحن خائفون من ابن شعلان وعندما استقروا في منزل آل قايد شرحوا لهم الموضوع فقالوا لهم : لا يصيبكم إلا ما أصابنا ونحن لكم وأنتم لنا .

بهذا العمل أسقط بيد نوري الشعلان الذي كان يدبر الغدر لآل المويشير فأرسل إلى آل قايد قائلاً :

الأحسن أن تسلمني الجماعة الذين دخلوا عندكم ويقصد رجاء وحمد. ولكن راشد رفض ذلك وقال لا يمكن تسليمهم وأي شيء يحصل عليهم أعرف أنه حاصل علينا.

وهكذا أضطر الشعلان إلى ترك آل المويشير. وعدم الانتقام منهم رغم حكمه للجوف ولكنه استمر في إذلال الجوف. فعين في سكاكا ودومة العبد المدعو دوجان وأوصاه بالحذر وقد توفي العبد دوجان منذ عدة سنوات بعد أن عاش في عذرا بجوار دمشق بلدة آل الشعلان.

وساعد ابن شعلان سنة ١٣٤٠ هـ على الاستقرار في الجوف سقوط حائل بيد الملك عبد العزيز آل سعود . وخاف نوري على الجوف فأرسل حفيده سلطان الشعلان لحكم منطقة الجوف واتخذ من إحدى قلاع قريات الملح مركزًا له.

يقول فؤاد حمزة في كتابه قلب جزيرة العرب :

كان ابن الشعلان بعد سقوط حائل مذبذبًا. فإن أرسل ابن عمه مقحم «مجحم» إلى ابن سعود طالبًا موالاته كما أنه فاوض عبد الله في شرق الأردن، كما فاوض الفرنساويين وغيرهم غير أن أهل سكاكا أعلنوا ميلهم لابن سعود ورغبتهم في الانضمام إلى بلاده وتألفت لذلك الغرض هيئة برئاسة حمد بن مويشير وثارت على سلطة الشعلان فرحل سلطان من الجوف تاركًا وراءه عيدًا له.

وجاءت قوة من الإخوان إلى وادي السرحان واشتبكت مع قوات سلطان بقريات الملح وكانت هذه القوة طليعة لقوات الإخوان الكبيرة التي استولت على الجوف وسكاكا وما جاورهما، ووادي السرحان[1].

---

(١) قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة.

ولقد ذكرنا المفاوضات التي حدثت بين الأردن والسعودية في مجال الجوف ولا مجال لاعادة ذكرها ولكنها تشير إلى اهتمام المغفور له الملك عبد العزيز بالجوف .

ويذكر الأستاذ وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام «أن العاهل السعودي طلب من آل الشعلان الجوف فتخلى له عنها مقابل منحة اختلف المؤرخون حولها» ... ولذلك لم يحاول نوري وحفيده سلطان استعادة الجوف بعد أن ثارت عليه عام ١٣٤٠ هـ ودخلها الأخوان سيما وأن نوري تعاون مع الفرنسيين بدمشق واقنعوه أن الجوف غير واقعة تحت انتدابهم وأنهم لا يستطيعون حمايته في الجوف...[١] .

وبذلك استقر الجوف ضمن المملكة العربية السعودية فقلاقل آل الرشيد في حائل وثوراتهم على حركة التوحيد أنتهت وآل الشعلان أصبحوا تحت النفوذ الفرنسي لا يستطيعون حراكاً حتى لا يتحرك أنصار انكلترا ويتعاونون مع العناصر الوطنية ضد فرنسا والانتداب الفرنسي في سورية ... وقد ازداد مركز آل شعلان في المملكة بزواج المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود إبنه نوري الشعلان توثيقًا للعلاقات لأن أكثر بدو الجوف من الرولة الذين قال عنهم وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام :

«الرولة أكبر قبائل عنزة عددًا واعظمها قوة وأوسعها نفوذًا كما أنها أحفظ القبائل للتقاليد البدوية وأعرقها في القشافة وأشدها تعلقًا بالأباعر والقفار وأكثرها توغلاً في النجعة. وتاريخهم طافح بالأحداث عن تناحرهم مع العشائر النجدية والشامية[٢] .

---

(١) عشائر الشام ـ وصفي زكريا.

(٢) نفس المصدر السابق.

الفصل الثامن :

إمارة الجوف في العهد السعودي

الدولة السعودية الأولى وحتى العصر الحالي

كانت الجوف قبل الإسلام المركز الرئيسي للمملكة تمتد من شمال النفود حتى منطقة حلب شمالاً والحيرة شرقًا والبلقاء غربًا. هذه المملكة على أساس قبلي ورئيس القبيلة الحاكم يسمى ملكًا ثم أصبحت في العصر الاسلامي ولاية تتبع المدينة في العهد الراشدي ودمشق في العصر الأموي والعباسي وقد سيطر عليها القرامطة عند احتلالهم الحجاز حتى تحررت منهم زمن الحكم الفاطمي والأيوبي والمملوكي ولكن سكانها الجدد كانوا حلفاء يتعاملون على الأساس القبلي مع آل فضل المسيطرين على بادية الحجاز وشمال نجد حيث اندمجت بقايا طئ في دومة الجندل وسكاكا وكلب في حلف مع آل فضل وأمراء كل العرب وفي علاقات جيدة مع الأشراف في الحجاز وقبائل نجـد .

في القرن السابع عشر اندفعت قبائل عنزة العدنانية كما مر في بداية الأبحاث التاريخية والقبلية إلى منطقة الجوف وشكلت القسم الأكبر من سكانه في البوادي وكذلك في المدن سكاكا ودومة الجندل .. واندفع السكان إلى تأييد حركة التوحيد بقيادة الأسرة السعودية العادلة ... وهكذا أصبح آل سعود يعينون للجوف الأمراء والقضاة والعمال وكانت وظيفة الأمير جمع أموال الزكاة وحل المنازعات بين القبائل وإقامة أمور الدين والدنيا ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحد ضمن حدود كتاب الله وسنة نبيه ويساعد أمير المنطقة قاض يعينه الملك ويمثل السلطة التشريعية الإسلامية.

يقول أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب، كان الجوف ووادي السرحان يتبع أمراء الجبل. وبعد سقوط إمارة آل الرشيد ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م بيد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن سلطان نجد أصبحت الجوف في حوزة ابن سعود . وإن كان سكان سكاكا والجوف قد أعلنوا ولاءهم للسلطان قبل زوال إمارة آل الرشيد .. وإن بادية منطقتي الجوف ووادي السرحان من عنزة الرولة ورئيسها النوري بن شعلان في ذاك الوقت ـ وقد اعتقد نوري الشعلان أن سقوط إمارة الجبل مناسبة لفرض سلطانه على الجوف لذلك أرسل ابن الدخيل موفدًا من قبله لمفاوضة الإمام عبد العزيز...

ولكن الإمام عبد العزيز لم يكن ليوافق أن يتسلم الجوف نوري الشعلان المتعاون مع الفرنسيين وأصر على بقاء الجوف تابعًا لنجد وأرسل إلى نوري الشعلان مبلغًا من المال وبيّن له أنه يعتبر كل فروع قبيلة عنزة تابعة لابن سعود سواء كان ذلك في العراق ـ يقصد ابن هذال ـ أو في سورية. وأن الجوف ووادي السرحان سيبقى تابعًا لسلطان نجد[١].

وفي المفاوضات بين نجد والعراق حول الحدود فإن السلطان عبد العزيز طلب توسيع حدود الجوف لتصل إلى سورية مقابل تنازل السلطان عن أرض لعنزة في بادية السماوة تملكها العمارات والضفير ... للعراق ... وبالفعل فإن المندوب السامي البريطاني أرسل برقية إلى وزير المستعمرات البريطاني تشرشل يقول فيها إن ابن سعود طلب منه مقابل التنازل عن أراضي قريبة من الحدود العراقية أن تكون قريات الملح ومادونها تابعة لنجد .

وعلق أمين الريحاني على هذه البرقية بقوله .. «نأخذ من ابن سعود في نجد لنعطي العراق ونأخذ من الأردن لنعطي ابن سعود ونأخذ من الحجاز لنعطي الأردن وهكذا» .

وعند انتهاء مفاوضات القطيف وتوقيع اتفاقية الحدود ١٢ ربيع الثاني بين العراق والكويت ونجد ـ وفي هذا الإتفاق لم يحضر مندوب عن الأمير عبد الله أمير الأردن

(١) ملوك العرب ـ للريحاني.

ورغم أن أرض العمارات أصبحت مجزأة بين العراق والمملكة وأرض الكويت قد تقلصت بمنطقتين محايدتين .. فإن مشكلة الجوف لم تحل وقد قام الأمير عبد الله بارسال قوة من بني صخر والحويطات فاحتلت قريات الملح لذلك أرسل السلطان عبد العزيز قوة من الإخوان لإخراج رجال الأمير عبد الله من قريات الملح. فما كان من عبد الله إلا أن طلب حماية الحكومة البريطانية التي طلبت من الإمام السلطان عبد العزيز أن يوقف زحفه على الجوف ووعدت بتسوية الخلاف بالوسائل السلمية ـ ودعت إلى عقد مؤتمر في الكويت للعراق والأردن والإمام سلطان نجد والملك حسين ملك الحجاز (قبل دخول الحجاز في طاعة الملك عبد العزيز) وذلك للبحث في مشاكل الحدود بين العراق ونجد، ونجد والأردن إذا شاء الملك عبد العزيز..

وهكذا بدا أن أهم مشكلة تواجه المؤتمر هي مشكلة الجوف بعد أن سويت مشكلة الحدود بين العراق ونجد في مؤتمر القطيف.

في الجلسة الأولى للمؤتمر أعلن الوفد الأردني أن الخلاف الظاهر بين حكومة السلطان عبد العزيز وحكومة الأردن هو الجوف ووادي السرحان «قريات الملح» ودعا المندوب الانكليزي إلى تسوية الخلاف بالوسائل السلمية .

في الجلسة الثانية بدأ مندوب الأردن مطالبًا بقوله : إن شرق الأردن هي ثمار استقلال سورية وأن الجوف وسكاكا وما يتبعها ضرورية للأردن ولمواصلاته مع العراق وطلب أن تكون الجوف وكل المناطق التابعة لها تحت إشراف أمير الأردن.

أما الجلسة الثالثة فقد خرج المندوب الاردني عن طوره وقال إن الجوف وسكاكا وتوابعها من الاراضي السورية التي تبدأ حدودها من مدائن صالح وتنتهي عند البوكمال على نهر الفرات. وأن شرق الأردن كانت جزءًا من سوريا فيجب أن تكون الجوف تحت إدارة الأردن[1]

---

(١) نفس المصدر السابق.

وهنا طفح الكيل فردّ عليه مندوب سلطان نجد بقوله : الجوف وسكاكا ووادي السرحان جميعه يتبع نجد منذ القديم بينما الأردن أقضية تابعة للكرك والقدس ولم يتبع الجوف إداريًا أو سياسيًا للأردن بأي يوم من الأيام.

إن سلطان نجد لا يوافق على اتصال حكومة شرق الأردن بالعراق على حساب منطقة الجوف ويطلب أن تكون حدود نجد متصلة بحدودها مع سوريا حتى تكون تجارة نجد آمنة. فحفظًا لكياننا الاقتصادي (اقتصاد نجد) وحماية لأوضاعنا التجارية نطلب أن يكون الاتصال بين سورية ونجد أساسًا لأي إتفاق بيننا وبين الأردن. وهنا اقترح الكولونيل نوكس مندوب انكلترا إجراء استفتاء بين أهالي الجوف وقريات الملح فقبل الوفد السعودي ذلك على أن يعمل بهذا المبدأ في كل الأماكن المتنازع عليها على حدود نجد والحجاز في تربة وخرمة وهنا سقط في يد المندوب الأردني حيث أن أهالي الجوف وسكاكا ووادي السرحان يميلون إلى حكم سلطان نجد بعيدًا عن الانتداب البريطاني الذي يسيطر على الأردن والانتداب الفرنسي الذي يسيطر على سوريا ويتعاون معه نوري الشعلان. لذلك عرض الوفد الأردني أن يكون الجوف ووادي السرحان منطقة محايدة فرفض مندوب سلطان نجد السعودي وعاد الأمر إلى السلاح مرة ثانية وبدأ الأمير عبد الله يشجع الحويطات وبني صخر على مهاجمة الجوف ووادي السرحان والاعتداء على قبائله. لذلك قام السلطان عبد العزيز بتعيين عبد العزيز بن بن مساعد بن جلوي أميرًا لحائل بدلاً من إبراهيم السبهان وجعل المنطقة الشمالية والتي تضم القصيم ـ الجوف ـ خيبر ـ تبوك تحت إمرته. وزوده بالقوة الكافية والصلاحية الواسعة لوقف تعديات القبائل الأردنية. وفي نفس الوقت أرسل قائده عبد الله بن محمد بن عقيل مع قوة كبيرة أميرًا على الجوف تحت سلطة ابن جلوي وذلك للتصدي لغارات القبائل الأردنية المدعومة من الأمير عبد الله وقد قام جماعة من قوم سليمان بن جازي من شيوخ حويطات الشمال بالاغارة على قافلة لتجار نجد في طريقهم إلى الشام فقتلوا ثمانية من رجالها ونهبوا من الإبل ما يزيد على سبعمائة. وكذلك فعل بنو صخر حتى بلغت المنهوبات بموجب اللائحة التي قدمت في مؤتمر الكويت الف بعير ومن الخيل أربعين جوادًا ماعدا الحمول التي تقدر بثمانين ألف ليرة

عثمانية وزادت الاعتداءات حتى أصبحت قيمة الأحمال ١٨٠ الف ليرة عثمانية ذهبية وذلك حسب البيانات التي قدمت إلى المحكمة العشائرية عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٠م.

لذلك طلب الملك عبد العزيز أن تغرّم قبيلة بني صخر ٢٠٠ ألف لبرة ذهبية ضمانة لسلامة التجارة بين نجد وسوريا وبما أن حكومة عمّان لم تكترث للطلب فقد قام الإخوان من أطراف وادي السرحان ويتراوح عددهم من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ بالتقدم في الأردن والتقوا بطريقهم بمجموعة من جنود الأردن عددهم خمسة وعشرون يسيرون مع حمولة إلى قصر الأزرق يحملون المؤن والذخيرة إلى الحامية فيها ـ فذبحوهم إلا واحدًا وغنموا الحملة كلها ... ثم تقدموا غربًا فهجموا على الطنيب وأم العمد والفسطل واليادودة وكادوا يصلون إلى العاصمة الأردنية بعد أن اجتازوا خط سكة الحديد الحجازية.

كان الأمير عبد الله متغيبًا فصدرت أوامر الحكومة بالدفاع فبادر حرس البادية وفي مقدمتهم الصخور والحويطات إلى الاشتباك مع الإخوان في معركة دامية دامت بضع ساعات أشرف فيها الكولونيل بيك باشا القائد الانكليزي للجند النظامي العربي والتابع لانكلترا على المعركة ـ ولمّا رأى أن جنده بدأ ينهزم أرسل الطائرات والسيارات المدرعة .. فحلقت الطائرات فوق الجموع المتلاحمة وشرعت ترميهم بالقذائف كما أن السيارات المدرعة أطلقت عليهم النيران من المدافع الرشاشة ..

قبل مجيئ الطائرات وقع من الطرفين نحو مائة قتيل وعند اشتراك الطائرات والآليات زاد عدد القتلى من الطرفين إلى أربعمائة أمطرتهم الطائرات بنيرانها دون تفريق بين الإخوان وأعدائهم .. ولولا الطائرات والسيارات المصفحة والتي تديرها أيدي إنكليزية لاكتسح الإخوان النجديون الأردن ورفعوا أعلام التوحيد فوق روابي عمان ... وتراجع الإخوان إلى قريات الملح وشكر عبد الله عند عودته إلى عمان الحكومة البريطانية على ما صنعت لأجله.[1]

---

(١) المصدر السابق نفسه.

وعلى إثر ذلك وبعد توحيد مملكة الحجاز وسلطنة نجد وإمارة عسير والاحساء في حكم مركزي واحد صدر عن الملك عبد العزيز عام ١٣٤٦ هـ أمر ملكي قسم مناطق المملكة إلى إمارات محددة فقامت على إثره إمارة الجوف وقريات الملح وكان الأمر الملكي على الشكل التالي :[١]

١ ـ إمارة قريات الملح وجزء من وادي السرحان من الشمال الغربي وقراها : كاف إثره ـ منوه.

٢ ـ إمارة الجوف أو وادي السرحان الأدنى وكانت مرتبطة بإمارة شمر ثم نقلت إلى اشراف مكة وقراها : الجوف المعروفة باسم دومة الجندل وسكاكا.

٣ ـ إمارة تبوك ـ يتبعها عربان الحويطات وبني عطية.

٤ ـ إمارة العلا ويتبعها عربان هيثم وولده علي وبعض عربان حرب.

٥ ـ إمارة ضبا ـ وقراها المويلح والخريبة وحقل ويبعها عربان الطقيقات وكافة حويطات التهم.

٦ ـ إمارة الوجه : ويتبعها عربان بلي.

٧ ـ إمارة ينبع : ينبع النخل ويتبعها عربان جهينة.

٨ ـ إمارة المدينة ـ ويتبعها الحروب من صبح ـ والأحامدة وذوي عبد الله بن مطير.

٩ ـ إمارة رابغ ـ ويتبعا مسروح من حرب الحجاز.

١٠ ـ إمارة القضيمة ـ بين رابغ وجدة.

١١ ـ إمارة جدة ـ من القضيمة حتى جبل السعدية جنوبًا من المحجر الصحي.

١٢ ـ إمارة مكة : ويتبعها وادي فاطمة المعروف ببطن مر ومر الظهران.

١٣ ـ إمارة الطائف : وتتبعها حرّة أليس ـ وسهل ركبة ـ وكانت تتبعها بلاد غامد وزهران.

---

(١) قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة.

١٤ ـ إمارة المويلح : بين الوجه وينبع ويتبعها بعض أقسام جهينة.

١٥ ـ إمارة غامد وزهران.

١٦ ـ إمارة بني شهر : مركزها بلدة النماص .

١٧ ـ إمارة الليث : ويتبعها ديرة ذوي حسن.

١٨ ـ إمارة القنفذة....[١].

(١) المصدر السابق نفسه.

إمـــارة الجـــوف

الاقسام الإداريـــة

تتكون إمارة الجوف في سكاكا من :

١ ـ إمارة دومة الجندل.

٢ ـ إمارة الشويحطية ـ وتتوسط أماكن القطن في البادية ويسكن حولها عربان الرولة والشرارات .

ويلحق إمارة الجوف التي مركزها سكاكا اثنا عشر مركزًا

١ ـ الطوير.

٢ ـ فارة.

٣ ـ المرير.

٤ ـ الطيري.

٥ ـ النبك أبو قصر

٦ ـ طبرجل.

٧ ـ العسافية.

٨ ـ زلوم .

٩ ـ خوعا.

١٠ ـ الشقيق

١١ ـ ميقوع.

إضافة إلى مدينة سكاكا.

ويتبع إمارة الجوف من القرى والهجر :

سكاكا القاعدة ـ الجراوي ـ الشويحطية ـ الطبري ـ العسافية ـ اللقائط ـ الميسري ـ المرير ـ النبك أبو قصر ـ حدرج ـ خوعاء ـ دومة الجندل ـ شيبة ـ

صبيحا ـ طبرجل ـ قارة ـ مويسن ـ النباج .

أما موارد المياه في الإمارة :

أبيط ـ الجبعاوية ـ أويسط ـ الرغيفات ـ الزهريات ـ الشعيرة ـ الفياضة ـ المروت ـ المجيفلة ـ المريقب ـ خبر العروس ـ شفار ـ صديع ـ صفان ـ صوير ـ عرفجاء ـ فيضة أم طرفاء ـ فيضة أم عين ـ مغيراء ـ ميقوع ـ مشاش حاضل ـ مشاش القراوعة ـ مشاش العود ـ مليح ـ هديب[1] .

---

(١) عن كتاب المعجم الجغرافي لشمال الجزيرة العربية.

امراء الجوف في عهد الملك عبد العزيز آل سعود
وخلفاؤه حتى الوقت الحاضر

١ ـ عساف آل حسين أول ذو القعدة ١٣٤٠ هـ حتى شعبان ١٣٤٣ هـ.
٢ ـ عبد الله العقيل آخر رمضان ١٣٤٣ هـ حتى ذو الحجة ١٣٤٥ هـ.
٣ ـ تركي بن أحمد السديري ذو الحجة ١٣٤٥ هـ حتى الأضحى ١٣٤٦ هـ
٤ ـ عبد الرحمن بن سعد بن سعيد ١٣٤٦ هـ حتى ذو الحجة ١٣٤٨ هـ
٥ ـ إبراهيم النشمي ذو الحجة ١٣٤٨ هـ حتى رمضان ١٣٤٩ هـ.
٦ ـ تركي السديري للمرة الثانية رمضان ١٣٤٩ هـ حتى نهاية ١٣٥١ هـ.
٧ ـ عبد العزيز أحمد السديري أول ذو الحجة ١٣٥١ هـ حتى نهاية ١٣٥٧ هـ
٨ ـ محمد أحمد السديري ١٥/ ١/ ١٣٥٧ هـ حتى ٥/ ٩/ ١٣٦٢ هـ.
٩ ـ عبد الرحمن بن أحمد السديري ٥ رمضان ١٣٦٢ هـ حتى الآن .

القضاة بالجوف في عهد الملك عبد العزيز آل سعود

اعتبارًا من عام ١٣٤٠ هـ حتى ١٤٠٣ هـ وأسماؤهم كالتالي

١ ـ فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم «من أهالي حائل».

٢ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز بن مونس «من أهالي شقراء».

٣ ـ فضيلة الشيخ عبد الله بن دهيش «من أهالي العارض».

٤ ـ فضيلة الشيخ عطا الله بن السعيدان «من أهالي دومة الجندل».

٥ ـ فضيلة الشيخ عبد الله الخليفي «من أهالي حائل».

٦ ـ فضيلة الشيخ علي الأحمد «من أهالي حائل».

٧ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز الفوزان «من أهالي القصيم».

٨ ـ فضيلة الشيخ حمد الناصر «من أهالي القصيم».

٩ ـ فضيلة الشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك «وصل الجوف وفتح باب العلم فيه عام ١٣٦٢ هـ في أول رمضان وتوفي بالجوف رحمه الله».

١٠ ـ فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب.

١١ ـ فضيلة الشيخ محمد بن سليم «فترة قصيرة وهو الآن يعمل في رئاسة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية».

١٢ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز بن خلف.

١٣ ـ فضيلة الشيخ سليمان الربيش «مدة ثلاثة شهور انتداب».

١٤ ـ فضيلة الشيخ محمد بن خلف.

١٥ ـ فضيلة الشيخ زيد بن رشود «ويعمل حاليًا في رئاسة هيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية».

١٦ ـ فضيلة الشيخ محمد العسكري.

١٧ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز المهيزع.

١٨ ـ فضيلة الشيخ عبد الرحمن ابن إبراهيم العريني.

١٩ ـ فضيلة الشيخ حمود البليهد.
٢٠ ـ فضيلة الشيخ عبد الرحمن الخليفة.
٢١ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز محمد بن مبارك.
٢٢ ـ فضيلة الشيخ عبد الله الحمود العقلاء وهو الآن في محكمة الطريف.
٢٣ ـ فضيلة الشيخ الزريد.
٢٤ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز الوهيبي «قاضي مستعجلة».
٢٥ ـ فضيلة الشيخ أحمد بن سعد الغامدي «قاضي مستعجلة».
٢٦ ـ فضيلة الشيخ الملازم عبد السلام بن شفق المرزوق.

وقد توسعت المنطقة وفتح فيها محكمة كبرى ومحكمة مستعجلة. ومحكمة في دومة الجندل.

بالإضافة إلى كتابة عدل الجوف ورئيسها فضيلة الشيخ إسماعيل بن بلال الدرعان ومساعده فضيلة الشيخ فلاح الشراري. وكذلك في دومة الجندل خلاف المحكمة كتابة عدل وقد توسعت المحاكم في أنحاء المملكة من عهد الملك عبد العزيز حتى اليوم.

أما قبل حكم المرحوم عبد العزيز بن سعود فكان المسئول عن الشئون الدينية في منطقة الجوف هو الشيخ جذاع البديوي من عائلة البديوي المشهورة بالجوف.

الفصل التاسع :

الجوف ـ وقبيلة عنزة العدنانية

عنزة ، أعظم القبائل العدنانية بل العربية عددًا وأعلاها شأنًا وأمنعها جانبًا وأكثرها انتشارًا ويرتقي نسبها إلى عنز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

والمعروف بين البدو أن جد عنزة هو عنز بن وائل أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل وأن بني وائل هم بطن من ربيعة العدنانية ومن هنا كانت تسميتهم ببني وائل ويخطئ من ينسبهم إلى قبيلة تغلب المعروفة في الجاهلية والتي منها الحمدانيون بالموصل وحلب إذ لا علاقة بين ديار هؤلاء وأولئك ولا صلة بين ماضيهما. وهم كثيرون لا يكادون يحصون وكل فرع منهم يماثل في عدده أكبر العشائر.

إن مواطن عنزة في الأصل بين أواسط نجد وشمالي الحجاز وكانت عنزة وأسد متصلتين بحي ربيعة نسبًا ومتحدتين ومتجاورتين كل التجاور في شمال وادي الرمة. وكان الحاج من البصرة إلى المدينة يمر بأرض القبيلتين المذكورتين وفي عام ٣٢٥ هـ قامت عنزة بطرد بني كلب وحلفائهم القضاعيين من الجزيرة فاتجهوا إلى بلاد الشام ومنهم قسم من السرحان الذين هاجروا إلى حوران وتوسعت عنزة نحو الشمال باتجاه أراضي كلب .. وفي القرن الخامس الهجري طردت قسمًا من طي فاندفعوا إلى البصرة والقوا الإمارة الطائية فيها ، وكذلك إلى ناحية الفرات وحوران وفلسطين وأما في القرن السابع الهجري فقد طردوا بني صخر الذين هاجروا إلى الأردن وفلسطين.

أما في القرن العاشر فقد تقدموا باتجاه بلاد العراق والشام[١] .

---

(١) عن كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا.

وهكذا استقرت عنزة في بلاد الشام والعراق وشمال الحجاز وغرب نجد، ومنها فروع تحضرت واستقرت في بلاد معينة من نجد وساحل خليج البصرة، وأكثر عنزة مازال على بداوته مثل الرولة والمحلف وولد علي والعمارات والسبعة والفدعان والحسنة حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري وبعضها انتقل إلى حياة الحضارة في نجد وساحل الخليج حيث قامت ثلاث عائلات حاكمة من أصل عنزي هي الأسرة السعودية المالكة في نجد والجزيرة العربية، وأسرة آل الصباح أمراء الكويت وآل خليفة في البحرين. والمتحضرون من عنزة يسكنون في نجد، في العارض والحريق والحوطة والأفلاج الداخلية والقصيم وبريدة وعنيزة، وقسم كبير من عرب عنزة يسكنون في هجر أنشأها لهم الملك عبد العزيز آل سعود[١].

ويقول المسنّون إن جدهم الأعلى (وائل) أعقب ولدين عنز ومعاذ فعنز هو أبو اعنز، ومعاذ أبو قبائل حرب التي مازالت في الحجاز. وفي قول آخر إن أخا عنز هو عطية جد العطيات القاطنين حول تبوك. ويلاحظ أن أولاد عنزة وعطية وأسد لا يتحاربون إلا عند الضرورة، ويقدرون صلة الدم.

ثم يقول النسابون إن عنز أعقب ولدين هما مسلم وبشر. فسلم هو أبو ضنأ مسلم ولهذا الضنأ بطنان : الجلاس والوهب، فمن الجلاس أفخاذ عشائر الرولة والمحلف، والمحلف هم عشائر الأشاجعة والعبدالله والسوالمة حلفاء الرولة.

ومن بطن الوهب افخاذ أو عشائر ولد علي والمنابهة ـ فبعض ولد علي في بلاد الشام وبعضهم في بلاد الحجاز واسمهم الأيدا في شمال الحجاز وغربي نجد وعشيرة الحسنة وتعد من المنابهة وأكثرها في بلاد الشام. ثم بشر وهو أبو ضنأ بشر ولهذا الضنأ بطنان عبيد وعمارة فمن بطن عبيد عشائر السبعة والفدعان وولد سليمان والسبعة والفدعان في شمال الشام والولد سليمان في شمال الحجاز ومن بطن عمارة عشائر العمارات التي انحازت إلى العراق وصارت تعد من عشائره.

---

(١) عشائر الشام ـ وصفي زكريا.

في عام ١٢٩٣ هـ جالت السائحة الانكليزية الليدي بلانت بين العشائر وكتبت إن البيوت الشريفة في عشائر بادية الشام هي إن ملحم أمير الحسنة وابن جندل أمير السوالمة وابن الطبار أمير ولد علي. وإبن هذال أمير العمارات وابن سمير أمير ولدي علي. ثم يأتي بعد هؤلاء ابن صفوق شمّر الجربا وشيوخ طي آل عساف وابن هديب من المواجة من السبعة العبدة والمهيد أمير القدعان والمرشد أمير السبعة البطينات)[١].

وعراقة نسب شيوخ طي وشيوخ شمر الجربا لا تقل عنها في البيوت الخمسة الأولى[١] ويقول وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام : إن آل هذال كبير العمارات في ذروة التقدم على جميع رؤساء عشائر عنزة في الشام والعراق وآل محمد الجربا على جميع رؤساء شمّر وآل غبين في الفدعان من عنزة أقدم بيت في عنزة[٢].

أما السائح السويسري بركهارت الذي زار بلاد الشام ١٢٢٤ هـ فقال ما خلاصته : أما عنزة فأكبر عشائر بادية الشام وإذا جمعت مع أقاربها في نجد صارت من حيث العدد أكبر العشائر العربية طرًا وهي الآن على صلات حسنة مع العثمانيين لحفظ طريق الحج[٣].

أما السائح الألماني التشيكوسلوفاكي موزل. فقد ألف كتابًا عن الرولة بعد أن عاش معهم وتسمى باسم الشيخ موسى.

ويقول الكولونيل بيك في كتابه تاريخ عشائر الأردن إن عنزة قدمت إلى بلاد الشام في حدود ١١١٢ هـ إلا أن الأمير ملحم الشهابي في كتابه الغرر الحسان يجعل مجيئهم قبل ذلك بمائة سنة. وكذلك الموسوعة الإسلامية. ومع هذا فإن عنزة قد توطنت في بادية حمص «الحسنة» قبل ١٢٢٤ هـ وقال إنها هناك منذ زمن بعيد لم يستطع تحديده.

---

(١) كلام الليدي بلانت الانجليزية.
(٢) عشائر الشام - وصفي زكريا.
(٣) بركهات السويسري.

ومع هذا فإن قبائل عنزة المهاجرة إلى بلاد الشام هي الفدعان والسبعة والعمارات ثم الرولة ... وقد مرت هذه العشائر خلال هجرتها إلى بلاد الشام بمنطقة الجوف وكانت قبائل بني كلب ومنها السرحان قد نزحت إلى سورية في العام ٣٢٥ هـ واستقرت في حوران ثم تقاتلت مع السردية في القرن العاشر فعاد قسم منها إلى الجوف واستقر فيه ومارس الزراعة ولكنهم عادوا في القرن الثاني عشر (١١٦٠) هـ تحت ضغط قبائل عنزة إلى الهجرة نحو الأردن والجولان ثانية[١].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت السيادة على حوران والبلقاء ووادي السرحان والجوف لعنزة.

ثم توجهت عشائر عنزة إلى الشمال وقاتلت عشائر الموالي المتعبة من حروبها مع بني خالد المهاجرين من الاحساء وبني عساف أمراء قبائل طي في الجزيرة وشمرّ القادمة من نجد لذلك لما بلغت الحسنة عمود الحمى عام١١٧١ هـ اخترقت هذا الحد (حد الموالي) ونازعت الموالي على بوادي حمص وحماة وسلمية ثم أخضعت باقي القبائل وفرضت عليها الخوة ووصلت حتى حلب .. وقد عجز ولاة الترك في تلك الحقبة عن صد هذه الحركات فاصبحت عنزة سيدة بادية الشام والعراق.

وفي نفس الوقت كانت شمر نتيجة للقحط والجدب والضيق في بوادي نجد قد وصلت إلى منطقة الوديان كوادي حوران فبدأ التزاحم بين القبيلتين ونتيجة للنزاع اضطرت شمرّ لأن تعبر الفرات إلى الجزيرة الفراتية وتزاحم قرابتها من القبائل الطائية .

وأنه في العام ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م ـ قامت جموع من الفدعان والسبعة والعمارات بمهاجمة البادية السورية وأن والي الشام سليمان باشا السلحدار خرج إليهم بجيشة وأن معركة جرت حول بلدة سلمية التي كانت خرابًا فاندحر جيش والي دمشق بعد خمسة عشر يومًا من القتال[٢] ويذكر (الغرر الحسان) أن خيالة العربان كانوا

(٢) تاريخ عشائر الأردن ـ للكولونيل بيك.

(١) المرجع السابق (عشائر الأردن).

لابسين الدروع ويضربون البارود .

وفي عام ١٢٣٨ هـ ازدادت هجمات شمّر في العراق فرأى والي بغداد أن يستعين بالرولة ضدها فانقذت الرولة بغداد من هجمات شمّر ولكنها ضربت خيامها حول بغداد وطالبت الوالي بأجر كبير لقاء ماتكبدته من الجهد في المسير من بادية الشام وحربها من شمّر فاتصل الوالي بشمر في محاولة لرمي القبائل العربية ببعضها وجرت معركتان كبيرتان ١٢٣٨ ـ ١٢٣٩ هـ كان النصر في الأولى لشمر وفي الثانية لعنزة على شمّر والجيش النظامي العثماني ـ وبعدها استقرت عشائر العمارات في العراق...

وفي عام ١٢٦٧ هـ تحالف السبعة والرولة ضد الحسنة ولكنها لم تؤد إلى معارك دامية ثم تنازعت السبعة والرولة فاستنجدت السبعة بالقدعان وانضوت تحت لواء فارس القدعان عقيدها جدعان بن مهيد وانتصرت على الرولة ومعها حيش والي دمشق النظامي وبقيت عنزة مسيطرة على بادية الشام والفرات وحلب حتى عام ١٢٦٧ هـ عندما اتحد والي بغداد مدحت باشا ووالي حلب ثريا باشا .

وفي عام ١٣١٢ هـ ١٨٩٦ م ـ حصلت معارك بين العمارات وعشائر الفرات مثل العقيدات والبوشعبان لم تعد عشائر الفرات تدفع الخوة بعدها لفترة ولكن سلطة العنزة على بادية الشام بقيت القوية وكان يمثل عنزة خمسة نواب في المجلس النيابي السوري من أصل عشرة مقاعد للعشائر وهم :

ابن فهيد ـ وابن كعيشيش ـ ورا كان المرشد ـ وثامر الملحم ـ وفواز الشعلان.

وذلك عام ١٩٤٣ م في أول مجلس نيابي بعد الاستقلال .

يقول عزة دروزه في كتابه العرب والعروبة عن قبيلة عنزة .

«هي أكبر قبائل الجزيرة العربية على الإطلاق ومنها الملوك والأمراء والفرسان والقضاة والشعراء.

---

(١) الدرر الحسان في حوادث الزمان ـ للشهابي.

منازلها من نجد إلى الحجاز ووادي السرحان والحماد والبادية السورية حتى حمص وحماة وحلب وقد خلفت آل فضل في قيادة العرب وآلت إليها إمرتهم ولا تزال حتى الآن[1] ».

يقول القاضي أبو عبد الكريم حمد الحقيلي :

إن تغلب القبيلة العربية الشهيرة من أولاد وائل بن ربيعة هي الآن مع عنزة وتسمى الآن ضنا بشر.

أما ضنأ عبيد والعمارات ولد علي وبنو وهب فهم بنو شيبان وقبيلة بكر العربية التي هزمت الفرس في يوم ذي قار فهي الرولة والمحلف وكذلك الاشاجعة والسوالمة[2].

واليك أنساب وفروع قبيلة عنزة ماعدا الرولة التي سنأتي على ذكرها مع قبائل سكاكا والجوف.

ويمكن أن نذكر أن قبائل بني حنيفة وبني أسد تنتسب إلى وائل ابن ربيعة من العرب العدنانية وقد دخل قسم كبير منها في عنزة في القرن الحادي عشر الهجري عندما سيطرت حركة التوحيد بقيادة قبائل عنزة على الجزيرة العربية .

وكذلك دخل مع قبيلة عنزة قسم من بني عطية.

وهكذا تكاد قبيلة عنزة تجمع حاليًا كل أولاد وائل بن ربيعة عند العرب ما عدا قلة بقيت في أماكنها أو كثرة تفرقت منذ الفتوح في فارس والعراق وشمال أفريقيا كما بين ذلك إن خلدون في تاريخه الشهير...

وأول بطون قبيلة عنزة هي بطن مسلم وهم كما قلنا بقايا قبيلة بكر التي كانت لها السيادة على بادية العراق وانتصرت على الفرس وكانت من أهم القبائل العربية التي حاربت الفرس مع بني أسد في القادسية وكان لها نفوذ كبير حتى العصر البوبهي

---

(١) العرب والعروبة ـ عزة دروزة :

(٢) زهر الأداب ـ للقاضي الحقيل.

وتنقسم إلى ثلاثة أفخاذ :

أولاً : الرولة : ومنهم الجلاس من ضنأ مسلم وزعيمهم سابقًا ابن شعلان ونخوتهم راعي العليا رويلي ولهم بحث خاص .

ثانيًا : بني وهب ـ وهم ولد علي من ضنأ مسلم وهم البطن الأول وفروعهم :

١ ـ الحامدة ومنهم : البديان ـ الركاب ـ العويمر ـ الخالد ـ الطوالقة ـ الجريدة ـ الربيلات ـ المذادة ـ القرشة.

٢ ـ المشادقة ومنهم : الطيايرة ـ الريخات ـ المحمد .

٣ ـ الجبارة ومنهم : التواجرة ـ الضريغط العليان ـ الرمرم ـ الوحادين.

٤ ـ الطلوح ومنهم : آل مسعر .

البطن الثاني من بني وهب هم المشطة وهم عدة فروع هي :

١ ـ العواط : ومنهم آل الدوخي وآل سمير وفيهم الإمارة.

٢ ـ الدمجان : ومنهم النمران ـ السعدي ـ السعايده ـ الرواحلة.

٣ ـ العطيفات : ومنهم العتيق ـ الروسان ـ الطوالة ـ الوطبان ـ الجبارة.

٤ ـ الجذالمة : ومنهم الوسامة ـ العزمة ـ الطلاح ـ آل مجيبل ـ الدمجان.

٥ ـ المريخات : وهؤلاء قسم كبير منهم في مطير ومنهم امراء مبايض، ومنهم أيضًا الجبارة ـ المجيبل ـ الطوالعة ـ المريخات ـ الربلات .

البطن الثالث من بني وهب أو آل نبهان وهو الاسم الجديد لهم .

ويسمى أيضًا المنابهة أو الأيدا :

١ ـ الأيدا الشمالية : وهم المشادفة ـ الحامدة ـ المشطة ـ ورئيسهم ابن طيار.

٢ ـ الأيدا الجنوبية ـ وهم الشملان ـ الجريدة ـ العبادلة ـ ورئيسهم فرحان الأيدا وارض الأيدا ومستقرهم ـ شمال الحجاز وغرب نجد .

وقد كان المنابهة يقيمون جنوب غرب تيماء ثم انتقل قسم منهم إلى بادية الشام ورئيسهم في بادية الشام ابن ملحم أما في الجنوب. فآل الفقير ونخوة ابن الملحم

وعشيرته (البويضا وأنا أخو فضة).

وقد اشتهر من الأيدا الجنوبية سلطان الفقير وعماش الملقب بالخبازة.

ومن أمراء الأيدا آل الملحم (طراد الملحم). شيخ المنابهة من عنزة كان رحمه الله شجاعًا كريمًا ونائبًا في المجلس النيابي السوري لمدة إثنى عشر عامًا بعد الاستقلال وكانت بادية حمص قبل وصول المنابهة إليها لقبائل النعيم ولما وصلت عنزة «المنابهة» هاجر قسم منهم إلى طرابلس والآخر إلى حلب وأدلب لأن النعيم رعاة شاة.

لذلك حدثت بين شيخ النعيم في حمص وطراد الملحم مساجلات شعرية منها قول الشيخ النعيم المنسوب إلى قيس عبلان :

جدي رسول الله ويانعم الأجداد   في وجه ربع يافتى الجود ما جود

ويرد عليه طراد الملحم :

نبي ربي ما أبو الأحاد   والنص في القرآن تلقاه موجود
جدك أبو لهب على الظلم معتاد   تبت يداه النار والحبل ممسود
حنا الذي ياولد بالكون لكاد   يشهد لنا الشايور والسيف والعود
يشهد لنا الشايور بجنوب الأجياد   ورسن القلايع عندما نجبهن قود
وحنا الذي ياولد للراس جلاد   ورث وراء ورث ورث مالود
ومن دور وائل ما بنا قط سياد   ظلامة وما ظلمنا ثقل عود

ومن المنابهة :

١ ـ آل الراشد ولهم الإمرة في سوريا.

٢ ـ آل السمير.

٣ ـ المصاليخ : والبعض ينسب لهم الأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية وهناك أقوال أخرى ولها بحث خاص في هذا الكتاب.

٤ ـ الحجور.

٥ ـ الصقر.

٦ ـ الشراعبة .

أما أقسام الفقراء من المنابهة فهم :

١ ـ الزوارعة ومنهم المقاضيب ـ والجمعات ـ السفقة.
٢ ـ الخماعلة ومنهم الذيابة ـ الفضيل ـ اليزيد ـ الشهاب.
٣ ـ المردة ومنهم الخرشة ـ القرشة ـ اليعيش.
٤ ـ الكرشان ومنهم الحرصان ـ الجرعات .

وباقي فروع الحسنة في سوريا ويمكن تأليف كتاب كامل عنهم وأهم فروعهم ـ الفيصل ـ العويمر ـ القبلان ـ الجحيم ـ الشمس ـ الشرابة ـ الفضّة ـ إضافة إلى آل الملحم ولهم الرئاسة وأصحاب الإمرة والمركز الأول كما مرّ معنا .

الحجاج : وسموا الحجاج رغم أنهم من المنابهة لأنهم كانوا يحمون الحج في تيماء وحتى تبوك أي الحج الوارد من سوريا وإليها لقاء إتاوة معينة من الدولة العثمانية يدفعها والي دمشق ولكنهم في نفس الوقت يدفعون الزكاة للدولة السعودية الأولى وخاصة زمن عبد العزيز وسعود وفيصل بين الأعوام ١٢٥٠ ـ ١٢٩٠ هـ .

الفخذ الثاني ولد سهيل :

وينتسبون إلى سهيل بن راشد بن سلامة من عنزة من وائل والإمر فيهم لابن هذال وهم بطون كثيرة أهمها : العمارات وتنقسم إلى الجبل والدهامشة.

أولاً : الجبل ويقسم إلى السلقا والصقور والحبلان.

البطن الأول : السلقا ويقسم إلى أولاد محمد وحامد.

أولاد محمد[1] ثلاثة أقسام هي :

١ ـ البجايدة.　　٢ ـ المطارفة .　　٣ ـ الشملان

ـ(١) يقول الشاعر الشايوش بن غثوان بن جابر بن زبار آل كريع :

إحنا ناشئ من محمد　　يرجع نسبنا للعمارات

١ ـ البجايدة : وتقطن في شمال نجد وشرق بادية السماوة وعرعر حتى حدود العراق ونحوتها (خيال البلهاء بجيدي). أو (راعي البلها بجيدي) أقسامها :

١ ـ الدْلَقة　　٢ ـ العبيات　　٣ ـ العداوين

٤ ـ الشخاضرة　　٥ ـ الكخوخ　　٦ ـ العنازة

٧ ـ آل كريع في الجوف ومنهم مؤلف الكتاب .

٢ ـ المطارقة : ويتقاسمون بادية السماوة وشمال نجد مع البجايدة . وأقسامهم :

١ ـ السحالية .　　٢ ـ النصرة.　　٣ ـ الفقعة.

ومن الفقعة السالم والازد والسعيد.

٣ ـ الشملان : وأقسامهم :

١ ـ الجبور　　٢ ـ الرشدة　　٣ ـ آل بشير

٤ ـ الطلوح　　٥ ـ المراجلة.

ثانيـًا : أولاد حامد وهم الحسني وآل مضيان.

الحسني وشيخهم بن تمران ومنهم :

١ ـ الربّاع　　٢ ـ العويضات.　　٣ ـ السويلم.

٤ ـ القماقة.

ثالثـًا : آل مضيان : من أولاد حامد. وأقسامهم :

١ ـ الحمايرة .　　٢ ـ السنيد .　　٣ ـ الحنفة

٤ ـ الزريقة.

القسم الثاني من الجبل الصقور وشيخهم ابن ضلعان وأقسامهم :

أولاً : الدهمان ـ آل دهمان ومنهم :

١ ـ المسعود　　٢ ـ المريبد　　٣ ـ السرحان .

ثانيًا : المصاعب : وأقسامهم :

١ ـ القحطة　　　٢ ـ العتيق　　　٣ ـ النمرة

ثالثًا : الجلال : وأقسامهم :

١ ـ الداغر　　　٢ ـ الغدفان　　　٣ ـ العطيفان

رابعًا : الدلمة : وأقسامهم :

١ ـ الخويتم　　　٢ ـ العقلا

انتهى الصقور

البطن الثالث من العمارات الحبلان وأقسامهم :

١ ـ الجعيثن : ومنهم آل الهذال ومنهم الأمارة وأقسامهم :

ـ العبير

ـ السحيم

ـ الدشاش

ـ الحسن

ـ العدينات

٢ ـ البساسات : ومنهم :

ـ الجداعين

ـ المتاتين.

ـ الشعافين

ـ المعين.

ـ اللحادة.

ـ الهداهدة

٣ ـ الغشوم ومنهم :

ـ السعدي

ـ الجروان

ـ الحسين

ـ السلامة

٤ ـ الهيازع : ومنهم آل حزام.

٥ ـ الختارشة : ومنهم المداميغ أو الخطاشية كما ذكرها القاضي الحقيلي .

القسم الثاني : من أبناء وائل بن ربيعة ـ الدهامشة ـ وهم القسم الثاني من العمارات وزعيم الدهامشة ابن مجلاد. وتنتشر الدهامشة في نجد ولهم فيها استقرار ومساكن وقد هاجر قسم منهم إلى سوريا وأقاموا على صفاف الفرات وأقسامهم .

أولاً : آل محلف وشيخهم ابن حضبيان وأقسامهم :

١ ـ المعينات ٢ ـ الشلخان ٣ ـ الضوايده

٤ ـ آل عياش ومنهم آل معيقل بن على في سكاكا.

ثانيًا : الزبن : وشيخهم ابن مجلاد رُشَيِدْ وأقسامهم :

١ ـ السبابيح ٢ ـ الصرماء ٣ ـ الكميات

ثالثًا : السويلمان وأقسامهم :

١ ـ السلاطين ومنهم القضاة ٢ ـ الحماطرة

٣ ـ الهمل ٤ ـ الجلاعين

ويقسم دهامشة الجوف أبناء معيقل بن علي إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ آل سليمان وإمرتهم لآل جيزان.

٢ ـ آل دغيفق وإمرتهم لآل فالح.

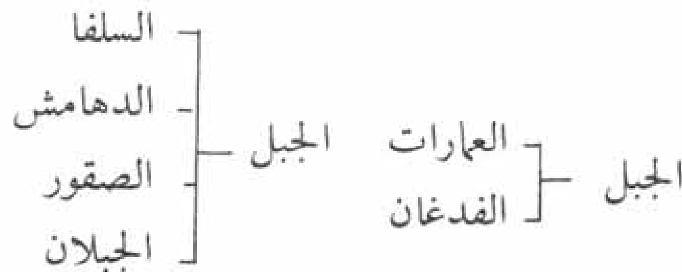
٣ ـ آل كييدان وإمرتهم لابن شردان.

وكان لابن شردان الأمرة على قبائل المعاقلة سابقًا .

القسم الثاني من السبعة العبدة وأقسامهم :

١ ـ المسكا ومنهم المسيب ، العلطات ، النوابغة ، المقيبل.
٢ ـ الدوام ومنهم المنيع ، الجرابيع ، الضويعين.
٣ ـ الوثره ومنهم الخزوم، السليمان.
٤ ـ البيايعة ومنهم المويىنع ، الفريعات ، الشايع ، السعيد، الرويشد.
٥ ـ العبادات ومنهم الكراديش، الجنادرة، الذبيات ، الجماميس.
٦ ـ العرفا ومنهم، المحاوسة ، السلامين.
٧ ـ الرماح ومنهم القعيشيش، الربيق.
٨ ـ الموابقة ومنهم السالم، المحلف، القنابرة[1] .

وينسب الوهوب إلى السبعة ومنهم السراح وقد عدهم سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن من الوهوب. وهم (أي السراح) موجودون في دومة الجندل، وقد قل عددهم بعد أن كانوا من حكام الجوف في عهد سيطرة آل فضل على البادية وشمال الحجاز ونجد. ويقطن بعض السراح بين الحرتين ووادي السرحان بجوار قبيلة بلي شرقًا وشمال الجعافرة من عنزة في تيماء.



(١) زهر الآداب ـ للحقيلي.

الفدعان من ضنا عبيد من عنزة.

توصف بأنها منيعة الجانب بعيدة المنتج جاءت إلى بلاد الشام مع السبعة والعمارات في القرن الثالث عشر الهجري ويذكر الأمير حيدر الشهابي في كتابه الغرر الحسان خبر نزوحها إلى بادية الشام في حوادث ١٢٣٠ هـ حيث يذكر أن والي الشام سيّر جيشًا واستعان بمهنا الفاضل شيخ الحسنة والدربعي ابن شعلان شيخ الرولة لصدها عن بادية الشام فانصرفت حتى شواطئ الفرات ونواحي الجزيرة الشامية[١] وينقسم الفدعان إلى :

أولاً : الولـد :

ينزلون في القيظ الشامية ووادي الفرات وقسم منهم في الجزيرة وادي البليخ وفي الشتاء يعبرون القعرات ويبعدون حتى يبلغوا الحماد وجنوبي الرطبة ـ وزعامتهم لنوري ابن مهيد الذي كان نائبًا في المجلس النيابي السوري لمدة تزيد عن عشر سنوات .

وينقسم الولد إلى :

١ ـ ضنا منيع.
٢ ـ ضنا فريد.

ويلتحق بالولد من القبائل السبعة ـ الأبو خميس ـ العمور ـ الكيار ـ الوهب ـ الحوازم ـ الفراوين.

وللولد مساحات كبيرة من الأرض الزراعية ـ وأعداد كبيرة من الماشية وقرى ولهم قصور فخمة .

ثانيًا : الخرصة :

تصيف في الجزيرة على طول نهر البليخ وتنزح شتاءً في البراري الشامية والقعرة حتى الحدود العراقية .

---

(١) الغرر الحسان ـ حيدر الشهابي .

وتقسم إلى :

١ ـ ضنأ خريص.

٢ ـ ضنأ كحيل .

وزعامتها العليا لابن قعيشيش ومنهم آل مهيد .

القسم الثالث من عنزة ولد سليمان ضنأ بشر :

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام كبيرة وكل قسم يتفرع إلى فخوذ كثيرة :

الأول : ولد سليمان ضنأ بشر :

ولا تزال مساكنهم في أرض عنزة قديمًا شمال الحجاز وغرب نجد بين تيماء وخيبر وبيضاء نثيل ... ولهم في هذه المنطقة هجر ومناهل كثيرة وزعيمهم سابقًا العواجي وهو بطل اشتهر بشعره ومنازلته لرجال شمّر ولا تزال الزعامة لآل العواجي حتى الآن على الجعافرة ويقسمون إلى :

١ ـ المقاطعة : ومنهم العواجية شيوخ الجعافرة

٢ ـ المطاروة ومنهم البكار والمغارين.

٣ ـ الحمْرون ـ أو السهول ويرأسهم ابن حمرون وهم الوقته ـ السحيان ـ الغثمان ـ الناصر ومنهم آآل السبيل .

٤ ـ الضواوية ومنهم الدلاهيم والحمد والحسن.

٥ ـ المريخم ـ ويرأسهم ابن رشدان وهم الهياق والسعد.

٦ ـ القراوعة.	السعيد		المريفدة
٧ ـ آل تمام.	الرواجح	اليتمه	المسارية
٨ ـ آل مبارك.	العوينات		المسيعيد
٩ ـ آل نمران.			

الثاني : ضنأ عليان من ولد سليان ويقال لهم آل عليان وأقسامهم .

١ ـ السلمات ـ ومنهم : الضحوة ـ العوامر ـ الكليب ومن العوامر الجردي ومنهم بالطوير بالجوف ذوي مطر الجروي.

٢ ـ الفضاورة : ومنهم : البراهم ـ المفلح ـ الوفود ـ الكلخة ـ الحبشان.

٣ ـ الخميش : ومنهم : المقبل ـ القرين ـ القعدان.

وقد أضاف أمير الأيدا سعود بن محمد بن فرحان الأيدا أن هجر الأيدا في المملكة العربية السعودية هي :

حفير ـ حفيرة الايدا ـ العشاش ـ وغمرة.

وفخوذهم :

أولاً : أيدا

١ ـ المسعد ومن المسعد :

(أ) المطلق : وفيهم الإمارة.

(ب) والفرحان.

(جـ) والهايس.

٢ ـ المرتجان ومنهم الجواسر.

٣ ـ السند .

ثانيًا : الطوالعة وهم: الكحيل ـ ومنهم الذويبات ومفردهم ذويبة ـ الشقران ومفرهم الأشقر والحريران والخرافية . والزهوات ومفردهم ابن زهوة.

ثالثًا : **الطلوح** ويقسمون إلى :

١ ـ المحفوظ .

٢ ـ الشمايطة ومفردهم شميط.

ومن الشمايطة المساعرة ومنهم أيضًا الوهوب مع قبيلة حرب ويرأسهم ابن سعداء.

رابعًا : الركاب وافخاذهم :

١ ـ الرفيع.

٢ ـ الجميش والقرشة.

خامسًا : الربيلات وأفخاذهم :

١ ـ النوجمة.

٢ ـ الخوا.

٣ ـ الحضرة.

٤ ـ العويدات.

سادسًا : الجريدة ـ وهم :

١ ـ الهوادفة.

٢ ـ النعيمات.

٣ ـ الفروك.

٤ ـ الخالد.

سابعًا : المشطة وهم :

١ ـ الجذالمة

٢ ـ الحفيري.

ثامنًا : الدمجان وهم العايض.

تاسعًا : العطيفات وأفخاذهم :

١ ـ السبايلة.

٢ ـ التليعان.

٣ ـ القطهان.

عاشرًا : الجبارة ومنهم :

١ ـ الوحادين

٢ ـ الظراغطة.

حادي عشر : الضمين

ثاني عشر : الشراعية ومنهم

١ ـ الخشابين

٢ ـ الحـدج.

ويلحق قبيلة ولد علي ـ عشيرة البداونة ويتبعون لمشيخة الأيدا بحلف القديم.

كما أضيف الشيخ ناصر بن غال بن مسعد الفقبر إن الخماعلة والفقراء من ولد علي .

وهجر الفقراء هي الحجر والعذيب شمال العلا واقسامهم :

١ ـ المبارك وفيهم الإمارة للمنابهة التي تجمع إمرة الفقراء والخماعلة.

٢ ـ الشفقة من الفقراء .

٣ ـ الحجـور.

٤ ـ الصقرة.

٥ ـ المغاصب.

٦ ـ الجمعات.

٧ ـ الزوارعة.

أما الخماعلة فأقسامهم .

١ ـ القرارية ومفردهم القرى وأميرهم يحيي القريّ.

٢ ـ الذيابة.

٣ ـ اليزيد.

٤ ـ الخنعان مفردهم الأخنع ووسمهم على الإبل العرفاه.

٥ ـ الدهالين ووسمهم السيّابي.

٦ ـ الفضيل.

٧ ـ الشتون.

٨ ـ الجدوة

وتلحق قبيلة الفهيقات بالنقراد لحلف قديم ولكنهم لا يتناسبون .

الفصل العاشر :

آل سعود المريديون

قبل أن نبدأ الكتابة عن أهل الجوف وأنسابهم لابد من بدء الدراسة بالأسرة التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ الجزيرة العربية والإسلام .

الأسرة التي تبنت دعوة التوحيد السلفية وأعزت العرب والمسلمين ونالت بلاد الجوف على يدها التحرر والتقدم والازدهار .

يقول ابن بشر إن مانع جد آل سعود المريدي من قبيلة المردة من بني حنيفة من قبائل بكر بن وائل وقد نقل ابن بشر ذلك عن كلام محمد بن سلوم الذي نقله بدوره عن كلام راشد بن خنين قاضي الخرج :

فإذا صح لدينا أن مانع المريدي حنفي عرفنا بذلك أسماء آبائه من حنيفة حتى عدنان لأن نسب حنيفة معروف ومدوّن في كتب الأنساب وهو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن فاسط بن هنب بن قصي بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ويذهب كثير من المؤرخين الغربيين ويجاريهم في رأيهم كثير من المؤرخين العرب إلى أن آل سعود عنزيون من قبيلة عنزة.

ولكلمة عنزة مدلولان مختلفان. ولعل أكثر الذين نسبوا آل سعود إلى عنزة يجهلون ذلك فهم لا يعرفون إلى أية عنزة ينبسونهم .

فالبعض يعني بعنزة أو العنزيين سلالة عنزة بن أسد، والبعض الآخر يعني سلالة عنزة بن وائل [1]

---

(١) تاريخ نجد ـ ابن بشر.

المعنى الأول نجده في أكثر الكتب القديمة. والمعنى الثاني هو الأحدث والأشهر بين رجال العشائر في جزيرة العرب.

يقول البكري في كتابه معجم ما استعجم من الأسماء العربية إن اسم عنز في الأصل هو عبد الله وعنز لقب لقبوه به لأن رأسه كان محددًا يشبه العنزة. ويضيف النسابون إن عنز ابن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان[1].

والبعض الآخر من المؤلفين ينسبون آل سعود إ * . بن وائل وأشهرهم الأستاذ عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق حيث يقول :

قبائل عنزة من قبائل العرب الكبرى والمعروف أنها من أولاد عنز بن وائل وأما قبيلة عنزة بن أسد (أخو عطية الذي منه العطيات) فيرجح المؤلف أنها اندمجت في قبيلة عنز بن وائل أو أدرجت معها لأن عنزة اليوم تحفظ أنها من وائل وأن جدها عناز واللفظ يقارب بعضه عنزة وعناز...[2] ومن مؤيدات ذلك ما جاء في أنساب الجواني المنقول عن نهاية الأرب للنويري قال :

أما وائل بن فاسط بن هنب فأعقب أربعة ـ تغلب ـ بكر وعنز وعمرو ـ ومن عنز بن وائل بن فاسط فخذان الأول رفيدة بن عنز والثاني أراشة بن عنز[3].

ويقول الأستاذ أحمد وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام:

عنزة أعظم القبائل العدنانية بل العربية عددًا وأعلاها شأنًا وأمنعها جانبًا وأكثرها انتشارًا ويرتقي نسبها إلى عنز بن وائل بن ربيعة بن نزار بن عدنان.

وأقول إن عنز بن وائل بن فاسط بن هنب بن قصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة الفرس حسب ما ذكر في كتاب الوثائق النبوية للدكتور حمدالله.

---

(٢) معجم ما استعجم ـ البكري.

(١) النويري.

(٢) عشائر الشام ـ أحمد وصفي زكريا.

وفي أسطورة يتناقلها العرب عن سبب تسميتهم بعنزة أن جدهم الأعلى قتل رجلاً بعنزة وهي الرمح القصير.

والمعروف أن عنز بن وائل هو أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل وأن بني وائل بطن من ربيعة وهم كثيرون لا يحصون.

أما الأستاذ فؤاد حمزة فيقول في كتابه قلب جزيرة العرب:

إن آل سعود ينتمون إلى قبيلة عنزة ولد علي التي جدها عنز بن وائل ومن عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها العارض والحريق والحوطة والأفلاج وسدير والقصيم وبعضهم يسكن في هجر انشأها لهم الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله (١)

أما الشيخ حسين الخزعل فيقول في كتابه تاريخ الكويت السياسي: عنزة وهم بنو عنز بن وائل ومن عنز تنحدر بكر بن وائل التي ينتسب لها البيوت الثلاثة المالكة في جزيرة العرب وهم: آل سعود في الحجاز ونجد والاحساء. وآل خليفة في قطر وآل الصباح في الكويت(٢).

أما الدكتور عبد الله العلايلي فقد قال في لسان العرب.

عنزة قبيلة من العرب ينسب إليها فيقال عنزي والقبيلة أسمها عنزة. وعنزة أبو حي من ربيعة وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(٣).

ويتفق صبح الأعشى والعقد الفريد وتاريخ العلامة ابن خلدون في نسبة عنزة إلى أسد بن ربيعة.

أما الأستاذ عمر رضا كحالة فقد أورد في كتابه معجم قبائل العرب «عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد وتمتد منهازلها من الحجاز إلى نجد إلى وادي السرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماه وحلب(٤)).

---

(١) فؤاد حمزة كتاب قلب جزيرة العرب.

(٢) تاريخ الكويت السياسي ـ حسين خزعل.

(٣) أنساب العرب ـ للعلايلي.

(٤) معجم قبائل العرب ـ عمر رضا كحيلة.

ويقول القاضي حمد بن إبراهيم الحقيلي في كتابه زهر الأداب في معرفة الأنساب .

«ومن ربيعة اللهازم وهم عنزة بن أسد بن ربيعة وعجيل بن لجيم ويتم الله وقيس» والواقع أن لجيم بن صعب بن علي فخذ من بكر وهو أبو آثال الملقب بحنيفة ومنه بنو حنيفة وعلى هذا فبنو حنيفة من بكر وائل والنسبة واحدة[(1)].

أما الأستاذ أمين سعيد فيقول في كتابه تاريخ الدولة السعودية : «يعد الشيخ مانع المريدي العنيزي المؤسس الأول للبيت السعودي وهو في الأصل من شيوخ قبيلة عنزة بن أسد[(2)]»

أما صاحب كتاب تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء فيقول :

إن نسب آل سعود يصل إلى عنزة بن أسد ...

والدروع سكان الدرعية الذين هم من عنزة والقاطنون منهم في اليمامة والقطيف هم غير الدروع من آل قحطان القاطنين في واحة البريمي وعمان ويتميزون عنهم بالصيحة المعروفة عند آل مقرن والتي كانت :

خيال العوجا **أنا ابن مقرن**
أو
راعي العوجا **أنا بن مقرن**

والعوجا الواردة في الصيحة هي مدينة الدرعية الواقعة على وادي حنيفة وسميت العوجا بسبب جغرافي لأن وادي حنيفة يتعرج عندها ... ويعوج .

وقد أصبحت هذه الصيحة بعد حركة التوحيد هي :

خيال التوحيد ... أخو من أطاع الله[(3)].

أما الأستاذ خير الدين الزركلي فقد ذكر في قاموسه الأعلام.

---

(1) زهر الأداب ـ للحقيل.

(2) تاريخ الدولة السعودية ـ أمين سعيد.

(3) تحفة المستفيد.

إن جد الأسرة السعودية الحاكمة في جزيرة العرب مانع بن المسيب ابن المقداد بن بدران المري الذهلي الوائلي أمير نجد وأقول إن ذهل هو أبو شيبان وذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب أخو لجيم .. أولاد صعب بن علي بن بكر بن وائل.

ثم يتابع وكان مانع أمير نجد وأطرافها ومستقلاً في أمارته عام ٨٥٠ هـ ومن ذريته المانعة من سكان نجد وكان عمرانيًا كثير الآثار في الإحساء والقطيف وقطر وعمان وهو أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون والأسوار[١].

ويؤيد الاستاذ الزركلي مؤلف كتاب مثير الوجد في أننساب نجد حيث يقول إن اسرة آل سعود برجع إلى ذهل بن شيبان[٢].

أما الريحاني الذي عاش في ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود فترة وأجرى معه كثيرًا من النقاش فيقول في كتابه تاريخ نجد :

إن أبناء بكر بن وائل سواء كانوا من عنز أو حنيفة فهم أبناء عمومة[٣].

أما الأمير الجليل المرحوم عبد الله بن عبد الرحمن الذي كان أفقه علماء الجزيرة العربية بالأنساب وأعرف العرب بتاريخ الأسرة السعودية وأنساب آل سعود فيقول نحن من بني حنيفة فقيل له : وقصة عنزة؟

قال سموه : إن كانت عنزة عند بعضهم مرادفة لربيعة أو وائل فيمكن القول تجوزًا إننا من عنزة بمعنى أننا من ربيعة[٤].

وما يقوله سموه في اعتقادنا هو الحق وفيه إشارة واضحة إلى تطور مدلول كلمة أو اسم قبيلة عنزة حيث توسع مفهوم هذه التسمية بحيث استغرق عشائر ربيعة الفرس كلها ولم يعد قاصرًا على عشيرة عنزة وحدها .

---

(١) الاعلام للزركلي.

(٢) منبر الوجد في تاريخ نجد.

(٣) الأمير عبد الله عبد الرحمن آل سعود.

(٤) تاريخ نجد ـ الريحاني.

نعود ونقول إن هذا يطابق بعض ما جاء في كتاب كنز الأنسان للقاضي الحقيلي جيث يقول :

عنزة العدنانية ـ هذه القبيلة من أكبر القبائل العربية على الأطلاق في وقتنا الحالي وفيها ملوك وأمراء وأعيان وفرسان وشجعان وقضاة وشعراء تمتد منازلها من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالحماد فالبادية السورية حتى حمص وحماة وحلب وعنزة الموجودون حاليًا هم اسم يشمل بكرًا التي هي الرولة والسوالمة وتغلبًا التي هي ضنا بشر وبني شيبان التي هي الوهوب دخلوا جميعًا تحت مسمى عنزة فتغلب هم الآن المسمون بضنأ بشر في قبائل عنزة ضنا عبيد والعمارات .

والجلاس بجمع الرولة والمحلف وهم الأشاجعة يرأسهم ابن معجل والسوالمة يرأسهم ابن جندل وهؤلاء بكر وهم أكبر شيوخ المحلف رسميًا ولهم الذبيجة[1] .

وقبل أن نختم بحثنا لابد من إيضاح أن الأستاذ أمين التميمي جمع أنساب آل سعود في شجرة نشرها في كتابه عن آل سعود جاء فيها نسبه كما يلي :

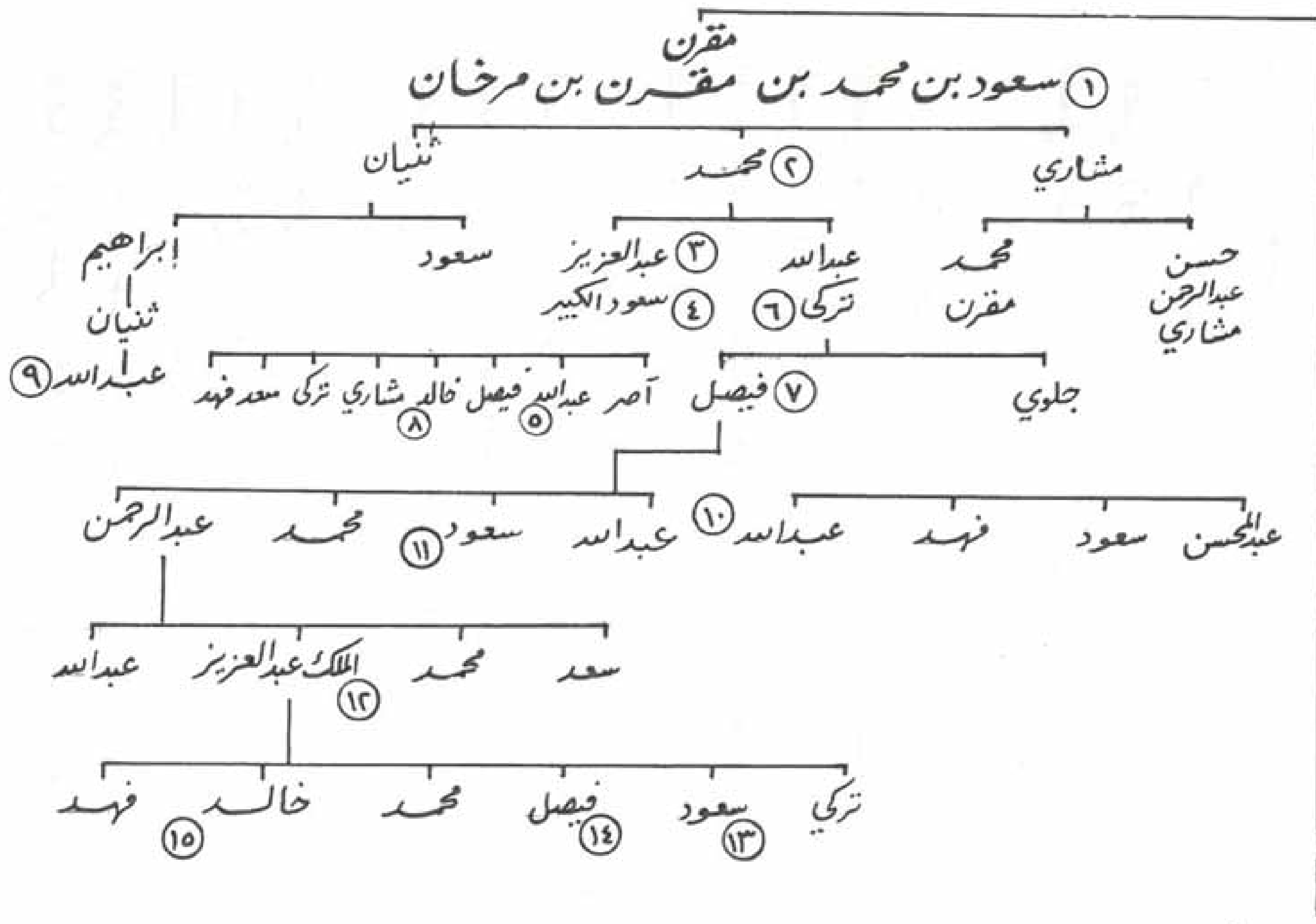
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمود بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن المسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان[2] .

---

(١) كنز الأنساب للقاضي الحقيلي.

(٢) أمين التميمي في كتابه عن آل سعود.

نسب آل سعود



(1) حذف بين مانع وعدنان أكثر من ١٥ جد والاسم مانع المريدي بن ربيعة
② الأسماء ضمن دائرة لحكام الرياض وأئمة الوهابية وملوك الجزيرة العربية

الفهــرس

الموضـــوع **الصفحة**

الباب الثالث

الم
مع
تر
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ
الأ

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض . ص.ب ٢٩٥٧ تلفون ٤٠٢٧٥٤٦